كتاب
الإذاعة والتليفزيون

ممنوع من التداول

محمود عوض

الطبعة الثالثة

كتـــاب
الإذاعـة والتليفزيـون

سلسلة كتب شهرية تصدر عن مجلة
الاذاعة والتليفزيون

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
سعيد عثمان

الغلاف والرسوم الداخلية
بريشة الفنان :
مصطفى حسين



محمود عوض

ممنوع من التداول

● الطبعة الأولى ـ ٥ يونيو ١٩٧٢ ●
● الطبعة الثانية ـ ٢٢ يونيو ١٩٧٢ ●
● الطبعة الثالثة ـ ديسمبر ١٩٧٢ ●

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

الجزء الثالث

مقدمة

بقلم

الدكتور محمد عبد القادر حاتم

منذ ثلاث سنوات ، ظهر «موشى دايان» وزير الدفاع الاسرائيلي على شاشة التليفزيون البريطاني ، ووقتها .. سأله المذيع: ان الخطة التي اتبعتها في حرب ١٩٦٧ هي الخطة نفسها التي ذكرتها في كتابك « مذكرات حملة سيناء ـ ١٩٥٦ » .. ألم تكن تخشى أن العرب قد يعرفون من كتابك .. خطتك المستقبلة التي ستتبعها في حرب ١٩٦٧ ، فيستعدون مقدما لمواجهتها ؟ .

ورد موشى دايان قائلا : لا .. لأن العرب لا يقرأون !

ولم يكن هذا الرد غريبا من موشى دايان ..
ففي صباح الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ ، كان أعلى الشعارات صوتا في حياتنا العامة ، شعار « اعرف عدوك » . وفي الوقت نفسه كان اقل الشعارات تطبيقا في جهازنا الاعلامي هو شعار : « اعرف عدوك » .

ولم تكن صدمة الساعات الأولى من القتال .. كافية لكي تسد بسرعة تلك الفجوة الواسعة بين الشعار المعلن ، وعدم تنفيذه .. على العكس ، مع تطور القتال في ساحة المعركة .. كانت الفجوة تتسع وتتسع بين الشعار والتطبيق . لهذا كنا نرى اننا نحن ، وليست اسرائيل ، الذين احسسنا بخيبة الأمل في جهازنا الاعلامي . وهي خيبة أمل تطورت بعد ذلك الى ازمة ثقة في الجهاز الاعلامي ،

فتحت الطريق واسعا أمام « العدو الاسرائيلي » لكي يخوض ضدنا حربا نفسية عنيفة وشرسة وضارية ٠

ان الحرب النفسية ليست جديدة علينا في مصر ٠٠

لقد تعرضنا لها ، وعشنا فيها ، قبل ذلك بسنوات طويلة ٠٠ بل ومنذ اليوم الأول لثورة ١٩٥٢ ٠ وفي وقت من الأوقات٠٠ كانت هناك ١١ محطة اذاعة سرية تعمل ضدنا في وقت واحد ، وفشلت كلها في وقت واحد ٠٠ !

ان ما جعل ١١ محطة تفشل في الحرب النفسية ضدنا سنة ١٩٥٦ ، هو نفسه ما جعل النجاح المؤقت من نصيب محطة اسرائيلية واحدة تعمل ضدنا في سنة ١٩٦٧ ٠ هو سبب واحد في الحالتين ، ولكنه سبب ذو وجهين :

اننا في الحالة الأولى (حالة حرب ١٩٥٦) اعتمدنا على الصدق في مخاطبة الجماهير ٠ الصدق والواقع والحقيقة ، التي كانت تبدو مؤلمة أحيانا ، ولكنها كانت في النهاية ٠٠ تمثل تحصينا للشعب ضد الحرب النفسية الضارية ٠

وفي المرحلة الثانية ٠٠ كان اعتمادنا على المبالغة والتهويل وتجاهل الحقيقة ، بل وتجاهل العدو نفسه ٠٠ هو الذي أدى الى هزيمتنا الاعلامية سنة ١٩٦٧ ٠

وعندما قام الرئيس أنور السادات ، بعملية التصحيح الكبرى في ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، كان جزءا من التصحيح هو اعادة الأساس العلمي للعمل الاعلامي ٠ ان أمامنا عدوا شرسا ٠٠ ومتشعبا ٠٠ ومتلونا ، وعلينا في جميع الأحوال أن نحاربه ٠

وفي حربنا ضد اسرائيل ، فان أول سلاح نعتمد عليه ٠٠ لابد ان يكون هو معرفتنا بهذا العدو ٠٠ معرفتنا بأساليبه وخططه وأفكاره ، وتصوره نفسه ، وتصوره للرأي العام العالمي ، وتصور الرأي العام العالمي له ٠ ان هذه المعرفة ٠٠ هي التي ستمكننا بعد ذلك

من مواجهته فى المكان الصحيح ، وبالأسلوب الصحيح ، وبالسلاح الصحيح ٠

لهذا ٠٠ كان لابد أن تعتمد السياسة الاعلامية الجديدة على تحويل شعار « اعرف عدوك » من مجرد شعار ، الى تطبيق حى يمارسه كل مواطن ٠ لقد اتخذنا فى هذا الصدد خطوات عديدة ، كان من أهمها رفع الحظر عن الكتب الاسرائيلية التى ظلت لسنوات طويلة ممنوعة من التـداول ، ثم أتاحتها أمام المعلقين والدارسين والبـاحثين فى بلادنا ، بغير نقص أو تحريف ٠

وقد تبدو الأفكار التى تتضمنها هـذه الكتب الممنوعة ، مثيرة للمرارة ٠٠ أو مجافية للحقيقة ٠٠ ولكن ، هل نحن نتوقع من عدونا غير ذلك ؟!

ان المهم ٠٠ ليس هو أن نناقش نسبة الحقيقة الى الأكاذيب فى مثل تلك الحالات ، لأن العدو يستخدم كثيرا من الأكاذيب ، وحتى حينما يستخدم جزءا من الحقيقة ٠٠ فانه يفعل ذلك من زاوية تحقق مصلحته هو ٠

ليس هذا اذن هو المهم ٠٠ ولكن المهم أن نتصرف طبقا للقول المأثور : من تعلم لغة قوم ٠٠ أمن مكرهم ٠

ونحن حينما ننشر عشرات الكتب التى صدرت عن الصهيونية واسرائيل ٠٠ انما نبين بذلك لهذا الجيل والأجيال القادمة ٠٠ كيف يخطط العدو لنا ، كيف يبنى جيشه ، كيف يحاول تضليل الرأى العام العالمى ، كيف يضاعف ـ بالحرب النفسية ـ حجم انتصاراته مائة مرة ؟ !٠٠ الخ ٠٠

ان هذا هو الأسلوب الصحيح ٠٠ الذى يجعلنا نرسم خططنا المستقبلة ، على أساس دراسة علمية حقيقية ٠٠ لكل شئون اسرائيل والصهيونية ، فقد خططت الصهيونية منذ مؤتمر «بازل» الصهيونى سنة ١٨٩٧ ٠٠ ونفذت كل خططها بعدذلك ، حتى قامت دولة اسرائيل

فى سنة ١٩٤٨ ، وما زالت هناك خطط اخرى ، تريد اسرائيل أن تحقق بها لنفسها امبراطورية ، تمتد من النيل الى الفرات ٠!

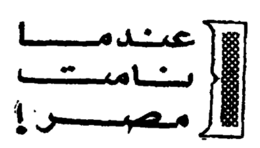
لذلك ، فان سماحنا بتــداول الكتب التى تبحث فى شئون اسرائيل وهذا الكتاب ـ يقدم أهمها ـ قد أصبح ضرورة استراتيجية من أجل الدفاع عن حياتنا ، ومقاومة هذا المخطط العــدوانى ضد بلادنا ٠ لقد أصبح من الضرورى ٠٠ أن نضع أفكار عدونا تحت ميكروسكوب دائم ٠٠ نفحصها دائما ، ونراجعها دائما ، وندرسها دائما ، لكى ننتصر على عدونا فى النهاية ٠٠ دائما ٠

محمد عبد القادر حاتم

الجزء الأول



البداية



بقلم : محمود عوض

نامت مصر فى تلك الليلة مبكرا !

نامت مصر ، مع أننـا ما زلنا فى الصيف ! فى الواقع نحن فى الشهر الأخير منه · وما زلنا فى وقت مبكر ـ الساعة التاسعة مساء ·

ونحن فى يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٨٩٧ ··

وفى هذا اليوم ·· كانت قد مضت خمسة أشهر على وفاة جمال الدين الأفغاني ، وسبعة أشهر على تعيين أحمد لطفى السيد وكيلا للنيابة ، وعشرة أشهر على وفاة عبد الله النديم ، وثمانى سنوات على مولد طه حسين وتوفيق الحكيم ، و١٣ سنة على نفى أحمد عرابى الى «جزيرة سيلان» !

ولكننا فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٩٧ ، وعبـاس حلمى هو خديو مصر ، واللورد كرومر هو المندوب السامى البريطانى ، وبالتالى فهو الحاكم الفعلى فى مصر ·

هذا عن مصر ··

ولو ابتعدنا قليلا ـ فى اليوم نفسه ـ سنجد الاحتلال الفرنسى فى الجزائر منذ ٦٧ سنة ، وفى تونس منذ ١٦ سنة ، وسنجد

بريطانيا موجودة في عدن منذ ٥٨ سنة . وسنجد أن الشام ـ ويضم سوريا ولبنان وفلسطين ـ تابع للخلافة التركية هو والعراق .

مرة اخرى : نحن ما زلنا فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٩٧ . الجو حار ، وان كان هادئا . وتلك مصر على الحال التى رايناها فيه ، الى أن نامت مبكرة فى تلك الليلة ..

ولكن ..

وهذه أكبر « لكن » .. فى التاريخ العربى المعاصر .. !

لكن .. على بعد ١٧٠٠ كيلو متر تقريبا من القاهرة ، كانت تدور قصة اخرى فى مدينة « بازل » السويسرية ، ان « بازل » فى ذلك اليوم ـ لم تكن تزيد فى مساحتها ، ولا فى عدد سكانها ـ عن نصف مدينة المنصورة .

فى مدينة (بازل) هذه .. يوجد مكان عادى للموسيقى والرقص اسمه Stadt Casino مجاور لمبنى المتحف التاريخى فى بازل .

لكن هذا المرقص فى هذا المساء .. مساء ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ ـ لم يكن فيه موسيقى ولا رقص . ان فى مدخل صالة الرقص راية معلقة شمالا ويمينا فيها شريطان أزرقان . وفوق المدخل رسمت نجمة داود السداسية .

وفى هذا المساء .. دخل الى صالة الرقص ١٩٧ وفدا من ١٥ دولة مختلفة هى : روسيا . المانيا . النمسا . المجر . رومانيا . بلغاريا . هولندا . بلجيكا . فرنسا . سويسرا . السويد . انجلترا . الولايات المتحدة . الجزائر . فلسطين .

وهم لا يعرف بعضهم بعضا قبل هذه الليلة ، ولأول وهلة لا يبدو ان هناك شيئا يربط بينهم . فمنهم الاشتراكى .. والرأسمالى .. والليبرالى ، ومنهم المتزامت .. والمتحرر ، ومنهم المتدين .. والملحد .

شيء واحـد يجمع بينهم : انهم يهـود · شيء ثان : انهم صهيونيون · لقد جاءوا الليلة·· يحضرون اولمؤتمر صهيوني، انهم جميعا يمثلون جمعيات (حب صهيون) وهي حركة يهودية سياسية بدأ تأسيسها قبل ١٥ سنة من الاجتماع · وهدف هذه الجماعات ·· هو هجرة اليهود الى فلسطين ، واعادة احياء اللغة العبرية ـ التى ماتت منـذ الفى سنة ·· وكان رئيس هذه الجمعية رجلا اسـمه « ليون بنسـكر » ولقد سبق له أن وضع كتابا فى سـنة ١٨٨١ بعنوان (التحرير الذاتى) يتناول فيه مشكلة اليهود فى اوربا ، وقال فيه :

ان اليهودى شخص مكروه فى كل مكان يذهب اليه · ولذلك فعلى اليهود ، أن يحرروا أنفسهم من هذه الكراهية ·· بأن يقيموا لأنفسهم دولة خاصة بهم ، ولا يهم مكان هذه الدولة ·

ولكن تلك الحركة فشلت وخمـدت ·· لأن عـددا كبيرا من اليهود أنفسهم حاربوها ·

ومع ذلك ، فان الشـخص الذى أعاد تلك الحركة الى الوجود مرة أخرى ، هو نفسه الذى دعا الى هذا الاجتماع فى (بازل) وهو الذى سيصبح فيما بعد (نبى) الحركة الصهيونية الحديثة ·· انه يهودى اسمه « تيودور هرتزل » ولد فى مدينة «بودابست» عاصمة المجر الآن ـ سنة ١٨٦٠ ـ انه يعمل صحفيا ومراسلا فى باريس لصحيفة تصدر فى فينا ·

وقد أصدر هرتزل كتيبا فى ١٤ فبراير سنة ١٨٩٦ ـ بعنوان (الدولة اليهودية) ، طالب فيه بانشاء دولة لليهود فى فلسطين أو الأرجنتين · وقال أيضا : ان موجة التحرر والمساواة ، التى بدأت فى أوربا بعـد الثـورة الفلسـطينية ، هى سبب وجود المشـكلة اليهودية ·· وفي الوقت نفسه ستكون هى أكبر عقبة فى سبيل اقامة دولة يهودية ·· لان تحقيق المساواة سيغرى اليهود بالاندماج والذوبان فى مجتمعات الدول التى يعيشون فيها ·

ثم قال : (ان المشكلة اليهـــودية ·· يجب معالجتها كمسالة

سياسية الظروف ، قد أدى الى تكوين طبقة متوسطة يهودية ٠٠ هى فى منافسة مباشرة مع الطبقة المتوسطة المسيحية) ٠

ثم قال : (ان المشكلة اليهودية يجب معالجتها كمسألة سياسية يتم تناولها مع احدى الدول الكبرى) ٠

ولو توقفنا الآن لحظة واحـدة ٠٠ فاننا سنضع أيدينـا على الحقائق التالية :

● **أولا :** ان الحركة الصهيونية لانشاء وطن قومى لليهود ـ من اللحظة التى بدأها هرتزل الى الآن ـ هى حركة سياسية بحتـة لا علاقة لها بالدين اليهودى ٠ وهذا على عكس الدعاية الصهيونية الحديثة تماما ٠

● **ثانيا :** ان هذه الحركة ، كانت هى الرد على موجة معاداة السامية التى كانت قائمة فى أوربا ، وأنها بالتالى لم تجـد لها أساسا فى المجتمعات التى اختفت منها نزعة معاداة السامية ٠٠

● **ثالثا :** أن الفكرة الدينية اليهودية القديمة ، عن العودة الى فلسطين ، قد أدخلت فى مرحلة تالية على الفكرة الصهيونية لمجرد استغلالها لدى اليهود لكى ينضموا الى الحركة ، على أن هذه الحقائق ـ وكثيرا غيرها ـ ستتضح تماما كلما تقدمنا أكثر فى دراسة تطور الحركة الصـهيونية ٠٠ وسنجد أن مؤسسى الحركة الصـهيونية أنفسهم يعترفون بهـذه الحقـائق ـ صراحة أو ضـمنا ـ حسب الأحوال ٠

ولعل هـذه لحظة مناسبة لكى نرجع الى الوراء قليلا ٠ الى (يوميات هرتزل) التى كتبهـا بنفسه قبل وبعد انعقـاد المؤتمر الصهيونى الأول فى (بازل) سنة ١٨٩٧ ٠ مع ملاحظة ان هذه (اليوميات) هى مذكرات خاصة كتبها هرتزل ولم تنشر الا بعد وفاته بوقت طويل، وعندما نشرت٠٠ فان اول طبعة كاملة لها صدرت سـنة ١٩٦٠ ، وانا هنا اعتمد على الطبعـة التى اصدرتها المنظمة الصهيونية العالمية نفسها ٠

لقد بدأ هرتزل ، منذ ايام تخيله الأولى للدولة اليهودية ،

ومن قبل أن يقرر « فلسطين » موقعا لهذه الدولة ٠٠ بدأ يعبر فى يومياته عن ضرورة الاتصال بالدول الكبرى ، وعن الدور الذى لابد أن تلعبه ٠ ولقد كتب فى ٧ يونيو ١٨٩٥ يقول : (حالما يتم الاتفاق على الأراضى ، وتوضع اتفاقية أولى مع الحاكم الموجود ، سوف نبدأ مباحثاتنا الدبلوماسية مع الدول الكبرى) وبالفعل ٠٠ بدأ هرتزل يبذل مساعيه لدى المانيا أولا ، ثم لدى بريطـانيا ، وتركيا (كانت تركيا هى الخلافة العثمانية التى تتبعها فلسطين) ٠

ثم نأخذ الآن عينات حرفية من يوميات هرتزل :

● **فى صفحة ٣ كتب هرتزل سنة ١٨٩٥ يقول :** (أن البارون موريس دى هيرش هو ـ مثل عائلة روتشـيلد ـ واحـد من أكبر أصحاب الملايين اليهود فى القرن التاسع عشر ٠ لقد أبدى اهتماما انسانيا عميقا بجمعية الاستعمار اليهـودى ـ وهى جمعية يهودية تأسست سنة ١٨٩١ ـ لقد خصص لها نهائيا مبلغ ٤٠ مليون دولار لتوطين المهاجرين اليهود فى الأرجنتين ، ولكن فى سنة ١٨٩٥ لم تكن الأمور على ما يرام فى المستعمرات التى تم انشاؤها هناك) ٠

● ان هرتزل يشرح كيفية الاستيلاء على الأرضى من جانب الحركة الصهيونية ، فيقول فى ١٢ يونية سنة ١٨٩٥ : (عندما نحتل البلاد، سنعمل سريعا على افادة الدولة التى ستأخذنا ٠٠ ويجب أن نستخلص ملـكية الأرض التى سـتعطى لنا ، ولـكن باللطف والتدريج سنحاول أن نشجع فقراء السكان على النزوح الى البلدان المجاورة ، وذلك بتأمين أعمال لهم هناك ، ورفض اعطائهم أى عمل **فى بلدنا ٠ أما أصحاب الأملاك فسيكونون بجانبنا ، على اننا يجب أن نقوم بكلتا العمليتين ـ استخلاص الأرض وابعاد الفقراء ـ بتعقل** وحذر ٠ يجب أن نعمل على ايهام أصحاب الأملاك غير المنقولة ٠٠ بأنهم يخدعوننا ببيعهم بأكثر مما تساوى) ٠

● فى ٢٧ فبراير ١٨٩٦ يكتب هرتزل تساؤلا : **هل نقدم للخليفة التركى مليونى جنيه ثمنا لفلسطين ؟ هذا المشروع درسته مع عدد من أثرياء اليهود فى اوربا) ٠**

● فى ٤ مارس من السنة نفسها : (الدكتور بيرن) (صديق

له) يريد أن يكون الزعيم الاشتراكي في الدولة اليهودية · نحن لم نحصل عليها بعد ، وها هم يريدون تمزيقها مقدما) !

● ٢٢ ابريل — من السنة نفسها (**نحن نريد أن نحصل على مساعدة قيصر المانيــا · انه سيساعدنا لأنه يتمنى اخراجنا من بلده · حسنا · ولكنه سيساعدنا) !**

● ١٥ يوليو — من السنة نفسها : نحن مستعدون لأن ندفع عشرين مليون جنيه للسلطان التركي ثمنا لفلسطين ، وبذلك نحسن ميزانيته) ·

● **الشهر نفسه ، والسنة نفسها : (قال السلطان عبد الحميد لصديقه الذي تفاوض معه : اذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي ، فانصحه بالا يسير أبدا في هذا الأمر ·· لا أستطيع أن أبيع ولو قدما واحدة من البلاد ، لأنها ليست لي بل لشعبي ، لقد حصل شعبي على هــذه الامبراطورية باراقة دمائهم ، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا ، قبل أن نسمح لأحــد باغتصابها منا · لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في ســوريا في فلسطين ، وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر في «بلفنة» لأن أحدا منهم لم يرض بالتسليم ، وفضلوا ان يمــوتوا في ساحة القتـــال · ان الامبراطورية التركيــة ليست لي دائمــا ·· بل للشعــب التركي ولا أستطيع أبدا أن أعطي أحدا أي جزء منهــا · فليحتفظ اليهود ببلايينهم ·· فاذا قسمت الامبراطورية فقد يحصــل اليهــود على فلسطين بغير مقابل · وانما لن تقسم الا جثتنا ، ولن اقبل بتشريحنا لأي غرض كان) ·**

● بعدها بأيام كتب هرتزل : (نصحني صديق بأن يشتري اليهود أي مقاطعة أخرى ويقدموها لتركيا كبديل لفلسطين مع مزيد من المال · ففكرت رأسا في قبرص) ·

● وفي أول ديسمبر سنة ١٨٩٦ ، كتب هرتزل في يومياته يصارح نفسه : « صديق لي أخبرني بأن هناك اشاعة منتشرة الآن في بودابست (المدينة التي ولد فيهــا هرتزل) وهي أن اليهــود

هناك يقولون : اننى تسلمت مبلغا ضخما من المال من شركة أراض بريطانية تريد أن تبيع أملاكا لها فى فلسطين ، وذلك فى مقابل طبع كتابى عن الدولة اليهودية . هكذا نحن اليهود دائما لا نؤمن بأن أى شخص يمكن أن يتصرف أبدا الا بسبب المال » !

● فى اليوم نفسه .. كتب يعرض خدماته على قوة استعمارية جديدة هى بريطانيا ، فيقول : « **هذا عامل يجدر بالسياسة الانجليزية فى الشرق ان تقدره حق قدره ، عامل جديد بكل تأكيد .. ان تقسيم تركيا فى الوضع العالمى الحاضر .. لابد أن يكون خسارة بالنسبة لانجلترا . ولذلك فعليها أن تسعى نحو التوازن الدولى الذى لا تتم المحافظة عليه الا اذا تم تصحيح مالية تركيا .. ان هذا يتم بانشاء دولة يهودية فى فلسطين لها استقلال ذاتى مثل مصر ــ تحت سيادة السلطان .. والأمر ممكن اذا توافر لنا دعم دولة كبرى** » .

ومثلما كان هرتزل يحاول الاتصال بكل الدول الكبرى ، لكى يقنع واحدة منها بتبنى مشروع الدولة اليهودية .. كذلك فانه حاول استغلال بعض السياسيين من الشرق ، ومن الذين حاول هرتزل أن يكسب ودهم أولا : أغا خان الزعيم الاسماعيلى المعروف ، والزعيم مصطفى كامل .

عن مصطفى كامل .. كتب هرتزل يوم ٢٤ مارس سنة ١٨٩٧ يقول :

« الموفد المصرى ، مصطفى كامل ، الذى كان قد زارنى من قبل .. زارنى مرة أخرى . انه فى رحلة أخرى لجمع المشاعر المؤيدة لقضية الشعب المصرى الذى يسعى للخلاص من السيطرة البريطانية . ان هذا الشاب الشرقى يعطى انطباعا ممتازا ، وهو مثقف وراق وبليغ ، وقد دونته فى ذاكرتى .. لأنه قد يلعب يوماً ما دورا فى سياسة الشرق ، حيث قد نلتقى ثانية . ان سليل مضطهدينا فى مصر القديمة يتنهد اليوم من عذاب الرق ، وتقوده طريقه الى ــ أنا اليهودى ــ طالبا مساعدتى الصحفية .. اننى أشعر ــ مع أننى لم أجزم بذلك ــ بأنه لما يفيد قضيتنا أن يضطر الانجليز الى مغادرة مصر . انهم

سيضطرون آنذاك •• الى أن يبحثوا عن طريق آخر الى الهند بدل قناة السويس التى ستضيع منهم ، أو على الأقل تصبح غير مأمونة • آنذاك تصبح فلسطين اليهودية الحديثة مناسبة لهم — الطريق من يافا الى الخليج الفارسى » •

***

عودة الى المؤتمر الصهيونى ••

ان هذا هو المؤتمر الأول ، وهذا هو تفكير الرجل الذى عمل مهندسا للمؤتمر الاول ، ومهندسا للحركة الصهيونية كلها فيما بعد • ان المحاضرين فى المؤتمر لا تجمع بينهم — حتى — لغة مشتركة • لهذا فانهم يقررون استخدام اللغة الألمانية كلغة رسمية للمؤتمر ••

ان هرتزل بدأ كلامه فى المؤتمر بقوله :

« اننا هنا لنضع حجر الأساس فى بناء البيت الذى سوف يؤوى الأمة اليهودية » •

وقد قدم هرتزل للمؤتمر عدة اقتراحات معينة :

أولا : انشاء منظمة تسمى « المنظمة الصهيونية العالمية » لمحاولة ضم صفوف اليهود وتجميعهم خلف القضية الفلسطينية •

ثانيا : الحصول على اعتراف دولى من احدى الدول العظمى بمشروع توطين اليهود فى فلسطين •

ثالثا : تنظيم هجرة يهودية واسعة النطاق الى فلسطين — أو أى مكان آخر يستطيع اليهود الحصول عليه • وتنظم هذه الهجرة بوسيلتين : أولا ، بواسطة انشاء المنظمة الصهيونية نفسها •• وتضم كل اليهود الذين يوافقون على فكرة « الدولة اليهودية » • وثانيا ، بانشاء شركة يهودية للأراضى •• تكون هى الأداة الاقتصادية لتحقيق أهداف المنظمة الصهيونية •

وبعد هذه التخطوات •• خرج هرتزل بالقرارات فى جيبه ، وبقرار تعيينه أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية ، وبسطور كتبها فى يومياته • كتب هرتزل فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ يقول :

« لو طلب منى تلخيص مؤتمر بازل فى كلمة ـ وعلى أن احرص على عدم تلفظها بصوت عال ـ لكانت هى : فى بازل أسست الدولة الصهيونية . لو قلت ذاك بصوت عال لضحك الجميع منى . لكن ربما فى خمس سنوات ـ وبالتاكيد فى خمسين سنة ـ سيعلم كل واحد بالأمر . ان تاسيس دولة لا يكمن فى ارادة شعب بانشاء دولة ، بل يكمن أيضا فى ارادة فرد قوى قوة كافية .. ان الارض هى فقط الأساس المادى . والدولة ، حينما تملك الأرض ، هى دائما شىء معنوى .. فى بازل اذن ، انشأت هذا الكيان المعنوى الذى تراه أغلبية الناس الساحقة . أنشأته بوسائل قليلة جدا ! وبالتدريج وضعت الناس فى جو مناسب للدولة ، وجعلتهم يشعرون بأنهم هيئة وطنية » .

هكذا اذن.. انتهت جلسات المؤتمر الأول للحركة الصهيونية فى ٣١ أغسطس ١٨٩٧ .

لقد كان لابد أن يبدأ الطريق أمام المنظمة الجديدة بمحاولة كسب تأييد احدى الدول العظمى . على أن تلك المهمة لم تكن هى وحدها المهمة العاجلة ، فلقد كانت هناك مهمة أخرى أكثر الحاحا .. وهى التغلب على المعارضة التى بدت تواجه المنظمة الجديدة داخل اليهود أنفسهم .

فلقد انقسم اليهود الى اتجاهين : **الاتجاه الأول** كان يرى أن «ذوبان» اليهودى فى المجتمع الذى يعيش فيه .. هو العلاج الحقيقى والدائم لمعاداة السامية ، وان كراهية اليهود أنفسهم ترجع الى عدم ولائهم للمجتمعات التى يعيشون فيها . ولكن ، لو اقتنع اليهود بأن تقدم الحضارة ، وانتشار المساواة السياسية ، ووجود دليل من اليهود على ولائهم للمجتمع الذى يعيشون فيه وتعلقهم به .. كل هذا سيؤدى فى النهاية الى استئصال المشاعر المتبقية ضدهم .

أما الاتجاه الثانى .. فقد فقد أصحابه الأمل فى أن اليهود يستطيعون الذوبان فى أى مجتمع أو الاندماج فيه .. وأصحاب هذا الاتجاه هم الذين منهم هرتزل .

ولذلك .. فان فى السنة نفسها التى تأسست فيها المنظمة

الصهيونية ـ أى فى سنة ١٨٩٧ ـ تأسست فى روسيا وشرق أوربا ـ جمعيات من اليهود أنفسهم لمعارضة الحركة الصهيونية • جمعيات كانت تسمى نفسها « البوندز » Bunds أى « المنظمة العامة للعمال اليهود فى روسيا وبولندا » • وكانت هذه المنظمة ترى أن الحركة الصهيونية تدفع أعضاءها الى أحلام مدمرة لليهود أنفسهم •• لان الحركة الصهيونية تقوم فى جوهرها على أساس عدم قدرة اليهودى على الذوبان فى المجتمع الذى يعيش فيه •• وهذا يؤدى الى اثارة الشك والريبة فى اخلاص وولاء اليهودى للمجتمع الذى يحمل جنسيته •

ومع ان تلك المعارضة بدأت من شرق أوربا ، وامتدت الى غرب أوربا والولايات المتحدة ، الا أن مؤيدى الحركة الصهيونية أيضا كانوا أساسا من شرق أوربا •

المهم •• انه من اللحظة الأولى تمثل الحركة الصهيونية •• حركة سياسية بحتة • ولقد رأينا من قبل ذلك أن المؤتمر الأول قد ناقش ايجاد وطن قومى لليهود فى فلسطين •• أو فى الأرجنتين•

وخلال الفترة التالية للمؤتمر الصهيونى الأول ، أنشىء فعلا صندوق استثمار يهودى ليقوم بمهمة تنظيم الهجرة اليهودية وتدبير الأراضى ـ وبصفة عامة ـ لكى يكون هو الأداة الاقتصادية لتنفيذ أهداف الحركة الصهيونية •

وفى الوقت نفسه•• بدأت المنظمة الصهيونية فى اجراء اتصالات مع عدد من الدول الكبرى لكسب اعترافها بأهدافها • وقد بدأت المحاولة أولا مع ألمانيا •• وكان هرتزل ـ الذى أصبح الآن أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية ـ قد لجأ الى «القيصر غليوم الثانى» فى سنة ١٨٩٦ ووالى اتصالاته معه بعد ذلك • وحينما استطاع أن يقابله فى أول مرة قال له : اننا نحتاج الى محمية يهودية فى فلسطين ، لأن اليهود يرحبون بحماية ألمانيا بالذات أكثر من أى دولة أخرى • واقترح عليه هرتزل انشاء شركة لشراء واستثمار الأراضى فى فلسطين ، تكون تحت حماية ألمانيا •• بعد أن يحصل على موافقة السلطان العثمانى •

ووعده القيصر بالتفكير في الموضوع .. ولكن هرتزل عندما عاد الى مقابلته ـ أثناء زيارة القيصر للقدس في ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٨ ـ كتب في يومياته يقول : « ان مرافق القيصر (أثناء المقابلة) قال لى بلباقة : كما تفضل به جلالة القيصر ، فان الماء (فى فلسطين) هو أهم شيء » ..

وخلفتها رددت عليه : اننا سنؤمن الماء للبلاد ، وسوف يكلفنا هذا الملايين ولكنه سيعود علينا بالبلايين .

قال القيصر لى : ان المال متوافر لكم بكثرة ، عندكم مال أكثر مما عند أحد منا ..

ورد المرافق متمتما لى : « نعم ، المال الذى هو مشكلتنا .. عندكم منه الكثير » !

هكذا تلقى هرتزل كلمات طيبة من قيصر ألمانيا ، ولكنه لم يتلق أكثر من ذلك .. فقد تأكد أن القيصر ليس مستعدا أن يفعل شيئا . لقد خرج هرتزل بهذا الانطباع فى مقابلته مع القيصر يوم ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٨ . وكان على الحركة الصهيونية أن تنتظر تسعة عشر عاما بالضبط ، الى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، قبل أن تفعل مع بريطانيا ما فشلت فى أن تفعله مع ألمانيا : تقنعها بتبنى الأهداف الصهيونية لحسابها الخاص ، وتصدر وعد بلفور .

المهم .. ان هرتزل بدأ بعد ذلك يبحث الاتصال المباشر بالسلطان العثمانى . وكان يعلم أن السلطان قد رفض قبل ذلك بيع فلسطين لليهود ، حينما أجريت أول محاولة معه سنة ١٨٩٦ .

ولكن هرتزل ، كان يعلم أيضا ان الخزانة التركية قد أصبحت فى حالة أكثر سوءا . فلقد كان الدين التركي قد وصل الى ١٠٦ ملايين جنيه استرلينى ، وأصبحت موارد الخزانة التركية تحت رقابة مجلس الدائنين .. ومن ثم فان الفرصة قد تكون الآن أكثر اغراء للسلطان العثمانى ، ولابد للسلطان من أن يؤمن أخيرا بأن المال هو كل شيء .

لقد اتفق هرتزل مع زميلين يهوديين له ، هما السير صمويل،

والكولونيل جولد شميث في لندن .. واستطاعوا جمع عشرة ملايين جنيه اســترليني من جمعية الاستعمار اليهــودي لدفعها فورا الى السلطان كدفعة أولى فى حالة موافقته .

ولكن السلطان رفض أيضا للمرة الثانية .

وبذلك فشلت نهائيا محاولات المنظمة الصهيونية مع اثنتين من الدول الكبرى : ألمانيا وتركيا ، بقيت محاولة أخرى مع بريطانيا هذه المرة .

***

زار هرتزل لندن في سنة ١٩٠٢ حتى تصبح هى المقر الرئيسى لنشاط المنظمة الصهيونية . وكانت لديه ثلاثة أسباب لذلك :

اولا : ان لندن هي المركز المالى للعالم ، وبالتالى فسوف تفهم لغة المصالح الاقتصادية أكثر من غيرها .

ثانيا : ان بريطانيــا لها امبراطورية استعمارية واسعة .. وبالتالى فان لها أحلاما توسعية فى أوروبا ، وهذا ســوف يجعل بريطانيا « تفهمنا وتفهم اهتماماتنا » بتعبير هرتزل .

ثالثا : انه لو اقتنعت بريطانيا بأن لها مصلحة فى مشروع الوطن القومى اليهودى ،فانها ستعمل لتحقيقه .

ويكفى الآن أن نتذكر ان هذا الارتبــاط فى المصالح ، الذى اشار اليه هرتزل فى يومياته ، سوف يتكرر كثيرا فى علاقةبريطانيا بالحركة الصهيونية .

لقد رأينا قبل الآن.. ان الحركة الصهيونية فكرت فىالارجنتين كبديل ، ثم في قبرص كبديل أســاسى لفلسطين بالنسبة للدولة اليهودية .. ولكن تلك لم تكن هى البدائل الوحيدة .

ففي سنة ١٩٠٢ بدأت المباحثات الجدية بين المنظمة الصهيونية والحكومة البريطانية ، والتى كان يرأسها فى ذلك الوقت « آرثر جيمس بلفور » وكانت بريطانيا تحتل مصر منذ سنة ١٨٨٢ .

وقد سارت المفاوضات مع الحكومة البريطانية أولا على أساس أن تعطى سيناء لليهود ‥ ثم تطورت المفاوضات لتصبح منطقة **العريش** هى المكان المطلوب ٠

لقد كان هرتزل يرى أنه « **‥ مادام الباب الأمامى لفلسطين سيكون مغلقا أمامنا ، فلابد أن نجىء من أبواب خلفية أخرى** » ٠

وفى يوم ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٠٢ كتب هرتزل فى مذكراته يقول : « اجتمعت اليوم مع المستر تشمبرلين (وزير المستعمرات بالحكومة البريطانية حينئذ) ٠ تحدثت معه أولا عن مشروع قبرص ٠ ولكنه قال لى : ان الحكومة البريطانية لا توافق على هذا المشروع بسبب رد الفعل الذى يمكن أن يحدث ٠

« ولكننى رددت على المستر تشمبرلين قائلا : ليس كل شىء فى السياسة يتم كشفه للناس ٠ ان النتائج فقط ، أو الأشياء المفيدة فقط ‥ هى التى تظهر ٠ لقد كشفت لك خطتى الخاصة بقبرص ٠ انها تعتمد على جو ملائم فى قبرص لهجرة اليهود ٠ يجب أن نتلقى الدعوة للذهاب الى هناك ٠ اننى سوف أمهد لذلك عن طريق ستة مبعوثين سأرسلهم الى قبرص ٠ وحينما ننشىء الشركة الشرقية اليهودية ــ برأسمال خمسة ملايين جنيه ــ للاستيطان فى سيناء ، أو فى العريش ‥ فان أهالى قبرص أنفسهم سيكونون متلهفين على تحويل جزء من هذا المطر الذهبى الى جزيرتهم ، وهذا سيكون قصدنا الحقيقى ٠ وحين يتحقق ذلك ‥ سنحصل على الأراضى ، وأهل الجزيرة بعضهم مسلمون ، والبعض الآخر يونانيون ، المسلمون سوف يرحلون ٠ أما اليونانيون ‥ فسوف يسعدهم أن يبيعوا لنا أراضيهم بسعر مرتفع ، ثم يهاجروا الى أثينا أو الى كريت » ٠

ثم كتب هرتزل بعد ذلك فى مذكراته يقول : « اننا لو حصلنا من الحكومة البريطانية على قبرص ‥ فان هذا سوف يضعنا فى مركز أفضل للمساومة مع السلطان العثمانى ‥ وكذلك لو حصلنا على سيناء أو منطقة العريش ٠ وكل منطقة من المناطق الثلاث سوف تكون هى نصف الطريق الى فلسطين ‥ لان كلا منها يصلح مركزا لتجميع اليهود يقفزون منه مباشرة الى فلسطين » ٠

على أن المشروعات الثلاثة فشلت جميعا ٠٠ أما قبرص فقــد رفضتها الحكومة البريطانية ، لأنها ســتدخلها فى منازعات دولية عديدة ٠ أما العريش وسيناء فقد كتبت الحكومة المصرية فى ردها الى الحكومة البريطانية : « ان لدينا من المشــاكل ما لا يحتاج الى مشكلة جديدة » ٠

* * *

ويومها ٠٠ لم تكن مصر تعلم ، أنه سيأتي الوقت الذى تصبح فيه المشكلة الصهيونية ، على الضفة الشرقية لقناة السويس !

يهودي نصف الوقت!



بقلم : محمود عوض

كل شيء ساخن في مصر خلال تلك السنة ـ ١٩٤٢ .

الجيش الانجليزى ساخن فى القاهرة .. بعد ان حاصر القصر الملكى فى حادث ٤ فبراير المشهور .

الجيش الألمانى ساخن فى السلوم .. بعد زحف سريع قاده «روميل» من شمال أفريقيا .

والملك فاروق ســـاخن فى قصر عابدين .. بعد الانذار الذى تلقاه من المستر مايلز لامبسون ، السفير البريطانى فى القاهرة .

واليهود أيضا .. كانوا ساخنين في مصر . عددهم خمسون الفا .. لكن نفوذهم مضروب فى هذا الرقم مائة مرة ، ففى أيديهم مفاتيح كثيرة الى عقل مصر وجيبها .

انهم موجودون مثلا في صحافة مصر .. يمسكونها من رقبتها عن طريق احتكار تجارة ورق الصحف . ويمسكونها من قدميها عن طريق شركة الاعلانات الشرقية . وفى كل صحيفة .. لابد أن تجد أحد اليهود فى منصب هام ، له نفوذ قبل أن يكون له بريق ..!!

وفى أيديهم تجارة مصر .. محال داود عدس وبنزايون مثلا .

وموجودون فى ريف مصر .. من خلال بنوك الرهونات وشركة سوآرس مثلا ..

وفى المجالس النيـابية .. كانوا موجودين وممثلين بحـــكم التقاليد المصرية الســـمحة ، التى قضت بتعيين اليهود فى مجلس الشيوخ .

آكرر : نحن فى سنة ١٩٤٢ ..

انها السنة نفسها التى نشرت فيها مجلة (لايف) الأمريكية

تحقيقها مصوراً في ست صفحات عن القصر الملكي في مصر ٠٠ وقالت فيه : « ان ملك مصر ٠٠ يملك أضخم وأفخم مطعم في العالم » ٠

وهي أيضا الفترة نفسها التي أصدر عنها طه حسين كتاب (المعذبون في الأرض) وقال في مقدمته : « الى الذين يجدون مالا ينفقون ٠٠ والى الذين لا يجدون ما ينفقون ٠٠ يساق هذا الحديث » !

* * *

اننا في سنة ١٩٤٢ ٠ بالذات في شهر مايو ٠ ففي هذا الشهر عقدت المنظمة الصهيونية بالولايات المتحدة مؤتمرا بفندق بلتيمرر بمدينة نيويورك ٠ وكان من قادة المؤتمر : حاييم وايزمان ، ودافيد بن جوريون ، وناحوم جولدمان ٠ وبعد انقسامات ومناقشات وجدل عنيف ٠٠ أقر المؤتمر برنامجا من ثلاث نقط كخط عمل للحركة الصهيونية :

١ ـ ان الهدف الأساسي ٠٠ هو اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ٠

٢ ـ تشكيل قوة عسكرية يهودية تحارب تحت علمها الخاص ٠٠ في صف الحلفاء ٠

٣ ـ ضرورة السعي لاعادة فتح باب الهجرة الى فلسطين على مصراعيه أمام اليهود ٠

لقد كانت قرارات المؤتمر كلها ، انتصاراً كاملا لشخص واحد تزعم المناقشات والجدل والانقسامات : دافيد بن جوريون ٠ ان بن جوريون كان يرى أن الوقت قد أصبح مناسبا لكي يعلن اليهود هدفهم في المرحلة التالية ٠ أن بن جوريون يرى أن الهدف المعلن الآن يجب أن يكون هو : وطن قومي يهودي في فلسطين ٠ وهو يرى أيضا أن اليهود عندما سيقرأون (وطن قومي) ٠٠ فانهم سيقرأونه (دولة) ٠

وبن جوريون ، اتخذ من مؤتمر نيويورك سنة ١٩٤٢ نقطة هذا التحول ، لأنه كان يرى ان الوقت قد حان لكي تلقى المنظمة الصهيونية العالمية كل ثقلها في الولايات المتحدة ، بدلا من بريطانيا ٠

كانت حسبة بن جوريون بسيطة للغاية : ان بريطانيا - مع انها هي التي أصدرت وعد بلفور - فان نشوب الحرب العالمية الثانية قد خلق لها مصلحة تكتيكية فى أن تحصل على صداقة العرب • أو على الأقل - لا تفعل ما يزيد عداءهم لها • خصوصا فى تلك الأيام العصيبة من التقدم الألمانى والهزيمة الانجليزية • واقتنع بن جوريون أيضا بأن الولايات المتحدة - وليست بريطانيا - هى التى ستخرج من الحرب قوة حاسمة ومسيطرة ، ومن ثم •• فلابد من ضمان وقوف هذه القوة من الآن الى جانب الحركة الصهيونية ، ولابد بالتالى من تركيز ثقل العمل الصهيونى كله فيها •

هكذا عاد بن جوريون وقتها الى فلسطين ، بعد أن عبأ العمل الصهيونى نحو هدفين :

أولا - السعي لخلق دولة على ارض فلسطين •

ثانيا - تعبئة أمريكا لمساندة وتأييد هذا الهدف •

انه - باعتباره رئيسا للمنظمة اليهودية وقتها ، وباعتباره ممثلا ليهود فلسطين فى تعاملهم مع العالم الخارجى - كان عليه أن ينفذ جزءا من الهدفين على أرض فلسطين ، ويترجم الهدف الأول بالذات الى أسلوب عمل يومى تسير على أساسه الجهود الصهيونية فى فلسطين • هكذا قرر بن جوريون مثلا أن يؤيد بريطانيا باليد اليمنى ، ويضربها باليد اليسرى ! ان بريطانيا - باعتبارها الدولة المنتدبة على فلسطين - أصدرت كتابها الأبيض بشأن فلسطين قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية • كانت سياستها الجديدة هى الحد - مؤقتا - من نطاق الهجرة اليهودية الى فلسطين • فالحرب العالمية قد بدأت •• وبريطانيا محتاجة الى كسب ود العرب •

وعلى الرغم من أن التغيير الجديد فى السياسة البريطانية كان تغييرا مؤقتا ، ولا يؤثر - فى المدى الطويل - على سياسة بريطانيا نحو الحركة الصهيونية •• فقد بدأ بن جوريون حربا واسعة ضد بريطانيا • لقد كانت الحرب العالمية الاولى هى فرصة الصهيونية للحصول على وعد بلفور • وهذه هى الحرب العالمية الثانية تقدم فرصة ثانية للمنظمة ، لتنتهى تماما من التنفيذ الكامل لمطالبها فى فلسطين •

وفي سنة ١٩٤٥ لخص بن جوريون الموقف بأنه : « الكتاب الأبيض ٠٠ أم دولة يهودية ؟ اننا سوف نحكم على السياسة البريطانية بناء على الجانب الذى تختاره ٠٠ ان العامل الحاسم فى كل ذلك هو : القوة ٠ فبغيرها سيظل اليهود أقلية مغلوبة فى بلد عربى » ٠

لقدرفع بنجوريون ـ طوال الحرب ـ شعارا غريبا هو: سنحارب مع بريطانيا كما لو لم يكن هناك كتاب أبيض ٠٠ وسنحارب الكتاب الأبيض كما لو لم تكن هناك حرب ٠

والآن ـ بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية فى ١٩٤٥ ـ بدأ بن جوريون يركز لهدف آخر : الحرب ضد بريطانيا وضد العرب فى وقت واحد ٠ لقد بدأ يركز على الاستعداد العسكرى ٠ وأصبح مسئولا عن هذا الاختصاص من سنة ١٩٤٧ ٠ وفى يوليو من السنة نفسها أصدر تعليمات للفرق المسلحة (الهاجاناه) يقول : اننا سنصطدم مع بريطانيا ، ومع العرب ٠٠ ولابد أن نفرق بين الاثنين٠ أن صدامنا مع بريطانيا هو صدام سياسى وليس صداما عسكريا ، وسوف يحسمه تكتل اليهودية العالمية وتوسيع نطاق الهجرة اليهودية غير الشرعية الى فلسطين ٠ أما صدامنا مع العرب ٠٠ فهو صدام عسكرى وصدام سياسى فى وقت واحد ٠ وسوف تحسمه القوة وحدها ٠

القوة ؟ نعم هذا هو المفتاح لفهم شخصية بن جوريون من البداية ، وفهم العقل الاسرائيلى كله من بعده ٠ ان فى دراسة شخصية بن جوريون دراسة لاسرائيل ، ودراسة للعقل الاسرائيلى تفكيرا وعملا٠ واذا كنا نعتبر أن «تيودور هرتزل» هو مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة ، فان «بن جوريون» هو مؤسس الدولة ٠ الاول وضع النظرية ، والثانى قام بالتطبيق ٠٠ الأول خلق الخيال ٠٠ والثانى خلق الحقائق ٠ الأول حول حقائق قليلة الى خيالات واسعة، والثانى حول الخيالات الواسعة الى حقائق مادية ٠ الأول حدد اتجاه البوصلة ٠٠ والثانى قاد السفينة ٠

هكذا اذن تصبح دراسة بن جوريون مهمة ، بقدر ما دراسة

اسرائيل المعاصرة مهمة • ان أحدهما لا يمكن فهمه بدون الآخر ، ولم يكن ممكنا وجوده بغير الآخر • ان بن جوريون كان أول وزير دفاع لاسرائيل ، وأول رئيس وزراء لاسرائيل ، وأطول من بقوا في هذا المنصب (أكثر من ١٣ سنة) • انه من منصب وزير الدفاع بدأ وأدار حرب ١٩٤٨ • وهو ـ من منصب وزير الدفاع ورئيس الوزراء ـ بدأ وادار حرب ١٩٥٦ • وهو ـ من خارج المنصب الرسمي ـ اعطى نصائحه وبركاته لتلاميذه الذين بدأوا وأداروا حرب ١٩٦٧ • وحتى الآن•• فانه يعتبر ـ في تقاعده ـ الشخصية الوحيدة في اسرائيل ، التي تستطيع أن توجه وتؤثر بغير الاعتماد على حزب أو منصب • ان هذا طبيعي ، لأن بن جوريون هو مؤسس الدولة ومهندسها الفعلي • ان بصماته ما زالت تطبع العقل الاسرائيلي حتى الآن من خلال الجيل الذي تتلمذ عليه ، وأبرز مثل لهذا الجيل هو « موشي ديان » وزير الدفاع الحالي • وعندما حدثت أزمة وزارية في اسرائيل قبيل حرب يونيو ١٩٦٧ ، فان العسكريين والسياسيين ـ من أقصى اليمين وأقصى اليسار ـ كانوا جميعا يذهبون الى بن جوريون ليعرضوا عليه خططهم وافكارهم بصدد الموقف الذي اشتعل مع مصر وقتها •

اننا اذا كنا نريد اذن أن نعرف كيف تفكر اسرائيل•• وكيف تفكر الحركة الصهيونية عموما ، فان بن جوريون يمثل حلقة هامة في نطاق بحثنا • ان بن جوريون هو النموذج الحي لما يسمى (الصهيونية الكلاسيكية) • انه يهودي روسي ـ مثل معظم الزعماء الكبار في اسرائيل ـ ولد سنة ١٨٨٦ في مدينة (بلانسك) البولندية الخاضعة وقتها لروسيا القيصرية • وفي سنة ١٩٠٦ هاجر الى فلسطين مع عدد من زملائه فيما سمي (بالهجرة الثانية) •

وفي كتاب (اسرائيل : سنوات التحدي) يقول انه فوجىء في فلسطين بظاهرتين :

أولاهما : ان اليهود يعيشون حياة (الأفندية) ، ويحصلون على دخولهم من تأجير الارض وبعض المهن الأخرى (كالتجارة) ، وهذا معناه « •• اننا لن نأخذ فلسطين بهذه الطريقة ، فبين الأرض والشعب ، لا بد من وجود رابطة عمل » •

ثانيا : ان السلاح في أيدى اليهود كالعدم • فهم لا يصلحون لحمل السلاح منذ قرون مضت •

ووجد بن جوريون ، أن هاتين الظاهرتين لا بد أن تكونا جزءا من مهمة العمل الصهيوني : تعليم اليهود الزراعة •• فهي التي تربط الفرد بالارض ، وتعليمهم حمل السلاح • (وكان هذا هو السبب الحقيقي •• الذي دعا بن جوريون بعد ذلك من أجله لتشكيل فيلق يهودي يحارب في صف الحلفاء) •

لقد وجه نداءه الى الملاك اليهود في فلسطين ، لأنهم ـ في رأيه ـ مثل يهود أوربا ، طبقة متوسطة لا تريد الا الربح ، ولأنهم ـ ثانيا ـ يستأجرون الشركس لحمايتهم ، ولأنهم ـ ثالثا ـ يستخدمون مزارعين عربا •

لقد كان بن جوريون يرى ، أن المال اليهودي اذا انتقل من جيب يهودي•• فيجب أن ينتقل الى جيب يهودي آخر، ولهذا السبب•• فيجب على الملاك اليهود أن يستأجروا عمالا يهودا وليس عمالا عربا• انه في كتاب (قدر اسرائيل) يقول : «•• ان المستعمرات اليهودية أنفقت ملايين الفرنكات ، والقسم الأكبر من هـذا المبلغ ذهب الى جيوب العرب •• ان كل مزارع ينضم الينا ، معناه انعـاش ثلاث عائلات عربية دون فائدة لليهود ، لأنهم لا يعيدون لليهود شيئا مما يأخذون •• يجب على اسرائيل (وهي لم تكن موجودة بعد !) أن تعرف ان الملاك اليهود لن يرجعوا ـ أرض الميعاد ـ الا اذا كان العمال الذين يشتغلون لديهم يهودا » ! •

ومن الناحية الأخرى •• بدأ بن جوريون يركز جهـوده أيضا على الجبهة الثانية : **جبهة القوة المسلحة** •

فبعد سنوات قليلة من وصـول بن جوريون الى فلسطين ، وقبيل نشوب الحرب العالمية الاولى ، ركز الصهيونيون في فلسطين طلباتهم من الوالي التركي في السماح لهم بأسلحة • ويقول بن جوريون نفسه عن تلك الفترة : « كنا ننتظر مجيء الأسلحة ليـلا ونهارا ، ولم يكن لنا من حديث الا عن الاسلحة •• وعنـدما جاءتنا الاسلحة لم تسعنا الدنيا من فرط فرحتنا •• كنا نلعب بالاسلحة كالأطفال،

ولم نعد نتركها أبدا ٠٠ كنا نقرأ ونأكل ونتكلم والبنادق فى أيدينا أو على أكتافنا » ٠

لقد كان بن جوريون ، يرى أن القوة المسلحة ، هى التى ستخلق الحقائق المادية فى فلسطين ، وهى التى ستقرر فى النهاية أيهما الطرف الرابح فى الصدام : اليهود أم العرب ٠ لهذا قام بن جوريون وقتها بتشكيل فرق حراسة (هاشومير) ، واختار لها شعارا هو : (بالدم والنار سقطت اليهوديه ٠٠ وبالدم والنار سوف تقوم ثانية) ٠

وفى سنة ١٩٢١ تحولت فرق (الهاشومير) الى جماعة كبيرة مسلحة وسرية سميت (الهاجاناه) ، التى وضع بن جوريون أيضا بصماته على تفكيرها من البداية ٠ لقد كان بن جوريون يريد من (الهاجاناه) أن تصبح قوة عسكرية مسلحة، تساند المطالب السياسية للصهيونية فى فلسطين ٠ وفى كتاب (بن جوريون ينظر للوراء) يؤكد هو أن الصهيونيين « ٠٠ لو لم يعتمدوا على القوة المسلحة ، لما استطاعوا اختراق أرض جديدة » ٠

* * *

مرة أخرى : القوة ٠

مرة أخرى تصبح كلمة (القوة) هى المفتاح السحرى لفهم العقل الاسرائيلى كله ، وبن جوريون تجسيد له ٠ لقد ظلت القوة هى محور تفكير بن جوريون منذ وصل الى فلسطين فى ١٩٠٦ ، ومنذ أصبح عضوا فى المجلس التنفيذى للوكالة اليهودية بفلسطين سنة ١٩٣٣، ثم رئيسا له بعد ذلك ، ومنذ أن أصبح وزيرا للدفاع فى الدولة الجديدة ٠٠ ورئيسا لوزرائها بعد ذلك ٠

وفى كتاب للمؤلف الصهيونى (ناداف سافران) يقول بن جوريون : انه كان يؤمن دائما بأنه : « **يجب علينا أن نتكلم عن السلام كما لو كنا لن نحارب ٠٠ ونتكلم عن الحرب كما لو كنا لانريد السلام** » ٠

وفى كتاب آخر كتبه عنه المؤلف الأمريكى (روبرت جون)

يقول : « ان الكثيرين يرون أن بن جوريون رجل انتهازى • وفى الحقيقة •• فان هذه الصفة تنطبق عليه تماما » •

وفى الكتاب ذاته يقول بن جوريون نفسه : «**ان الأغبياء هم وحدهم الذين يفتشون عن المنطق فى التاريخ**» ويقول أيضا : « **ان سياسة اسرائيل يجب أن تقوم على اعتبارات الأمن وحدها** » •

ما هى اعتبارات الأمن الاسرائيلى فى نظر بن جوريون ؟

انها قاعدة مثلثة الزوايا : الهجرة •• مساندة دولة كبرى •• حدود يسهل التوسع فيها والدفاع عنها •

ولو بدأنا بالضلع الأول فى المثلث الآسرائيلى ، من وجهة نظر بن جوريون ، وهو الهجرة ، فسوف نجد انه يرى أن على اسرائيل أن تعمل بكل الطرق وكل الوسائل على مضاعفة اعداد المهاجرين اليها • ان هذا هو الذى يحسم ـ فى المدى الطويل ـ مشكلة الأمن وامكانيات التوسع الاسرائيلى فى المنطقة •

وفى هذه النقطة قال بن جوريون فى مايو ١٩٤٩ (بعد قيام اسرائيل) : « اننا لم نحقق بعد هدفنا • فنحن حتى الآن لم نحرر من بلادنا سوى جزء واحد فقط • **ان علينا أن نجعل الحرب حرفة يهودية** » •

بل ـ أكثر من ذلك ـ قال بن جوريون فى ٢٥ ديسمبر ١٩٦٠ أمام المؤتمر الصهيونى الخامس والعشرين : « **ان الصهيونية أصبحت لا تحمل الا معنى واحدا •• هو الهجرة الى أرض صهيون •• ان كيان اسرائيل وكيان الصهيونية العالمية يقومان على الهجرة الى اسرائيل •• ان كل يهودى يجب أن يهاجر الى اسرائيل • ان كل يهودى أقام خارج اسرائيل منذ انشائها يعتبر مخالفا لتعاليم التوراة •• وهذا اليهودى يكفر يوميا باليهودية** » !

وفى الكنيست (البرلمان الاسرائيلى) أعلن بن جوريون مرارا : « ان دولة اسرائيل تعتبر اليهود فى جميع أنحاء العالم امة واحدة • ويتحتم على الصهيونيين فى جميع أنحاء العالم أن تكون لديهم الشجاعة للوقوف فى صف اسرائيل •• حتى ولو كانت حكوماتهم

ضد هذه الفكرة • كمـــا أن كل من يعيش خـارج اسرائيل يعتبر بلا رب » !

ففي حرص « بن جوريون » على زيادة الهجرة الى اسرائيل •• يذهب الى المدى الذى يحكم فيه على كل يهودى بأنه بلا اله •• ما لم يهاجر الى اسرائيل ، وبلا اله ما لم يخلص الى اسرائيل • ويهودى نصف الوقت •• ما لم يهـــاجر الى اسرائيل • بل انْ بن جوريون يحرض كل يهودى خارج اسرائيل على أن يذهب فى اخلاصه لها الى المدى الذى يتنافى مع اخلاصه المفترض للدولة التى يحمل جنسيتها والمجتمع الذى يعيش فيه •

ولقد كان خوف اليهود من نظرة انشك وآلارتياب فى ولائهم •• هو الذى دفع بعضهم الى محاوله الرد على بن جوريون فى هذه الآراء • ومن الدانمارك رد عليه حاخام اليهود مرة فى سنة ١٩٦١ قائلا : « اذا أراد الرئيس ـ بن جوريون ـ ان يقنعنا بأنه لكى نكون يهودا فى كل لحظـة من لحظات حياتنا فان علينـــا أن نعيش فى اسرائيل ، فانه يحق لى أن أسأل سؤالين • أولا : هل من الضرورى أن نكون يهودا فى كل لحظة من لحظات حياتنا ؟ وثانيا ـ ألا يرى أن كون الشخص يهوديا وكونه مخلوقا بشريا يتعادلان فى القوة والمعنى ؟ ألا يستطيع المرء أن يكون يهوديا وانسانا الا فى بضـــعة كيلو مترات تكون الدولة الاسرائيلية ؟ »

ولكن هذا المنطق لا يهم بن جوريون •• ان ما يهمه فقط ، هو أن اسرائيل فى حاجة الى ملايين جديدة من اليهود •• لكى تحشد بهم ما تســـميه الصهيونية (أرض اسرائيل التاريخية) ان هذا الاصطلاح الذى يؤمن به بن جوريون يقصد به الأراضى التى تشمل فلسطين والأردن وسيناء ومرتفعات سوريا وجنوب لبنان •

وهذا الطابع التوسعى الاستعمارى فى الحركة الصهيونية يحلله المؤلف الأمريكى (آلان تيلور) فى كتـــاب (مدخل الى اسرائيل) فيقول :

«لقد كان من المفروض ، أن الحركة الصهيونية قد حققت هدفها باقامة دولة اسرائيل ، وهذه فكرة غير صحيحة •• فمازالت الحركة

الصهيونية قائمة ومستمرة ، وسوف تظل مستمرة لانها تعتبر أن أمامها واجبا مزدوجا تريد أن تحققه ·· فأولا هي تريد تجميع كل يهود العالم ، وهي تعتبرهم جميعا منفيين يقيمون في المنفى ، والى أن يحضر اغلبية يهود العالم الى اسرائيل ويرضى كل منهم بأن يصبح مواطنا اسرائيليا ، ستظل الصهيونية تعتبر أنها لم تحقق كل هدفها · وثانيا ــ ان الصهيونية ترى ان واجبها الثاني هو مد الدولة اليهودية الى حدود أرض اسرائيل Eretz Israel ولا يرجع هذا لمجرد أسباب رومانتيكية ، بل لأن هذا اعتبار هام وضروري لامداد اسرائيل بالقوة الاقتصادية اللازمة ، وبالمساحة الجغرافية اللازمة لتوطين اليهود المهاجرين اليها » ·

ويستطرد آلان تيلور في كتابه قائلا : «ان هذه المطامع الاقليمية ليست جديدة على الحركة الصهيونية · فالمذكرة الأصلية التي قدمتها المنظمة الصهيونية الى مؤتمر السلام بباريس سنة ١٩١٩ كانت تطالب بأن يمتد وعد بلفور ليشمل نطاق تطبيقه : شرق الأردن وجبال حوران بسوريا ولبنان الجنوبية وسيناء · وفي السنوات القليلة السابقة لم تعد المنظمة الصهيونية تكشف علنا عن هذه الأهداف التوسعية الاقليمية ·· ولكنها بالرغم من ذلك تكشف عنها أحيانا ·· كما حدث في الكتاب السنوي لاسرائيل سنة ١٩٥٥ ، وفي تصريحات بن جوريون ·

وربما ، بسبب هــذه النقطة بالذات ، فان بن جوريون ، ابتدع نظرية جديدة طبقها منذ اليوم الأول لقيام اسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، انها نظرية يمكن أن نسميها « نظرية الحدود المفتوحة » ان بن جوريون كان يرى آن اسرائيل تحتاج ــ ولابد من أن تتوسع في حدودها مرحلة بعد مرحلة ــ انه كان يرى أيضا أن القوة هي التي ستحدد حدود الدولة التي فشلت السياسة في تحديدها ·

وفي كتابه « النبي المسلح » الذي أصدره الكاتب الاسرائيلي « ميشيل بارزوهار » عن بن جوريون ، يذكر المؤلف خلافا وقع بين القادة الصهيونيين قبيل حرب ١٩٤٨ حول الحدود التي يمكن اعلانها رسميا للدولة الجديدة · وبعد جدل عنيف بين المجتمعين قال بن جوريون : « لا لزوم لتعيين الحدود » ان بن جوريون لا يريد أن

يقيد نفسه بحدود معلنة للدولة الجديدة ، وهو لا يريد أن يقيد حركته في المستقبل ·· حركته لخلق حقائق مادية يؤدى الزمن الى تحويلها الى امر واقع ·

ان الايمان بالأمر الواقع هو أمر يسود تفكير بن جوريون كله منذ بدايته المبكرة فى فلسطين · فلو رجعنا الى سنة ١٩١٧ سوف نجد أن قيام بريطانيا وقتهـا باصدار وعد بلفور ، أشاع جوا من التفاؤل الشديد بين الصهيونيين ، ومع أن بن جوريون اشترك مع الجميع وقتها فى ذلك ·· الا أنه كتب يقول : « ان وعد بلفور وهدف عصبة الامم من الانتداب سـيبقيان قصاصات ورق اذا نحن لم نستطع جلب اليهود الى فلسطين ، وتجهيز الأرض للتوطن على نطاق واسع ·· آن الهجرة والتوطن سيخلقان حتما الحقائق التى ستجلب الاستقلال » لقد كتب يقول أيضا : « أيهما أكثر اقناعا ·· أن نقول ان الأرض أعطيت لليهود الذين سيأتون بموجب وعد بلفور ، أم لليهود الموجودين فيها ؟ »

وخلال حرب ١٩٤٨ ، كانت وجهة نظر العسكريين هى تركيز القوات اليهودية فى مساحة قليلة حتى يمكن الدفاع عنها ·· ولكن بن جوريون كان أبعد نظرا منهم ، عندما فكر فى حـدود الدولة الجديدة التى ستتمخض عنها الحرب · لقد رفض اخلاء المستعمرات اليهودية النائية · وقال ان كل شـبر حصلوا عليه يجب أن يبقوا فيه ، بل وبالعكس ، من المصلحة أن تتناثر هذه المسـتعمرات فى أماكن بعيدة ومتفرقة ، حتى يصـبح ممكنا الادعاء بانهـا مناطق يهودية · ان وجود مستعمرتين أو ثلاث مثلا فى صحراء النقب كلها ·· سيجعل ممكنا الادعاء بأن صحراء النقب يهودية · آن ما يهم بن جوريون هو اثبات وجود ، أو اثبات حالة وجود صـهيونى فى منطقة ، لكى تصبح هـذه المنطقة بأسرها بعد ذلك جزءا من حدود الدولة الجديدة ·

واذا كنا قد تنـاولنا حتى الآن عنصرى الهجرة ، والحدود المفتوحة ، فى تفكير بن جوريون ·· فان العنصر الثالث الباقى فى قاعدة المثلث هو أهمية التحالف مع دولة كبرى · فعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ووصول حزب العمال البريطانى الى الحكم ، سافر

بن جوريون الى لنــــدن لاجـراء مباحثات غير رســــمية مع الوزير البريطانى بيفن ٠٠ وفى كتاب (**بن جوريون اسرائيل**) يكشــف بن جوريون للمؤلف عن سر جـديد يتلخص فى ٠٠ انه عرض على بيفن انشـــاء قواعد بريطانية فى صـحراء النقب تكون بديلا عن القاعدة البريطانية فى قناة السويس ، وفى مجال الاغراء ٠٠ ذكر بن جوريون أن هناك احتمالا لوجود البترول فى صـحراء النقب ، وأن بريطانيا ستكسب كثيرا لو وافقت على الحصـــول على قاعدة عسكرية ، وكذلك التنقيب عن البترول ٠٠ مقابل (وهــذا هو الثمن) أن تساعد بريطانيا فى زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين والتحالف مع الدولة اليهودية الجديدة ٠

لقد كان بن‌جوريون يجرى تلك المفاوضات ـ غير الرسمية ـ مع بريطانيا كما لو كانت اسرائيل قد قامت فعلا ، مع أن تلك المفاوضات جرت قبل قيام الدولة بسنتين كاملتين ٠

وعندما ننتقل الى كتـــاب آخر عن بن جوريون ، هو « **النبى المسلح** » نجد انه لخص سياسته فى ثلاث نقط هى : « الرد بقوة على العرب ، والحصول على سلاح ، ثم التحالف مع قوى غربية لحفظ سلامة اسرائيل» لقد تغيرت أضلاع المثلث هنا ، اختفى عامل الهجرة وتراجع عامل الحدود المفتوحة ، ولكن عامل التحالف مع قوة غربية ظل سائدا فى سياسة بن جوريون ٠

انه لأمر طبيعى ، أن تصـــبح النقطة بهـذه الأهمية فى بال بن جوريون ومن ورائه اسرائيل كلها ، من البداية ٠ فبهذه الطريقة تســتطيع اسرائيل أن تعيش وتتوسع تحت مظلة القوة الغربية تحقق لهـــا جزءا من مصــالحها ، وفى الوقت نفســه تحقق هى ـ اسرائيل ـ جزءا من أهدافها ٠

لقد شــعرت اسرائيل فى ســـنة ١٩٥٢ ببوادر تحسن فى العلاقات بين مصر وأمريكا ، فدبرت عملية واسعة النطاق للتجسس والتخريب ضد المنشآت الامريكية فى مصر للقضاء على هذه البوادر مقدما ، وعندما اكتشف البوليس المصرى العملية كلها ـ فى اللحظة الأخيرة ـ تسبب ذلك فى فضيحة داخل اسرائيل عرفت فيما بعد باسم (فضيحة لافون) ٠

وعندما فشــل التجسس والتخريب ٠٠ عاد بن جوريون الى الحكم لكى يلجأ الى لعبته القديمة : تقديم قواعد عسكرية لامريكا فى اسرائيل مقابل ضـــمان أمريكى للحدود ، وعندما لم تجد أمريكا الوقت مناسبا لقبول هذا العرض ، بدأ بن جوريون ينقــل مقامرته الى قوة غربية أخرى ٠٠ كانت لها أهدافها الخاصة فى المنطقة ، وهى فرنسا ، وبعد ان ضمن بن جوريون تحالف فرنسا ثم بريطانيا معه ٠٠ بدأ العدوان الثلاثى المشهور فى أكتوبر ١٩٥٦ ٠ لقد دخــل بن جوريون مغـــامرة ١٩٥٦ وهو يريدها « ٠٠ أكثر من غارة ٠٠ وأقل من حرب» حسب تعبيره لجى موليه رئيس وزراء فرنسا ـ فى ذلك الحين ـ ولكنه خرج منها بنصيب الأسد لاسرائيل ٠

ولقد تكررت الأهداف ـ بشـــكل متطور ـ فى حرب ١٩٦٧، حرب خرج بعدها بن جوريون من عزلته فى مستعمرة « ســدى. بوكر» بالنقب ، لكى يطالب بعد أسبوع من وقف اطلاق النيران ، بهدف اسرائيلى جديد : انشاء دولة عربية ذات اســتقلال ذاتى فى الضفة الغربية ترتبط بمعاهدة اقتصـــادية مع اسرائيل ، وتلك ـ فى رأيه ـ هى مقدمة لعقد الصلح مع الأردن ٠

ووقتها ٠٠ لم يكن بن جوريون يعلم أن الملك حسين ـ ملك الأردن ـ سيطالب بالشىء نفسه بعدها بخمس سنوات !

الجزء الثاني

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



التاريخ السري لحروب إسرائيل

تأليف: ميشيل بار زوهار

هذا الكتاب ..

وهـــذا المؤلف

ان الكتب الاسرائيلية التى صدرت لتحلل حرب الأيام الستة فى يونيو ١٩٦٧ ، تمثل اعلى نقطة فى ترمومتر الحرب النفسية ضد العرب ، وبالذات ضد مصر . ان الانتصار الخاطف من جانب اسرائيل .. مقابل الهزيمة الواضحة فى جانب العرب .. يمثلان فرصة ذهبية و « فاترينة » ضخمة تعرض اسرائيل من خلالها كل ماتريد . لهذا .. فان ابتلاعنا لهذه الجرعة .. يزيدنا قوة برغم انه يملؤنا مرارة . انه يزيدنا قوة بشرط ان تكون هذه الجرعة مقدمة لعلاج المرض واستئصال الأسباب .

والكتاب الذى نعرضه هنا على لسان مؤلفه ، ليس هو الكتاب الوحيد الذى يتناول احداث يونيو ١٩٦٧ بالتفصيل . انه ليس الكتاب الوحيد ، ولكنه يعتبر الكتاب الأمثل ، الذى يمثل وجهة نظر اسرائيل فى تلك الأحداث . ان المؤلف اختار لكتابه عنوان « التاريخ السرى لحرب اسرائيل » ، ونحن نختار له عنوانا بديلا هو « التاريخ الاسرائيلى لحرب ١٩٦٧ » ، لأنه اكثر الكتب تعبيرا عن وجهة نظر اسرائيل فى تلك الحرب التى لم تنته بعد .

ان المؤلف هو « ميشيل بارزوهار » ، وهو اسرائيلى تخصص فى الكتابة عن الأزمة العربية الاسرائيلية . لقد صدرت له من قبل اربعة كتب ، كان من بينها كتاب « حرب السويس — سرى جدا » .. وهو كتاب نشر فى اعقاب حرب ١٩٥٦ .

وفى هذا الكتاب الجديد « التاريخ السرى لحرب اسرائيل » حصل المؤلف على معلوماته من حوالى مائتى شخصية عسكرية وسياسية فى اسرائيل وامريكا

وبريطانيا وفرنسا ، وتناول بالتفصيل موقف كل الأطراف الدولية بالنسبة للنزاع، تناولا يمثل ـ بالطبع ـ وجهة نظر اسرائيل • وفى هذه الحدود •• فان الكتاب يكشف أسرارا جديدة ، ليس بالنسبة للتفكير الاسرائيلى فقط •• ولكن بالنسبة لدور امريكا فى الأزمة أيضا ، وخصوصا بالنسبة للدور الذى قام به الأخوان «يوجين روستو» و «والت روستو» ، لخدمة اهداف السياسة الاسرائيلية خلال الأزمة، لقد كان الأول وكيلا لوزارة الخارجية الأمريكية ، والثانى مساعدا للرئيس الأمريكى جونسون •• ومن خلال هذين المنصبين الحساسين •• استطاعا ان يقوما بتأثير خطير فى السياسة الأمريكية خلال تلك الأيام الحاسمة من سنة ١٩٦٧ •

وفى النهاية •• فان هذا الكتاب •• هو واحد من الكتب الاسرائيلية الممنوعة من التداول فى مصر والدول العربية •



- ١ -

فى جهة ما من أوربا •• التقطت الأجهزة ـ الحساسة جدا ـ لمخابرات احدى دول الغرب ذات مســاء برقية سرية • ان ادارة مخابرات تلك الدولة لها شهرة ذائعة الصيت •• شهرة لم تفقدها قط بالرغم من بعض الأخطاء والنكسات التى منيت لها •

وقد تم حل شفرة البرقية على الفور • وقبل منتصف الليل ، وضعت البرقية كاملة على مكتب الضابط المسئول فى ادارة هــذه المخابرات ، واتضح أنها عبارة عن تقرير من احدى السفارات فى القاهرة ، موقع من السفير، وموجه الى وزارة الخارجية التى يتبعها••!

وكان هــذا التقرير الذى أرسله السفير فى ليلة ١٢ مايو ١٩٦٧ ، يخفى بين طياته نبأ أشبه بالقنبلة الزمنية ، التى تنفجر بعد فترة من الوقت • لقد كانت الفقرة قبـل الأخيرة من التقرير تقول :

« لقد قمنا اليوم .. بابلاغ السلطات المصرية بالمعلومات المتعلقة بحشود القوات الاسرائيلية على الحدود الشمالية ، التى تهدف الى القيام بهجوم مفاجىء ضد سوريا . وقد نصحنا الحكومة المصرية باتخاذ التدابير الضرورية فى هذا الصدد » .

وفى هذه الأمسية .. لم يكن أحد يشك فى أن «هذه العبارة» ستكون الشرارة التى تفجر برميل البارود الضخم ، الذى يسميه الجغرافيون (الشرق الأوسط) .

وقبل ذلك بفترة بسيطة .. كان الموقف قد توتر تماما على الحدود السورية الاسرائيلية . ففى نوفمبر ١٩٦٦ قام الجيش الاسرائيلى بغارة انتقامية ضد سوريا ردا على أعمال التخريب التى كان يقوم بها فدائيو منظمة « فتح » القادمون من قرية « السموع » الأردنية . وكانت تلك الغارة أكبر العمليات العسكرية التى قام بها الجيش الاسرائيلى فى أرض العدو حتى ذلك الوقت . ووقتها .. عاب السوريون على الملك حسين عجزه الواضح تجاه الجيش اليهودى ، وطالبوا مصر بالقيام بعمل رادع لاسرائيل .. وبناء على ذلك .. وقعت اتفاقية دفاع مشترك بين مصر وسوريا .

وازداد توتر الموقف ، عندما حدثت معركة هامة فى ٧ ابريل ١٩٦٧ بين اسرائيل وسوريا ، قامت فيها عشرات الطائرات الاسرائيلية بالتغلغل فى مجال سوريا الجوى . وفى يوم الخامس من مايو ١٩٦٧ قام رئيس وزراء مصر بزيارة سوريا ليعلن أن المعاهدة سوف تطبق فقط فى حالة قيام اسرائيل بهجوم عام على سوريا . وقد نشأ هذا الموقف عندما نقلت الحكومة السورية الى مصر معلومات سرية جدا مؤداها .. أن اسرائيل تنوى الهجوم على سوريا يوم ١٧ مايو . وفى صباح ١٤ مايو ١٩٦٧ عقد اجتماع محدود فى قاعة الجلوس فى منزل عبد الناصر بالقاهرة ، قدم فيه مدير المخابرات المصرية تقريرا يؤكد فيه ـ هو الآخر ـ أن اسرائيل تعتزم الهجوم على سوريا . وقد اتضح فيما بعد .. ان كل هذه التقارير كان مصدرها واحدا .

وقد زاد على ذلك .. ان « ليفى أشكول » رئيس وزراء

اسرائيل أعلن فى خطاب له ، أنه فى حالة نشـوب حرب ٠٠ فان الأسطول السادس سوف يتدخل الى جانب اسرائيل ٠ ثم تتابعت بعد ذلك خطب لعدد من الوزراء الاسرائيليين ضـمنوها تهديدات خطيرة ضد سوريا ٠

وفى هذا الاطار ٠٠ أصـدر عبد الناصر تعليمات الى قيادة الجيش بأن تنظم فورا مناورة رادعة ضد اسرائيل ، تحشد فيهـا المدرعات والطائرات ووحدات المشاة فى سيناء ، بحيث تهدد صراحة حدود اسرائيل الجنوبية ٠٠ فيصبح من المستحيل عليها القيام بأى مبادرة فى الشمال ٠

وفعلا ٠٠ تلقى رؤساء الوحدات فى الجيش المصرى الأمر اليومى « رقم ١ » ونصه : « **أعلنت حالة الاستعداد القصوى ابتداء من يوم ١٥ مايو ، الساعة ١٤٫٣٠ ٠ وتغادر الفرق والوحدات التى أعدت ـ للعمليات ـ مراكزها الحـالية ، وتتحرك نحو منـاطق التجمع والاحتشاد التى خصصت لها ٠ وتستعد القوات المسلحة للانتقال للقتال على الجبهة الاسرائيلية طبقا لسير العمليات** » ٠

* * *

وفى واشنطن ، فى الساعة التاسعة و ٤٥ دقيقة ، استكملت السفارة الاسرائيلية ـ التى تقع فى الشـارع الثانى والعشرين ـ استعداداتها للاحتفال بعيد استقلال اسرائيل (١٥ مايو) ٠ وبينما كان يستعد « ابراهام هارمان » السفير الاسرائيلى للمؤتمر الصحفى الذى سيعقده بعد لحظات ، جاءته مكالمة تليفونية من « لوشـيوس باتل » ، الذى كان سفيرا لأمريكا فى القاهرة ، قبل أن يصبح وكيلا لوزارة الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط ٠

ان باتل ، أبلغ السـفير الاسرائيلى ، بأن قوات مصرية عبرت مدينة القاهرة ومرت تحت شرفات السـفارة الأمريكية متجهة نحو سيناء ٠ ولم يكن « باتل » يشعر بقلق شديد ، لأنه قال للسفير « ٠٠ ليست هذه سوى مظاهرة لاستعراض القوة ، وربما كانت ردا على الاستعراض العسكرى الذى أقيم فى القدس ، فأنتم تحركون قواتكم ٠٠ وهم يحركون قواتهم » ٠

وفى موسكو ، كان « ايجال آلون » وزير العمل الاسرائيلى ، يقوم بزيارة رسمية للاتحاد السوفيتى لمدة ثلاثة أسابيع • وقد كانت تلك الفترة •• تشهد قلقا شديدا متزايدا من جانب الروس • فقد حدث انهيار مستمر لعدد من المراكز الهامة للمعسكر الاشتراكى فى جميع انحاء العالم •• وقد حمل هذا الى اعتقاد الروس بأن مؤامرة استعمارية يجرى تنفيذها على النطاق العالمى • فسقوط « بن بيلا » أعقبه سقوط « سوكارنو ونكروما » • وآستولت الرجعية على السلطة فى الكونغو • وفى اليونان سحق كولونيلات الجيش ـ من أنصار اليمين المتطرف ـ الحريات الديموقراطية • وفى سوريا ارتفعت درجة حرارة الحمى • وفى مصر اكتشفت مؤامرة الاخوان المسلمين • وفى السعودية بدأ السعى لعقد تحالف اسلامى • وكان من رأى السوفييت •• أن واشنطن هى التى تحرك الخيوط من وراء الكواليس •• !

وفى هذا الجو •• أصبح السوفيت مقتنعين فى ربيع ١٩٦٧ بأن الاسرائيليين يعدون ، لعدوان غادر على سوريا ، وأن هذا العدوان أصبح وشيكا •

***

وفى اسرائيل ، كان « اسحق رابين » رئيس هيئة أركان حرب الجيش قد وجه الدعوة للقواد الستة السابقين للجيش لمرافقته فى جولة تفقدية • وخلال الجولة •• تبادل رؤساء أركان الحرب السابقون الأسئلة حول حشود المصريين ، ووقتها قال رابين « **ان المصريين يواصلون التمركز فى سيناء ، وهم يحتفظون عادة فى هذه المنطقة بحوالى فرقة و ٢٥٠ دبابة • وقد جلبوا فى الوقت الحاضر مئات من الدبابات الاضافية • وليس هناك شك فى ان الأمر يتعلق باستعراض القوة ولكن ما الذى يفعلونه بعد ذلك** » •

وقاطعه موشى دايان : اننى أستطيع ان أقول ماذا سيفعلونه • انهم سيطلبون سحب قوات الأمم المتحدة • وهذه القوات ستجد نفسها مرغمة على الاذعان لانها ترابط فى أرض مصرية • واذن ، فاذا كان « عبد الناصر » يرغب فى القيام بخطوة أخرى الى الأمام ، فانه يستطيع اغلاق مضايق تيران •

***

وفي غزة ، وصل ــ فى الساعة العاشرة مساء ــ رسول متعجل من قبل أركان الحرب المصريه الى مقر «الجنرال ريكى» الرجل الهندى الذى يقود جيش الأمم المتحدة ، وسلمه رسالة شخصية وقعهـــا رئيس أركان حرب الجيش المصرى وهذا نصها :

« يهمنى أن أبلغكم أنى أصدرت الأمر الى جميع القوات المصرية المسلحة بالاستعداد للعمل ضد اسرائيل ، فى حالة ما اذا قامت هذه الدولة بعدوان ضد أية دولة عربية • وتنفيذا للأوامر التى تسلمتها قواتنا ، فانها تمركزت على حدودنا الشرقية فى سيناء • ولضمان سلامة جنود قوات الامم المتــحدة ، فانى أطلب منكم اصدار الأمر الى هؤلاء الجنود باخلاء مواقعهم على الحدود ، واعادة تجميعهم فى قواعدهم فى شريط غزة » •

لقد كانَ هذا الخطاب بارعا ، وزنت كل كلمة فيه بدقة • فهو لم يثر مطلقا موضوع رحيل قوات الأمم المتحدة ، وانما أشار فقط الى اعادة تجميعها مؤقتا فى قواعدها • كما أنه لم يناقش مطلقا مسألة قوات الأمم المتــحدة المرابطة فى شرم الشيخ ، وهى النقطة الاستراتيجية التى تتحكم فى مداخل مضايق تيران • **وكان الهدف مزدوجا** : الحصول على نصر يحقق الهيبة لاســتخدامه داخليا ، وللبرهنة للجماهير على أنه لايوجد تردد فى طرد قوات الأمم المتحدة لمواجهة اسرائيل بحرية ، وفى الوقت نفسه•• افهام الدول الكبرى أن مصر لا تستهدف شن الحرب على اسرائيل أو اغلاق مضايق تيران •

وفى نيويورك ، قال « رالف بانش » مساعد السكرتير العــام للأمم المتحدة لرئيسه « أوثانت » : ان طلب المصريين غير قانونى ، وهو أشبه ــ الى حد كبيرــ بطريقة جس النبض ، ويجب الرد على مصر بأننا لا نقبل أنصاف الحلول من هذا النوع • فاما أن تستمر قوات الأمم المتحدة فى أداء مهمتها بانتظام ، واما أن نسحبها نهائيا من مصر • وعندما قام أوثانت بابلاغ هــذا الرأى لمحمد عوض القونى الممثل المصرى فى الأمم المتحدة •• فانه كان مقتنعا بأن مصر لن تطلب جلاء قوات الطوارىء • ولكنه كان مخطئا • لقد طلبت مصر سحب قوات الطوارىء نهائيا • ومن هذه اللحظة •• تحولت اللعبة الصغيرة الى شىء آخر ، وبدأت مرحلة جديدة سوف تؤدى الى الحرب •

* * *

وفى تل ابيب، أثيرت ـ لأول مرةـ النظرية التى كانت سائدة فى الجيش الاسرائيلى ، ومؤداها أن عبد الناصر لن يشـن الحرب ضد اسرائيل طالما ظل جزء كبير من جيشه مجمدا فى اليمن • وشرح رئيس هيئة أركان الحرب « لأشـكول » تحركات القوات المدرعة الاسرائيلية فى الجنوب واستعدادها لأى احتمال فى مواجهة طوابير الدبابات المصرية • وفى الليلة السابقة •• تمت تعبئة لواء احتياطى فى سلاح المدرعات وتقرر استدعاء قوات أخرى ، ثم أذاع متحدث عسكرى أن « الجيش الاسرائيلى قد اتخذ التدبيرات الضرورية نتيجة لتعزيز القوات المصرية فى سيناء » •

وفى الوقت نفسه •• أضاء جهاز الراديو فى سفارة الولايات المتحدة بتل أبيب • وكان الأمر يتعلق برسالة يطلب فيها الرئيس الآمريكى جونسون من سفيره نقلها الى « ليفى أشـكول » رئيس وزراء اسرائيل والرسالة تقول :

« اننى لا أجهل أنك وبلادكم تقاسون كثيرا من الحوادث التى تقع كثيرا على حدودكم •• وانى أرغب فى أن أوضح لكم بصراحة : أنه يقع على عاتقكم واجب الامتناع عن أية خطوة قد تؤدى الى زيادة التوتر واشعال نار العنف فى المنطقة • وانكم تدركون جيداـ بدون شك ـ أن الولايات المتحدة ، لا تستطيع أن تشعر أنها مسئولة عن موقف يمكن أن ينتـج عن أعمال لم يتم التشاور معنا بشأنها ، مع تحياتى الخالصة ـ ليندون جونسون » •

* * *

وفى سيناء ، انتشرت ثلاث فرق مصرية وأكثر من خمسمائة دبابة ، وفى اليـوم نفسه (١٨ مايو) أصدرت أجهزة اللاسلكى بالسلاح الجوى المصرى أوامر تتعلق بالعمليات موجهة الى مختلف القواعد وهى « **سرى جدا •• اننا بصدد عمل يهدف الى قطع جنوب النقب والاستيلاء على ايلات • وستضرب القوات المصرية بقنابلها مطار ايلات ومحطة الراديو وصهاريج البترول خلال هجوم سيقوده قائد الطيران** » •

وفى الوقت نفسه•• تم الاتفاق بين «ليفى أشكول وأبا ايبان»

على مشروع الرد على رسالة جونسون ، وهو عبارة عن عدة نقاط :

أولا ـ أن الأزمة الخطيرة نشأت نتيجة موقف سوريا ٠

ثانيا ـ أن مصر وزعت قوة هجومية تبلغ ٥٠٠ دبابة ، ويجب مطالبتها باعادة هذه القوات الى الجانب الآخر من القناة ٠

ثالثا ـ يجب ألا تنسحب قوات الأمم المتحدة ٠

رابعا ـ على أمريكا أن تؤكد مرة أخرى ـ علنا ـ الضمانات التى قدمتها لاسرائيل فيما مضى ٠

***

وفى واشنطن، ازداد القلق فى الادارات الرسمية التى ارتسم أمام ناظريها خطر نشوب حرب ثانية ، على غرار حرب فيتنام فى الشرق الأوسط ٠ وقد حاصر « آبراهام هارمان » سفير اسرائيل والوزير « افرايم افرون » مكتبى « لوشيوس باتل » وكيل وزارة الخارجية و « يوجين روستو » مساعد وزير الخارجية ٠ **وبدأت الدوائر الموالية لاسرائيل فى التحرك ، ووصلت الى البيت الأبيض ، من جميع الجهات نداءات من الأحزاب السياسية والنقابات ورجال الصناعة والقضاء وأعضاء الكونجرس ، تطالب رئيس الولايات المتحدة بأن يذيع تحذيرات تحمل مصر على التراجع ٠**

وفى الصباح ٠٠ وقع جونسون رسالة سرية موجهة الى رئيس الحكومة السوفيتية ٠ وقد أظهرت الاتصالات الأخيرة للدبلوماسيين الأمريكيين أن القاهرة ودمشق مقتنعتان بأنه ـ فى حالة نشوب حرب مع اسرائيل ـ فانهما سيجدان المساندة من جانب الاتحاد السوفيتى ٠ وقد اتخذت الولايات المتحدة ، من جانب آخر ، تعهدا بالدفاع عن سلامة اسرائيل واستقلالها ٠ وهكذا يمكن الاستنتاج بسهولة : أن الدولتين الكبيرتين يمكن أن تجدا نفسيهما وجها لوجه اذا نشبت الحرب فى الشرق الأوسط ٠ وقد بعث جونسون برسالته من أجل تحاشى مثل هذا الخطر ٠ فقد اقترح على رئيس الحكومة السوفيتية أن تتخذ دولتاهما المبادرة المشتركة لتلافى تفاقم النزاع الاسرائيلى العربى ٠

وكانت هذه الرسالة ، تشكل احدى محاولتين عاجلتين افترضتهما وزارة الخارجية الأمريكية : فاذا تبين أن رد موسكو ليس وافيا ، فان الولايات المتحدة ستتجه الى بريطانيا وفرنسا للاتفاق على سياسة مشتركة تقوم على أساس التصريح الثلاثى الصادر فى عام ١٩٥٠ ، والذى تعهدت بموجبه الدول الثلاث الكبرى بضمان احترام الوضع القائم فى المنطقة .

وفى هذا الصباح .. ترددت انذارات الخطر فى وقت واحد فى نقط متعددة فى العالم . **ففى لندن** .. أعلن جورج براون وزير الخارجية أنه أجل سفره الى موسكو . **وفى نيويورك** .. أعلن أوثانت أنه سيطير الى مصر لمقابلة عبدالناصر . **وفى غزة** .. خرجت الجماهير تصيح «الموت لليهود» . وفى **اسرائيل** .. أعلنت التعبئة العامة .

* * *

وعندما اجتمعت هيئة أركان الحرب الاسرائيلية فى ذلك اليوم ، كان عبد الناصر قد حطم الأسس التى عاشت عليها الفكرة العسكرية الاسرائيلية منذ سنوات عديدة . فالقوة الرادعة للجيش اليهودى لم تمنع عبد الناصر من ممارسة أعمال استفزازية صارخة .. والنظرية القائلة بأن اسرائيل لن تتعرض للخطر طالما ظلت حرب اليمن قائمة .. انهارت فى ليلة واحدة . وكان من المعترف به ، أن عبد الناصر ـ الذى لا يزال ضعيفا ـ لن يدخل فى حرب ضد اسرائيل ، على الأقل حتى سنة ١٩٧٠ . ولكن هذا الافتراض أصبح هو أيضا موضع جدل . لقد أثبت انسحاب جنود الأمم المتحدة أن مصر مستعدة لمواجهة اختبار القوة .

وعند الظهر ، جمع الكولونيل « موشى كاشتى » المدير العام لوزارة الدفاع رؤساء مختلف الادارات ، وقال لهم : **اننا منذ هذه اللحظة فى حالة طوارىء . ومن الآن فصاعدا ستعمل جميع الادارات الى الساعة الخامسة حتى أيام السبت والأعياد . وجميع شحنات الأسلحة التى تنتجها مصانعنا الحربية والموجهة لعملاء أجانب سوف توقف . وبالعكس ، فاننا سنبذل قصارى جهدنا لشراء كل مانستطيعه من العالم كله . ولأسباب تتعلق بالأمن .. فان المحادثات التليفونية مع بعثات المشتريات الاسرائيلية فى الخارج ستتوقف .**

ولن تتم الاتصالات الا بالبرقيات على مدى الأربع والعشرين ساعة في اليوم » .

❋ ❋ ❋

وفي واشنطن ، قال « يوجين روستو » للسفير الاسرائيلي : « اننا ننصحكم بألا ترددوا باستخدام القوة ضد مصر ، الا اذا أغلقت مصر المضايق . وحتى في هذه الحالة .. لا تقوموا باجراء من جانب واحد . ان اتفاقية حرية الملاحة هي أقوى الاتفاقيات التي وقعت بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وأكثرها صراحة وتحديدا فيما يتعلق بالتزامات الحكومة الأمريكية . لقد طلب منا « أشكول » في خطابه أن نعيد مرة أخرى اعلان تعهدآتنا نحوكم . ونحن ندرس مثل هذا الاحتمال ، ولكننا نفضل الآن أن نتصرف في نطاق الأمم المتحدة . ولكيلا تتجاوزنا الأحداث ، فانه ينبغي علينا ألا نقوم بأي عمل من جانب واحد » .

❋ ❋ ❋

وفي تل أبيب ، أخذ وزير الخارجية ومكتب رئيس الوزراء يلقيان المسئولية بعضهما على بعض . **لماذا لم يقدم طلب لعقد مجلس الأمن في اللحظة التي وافق فيها أوثانت على سحب جنود الأمم المتحدة ! لماذا لم تعرف أجهزة المخابرات الاسرائيلية** ـ في الوقت المناسب ـ نوايا عبد الناصر ؟ **ان «جاليلي» وزير الاعلام الاسرائيلي كان يخشى أن يقوم الطيران المصري بهجوم خاطف على المطارات التي يستخدمها الطيران الاسرائيلي . وكان الوزراء المدنيون يخشون أن يعد السوفييت هجوما** ضد مراكز الغرب في المنطقة . أما « ليفي أشكول» رئيس الوزراء ووزير الدفاع **فكان يسيطر عليه التردد .**

❋❋❋

وفي مطار القاهرة الدولي ، هبط في اليوم نفسه (٢١ مايو) ريتشارد فولت السفير الجديد للولايات المتحدة في مصر . وعندما سأله الصحفيون في المطار عن أزمة الشرق الأوسط ، فتح عينيه مندهشا وأجاب متسائلا : آية أزمة ؟!

وفي اليوم التالي .. استقل أوثانت الطائرة متجها الى القاهرة، وقبل ان يفعل ذلك ، اجتمع به « جولد برج » الممثل الأمريكي في الأمم المتحدة وأبلغه ، « أن دين راسك وزير الخارجية يطلب منك

ابلاغ عبد الناصر أن الولايات المتحدة ملتزمة تجاه اسرائيل بتعهدات اتخذها وصدق عليها أربعة رؤساء أمريكيين » .

وقبل أن يصل « أوثانت » الى القاهرة كان عبد الناصر قد أعلن القرار المنتظر .. اغلاق المضايق . وفى الخطاب نفسه قال الرئيس المصرى « ان اليهود يهددوننا بالحرب ونحن نقول لهم : أهلا وسهلا .. اننا مستعدون » .

وفى واشنطن ، كان « لوشيوس باتل » وكيل الخارجية الأمريكية هو ايضا الذى أبلغ النبأ للفسير الاسرائيلى . وبعدها ذهب السفير الى نيويورك ، وهناك قال له جولد برج « لقد حدثنى الرئيس (جونسون) بالتليفون لكى يطلب منى أن أراك . وقد أعرب عن أمله فى أن تتحاشى اسرائيل القيام بأى عمل مضاد . والا ترسل أية سفينة لتمر فى المضايق » .

وفى الوقت نفسه .. أعد خبراء وزارة الخارجية الأمريكية رسالة عاجلة أبلغت على الفور الى الحكومة السوفيتية وقد جاء فيها: « ان حكومة الولايات المتحدة تعتبر أن أى اعتداء على حرية الملاحة فى المضايق ، سواء كانت السفينة تحمل علما اسرائيليا أو غير اسرائيلى ، بمثابة عدوان يكون من حق اسرائيل ـ فى رأى الولايات المتحدة ـ أن تدافع عن نفسها ضده » .

وأرسلت الى القاهرة برقية (عاجلة وشخصية) لتسليمها الى أوثانت شخصيا ، وكانت موقعة بامضاء ليندون جونسون ، وقد جاء فيها « أرجوكم ابلاغ رئيس الجمهورية العربية المتحدة .. أن أى عائق يعرقل الملاحة ، بما فى ذلك السفن الاسرائيلية فى المضايق .. ستترتب عليه ردود فعل من جانب الحكومة الأمريكية» .

* * *

وفى تل أبيب ، قال ابا ايبان وزير الخارجية لزملائه : « يجب أن نحذر الوقوع مرة أخرى فى الخطأ الذى ارتكبناه فى سنة ١٩٥٦ . اذ يجب ألا نعرض أنفسنا لما حدث أثناء حملة سيناء عندما اقترعت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ضدنا . وقد احتج ايزنهاور حينئذ بمرارة لأن أمريكا لم تبلغ بمشروعاتنا . ويجب أن نتحاشى تكرار حدوث ذلك . أن المسئولين عن الدفاع يؤكدون أن

لدينا الوقت لاستنفاد كل الامكانيات الدبلوماسية · وفى هـــذه الحالة ·· فانه يحسن توجيه معظم جهودنا الى الولايات المتحدة » ·

***

وسأله أحد الحاضرين : وماذا سنطلب منها ؟

ورد ايبان : أن تقوم سفنها الحربية بحراســـة بواخرنا عبر المضايق ·

ولم يصدق أحد مثل هذا الاحتمال · وأصرت « جولدا مائير » على ضرورة استطلاع رأى الجنرال ديجول · واعترض البعض بشدة على القيام بأية مساع لدى ديجـول وقالوا : اننا اذا اتجهنـــا اليه فسوف نفتح بذلك الأبواب أمام كل الضغوط » ·

وتكلم «موشى دايان» فقال : « اذا كانت الولايات المتحدة قد طلبت مهلة قدرها ثمان وأربعون ساعة ، فانه من الممـكن منحهـــا لها · وأنا أقول ٤٨ وليس ٤٩ · واذا قامت بفتح المضايق فان هـذا سيكون أفضل · وفيما يتعلق بى فانى أعتقد انهـا سوف لا تفعل ذلك نيابة عنا · فاذا انتهت هذه المهله فانه يجب علينا شن الحرب ضد مصر والدخول معها فى معركة ندمر فيها مئـــات الدبابات والطائرات · اننا لا نملك سوى قليل من الوقت · ولهـذا فانه يجب علينا أن نحاول تحقيق النصر خلال يومين أو ثلاثة » ·

***

وفى واشنطن ·· لم يكن هناك اتفاق تام بين البيت الأبيض ووزارة الخارجية بشأن السياسة التى يجب أتباعها خلال الأزمة · فوزارة الخارجية الأمريكية كانت تذيع كثيراً من البيانات التى تنطوى على اتجـــاهات حيادية ، بينما كان البيت الأبيض يبدى قلقه من مبادرات عبد الناصر · وكانت وزارة الخارجية تصـــدر تعليمات الى سفرائها فى العواصم العربية بعدم قطع الصلات والعمل على تهدئة العرب وتخفيف حدة التـوتر السائدة ، بينما كان البيت الأبيض يرسل لهم تعليمات أشــد عنفا · وكان الســـفير الأمريكى يضرب أخماسا فى أسداس لكى يقرر بنفســـه الخط الذى ينبغى عليه أن يتبعه · ولكن ، بمجرد تفـاقم الموقف ·· فان أمريكا سحبت من

وزارة الخارجية سلطة البت فى الأمور واحتفظت بها للبيت الأبيض •

وبدأ « جونسون » يواجه ضغطا شديدا من جانب المتعاطفين مع اسرائيل فى نقابات العمال ومجلس الشيوخ ورجال الصناعة ورجال السياسة ، الذين طالبوا باذاعة بيان عن أزمة الشرق الأوسط • وكانت وزارة الخارجية قد رفضت بالأمس اذاعة مثل هذا البيان • وفى غضون ذلك قرر جونسون وحده أنه سيذيع بيانا •

وفعلا ، أعد «يوجين روستو» البيان ، ووافق عليه جونسون ، وتقرر اذاعته •• لولا مكالمة تليفونية عاجلة من مستر « أ » •

كان مستر « أ » • ـ وهو أحد كبار ذوى النفوذ من أصدقاء اسرائيل ـ متوجها لمقابلة « هيوبرت همفرى » الذى قرر جونسون ايفاده الى القاهرة • وقد أبلغ وهو فى الطريق ، أن البيت الأبيض يبحث عنه لاطلاعه على نص البيان • وقد تلاه عليه والت روستو أخلص مستشارى الرئيس جونسون (وهو فى الوقت نفسه شقيق يوجين روستو) • ودهش مستر « أ » عندما لاحظ أن البيان لم يشر مطلقا الى مسألة اغلاق المضايق ولا الى موقف الولايات المتحدة فيما يتعلق بحرية الملاحة • ثم جاءت هذه العبارة الضخمة فى البيان « لم يرتكب حتى الآن أى عمل عدوانى » •

وصاح مستر « أ » متعجبا : واغلاق المضايق ؟ الا يعتبر هذا عملا عدوانيا •• ان مثل هذا البيان ليس غير مفيد فقط ، بل انه ضار أيضا • ان الولايات المتحدة ترفض اتخاذ موقف حول النقطة الجوهرية ، وان عدم اصدار بيان على الاطلاق أفضل من اصدار مثل هذا النص •

وعلم الرئيس جونسون بعد قليل بما جرى • وفى هذه المرة جاء دوره لكى يغضب هو أيضا • فقد قال : (اذا كان مستر « أ » يقول انه من الأفضل عدم اصدار بيان كلية •• اذن قولوا له اننى لن أصدر أى بيان) •

ولكن جونسون غير رأيه بسرعة • فقد بلغ ضغط الرأى العام على البيت الأبيض أبعادا لا يمكن تصورها ، وأذاع سبعة وثمانون

من أعضاء مجلس النواب بيانا تضمن بصفة خاصة العبارات التالية :
« اننا نوافق تماما على التدبيرات التى ترى الحكومة اتخاذها لابلاغ الذين يريدون تدمير اسرائيل عزمنا الصادق على القيام بأى عمل ضرورى لوقف العدوان ضد اسرائيل وانقاذ السلام » •

ونشب صراع محموم بين مختلف نصوص البيانات التى كان من المقرر أن يوافق جونسون على احدها • وقد استبعد نص البيان المنطوى على الحذر أكثر مما ينبغى ، والذى أعدته وزارة الخارجية •• وتم اختيار النص الذى صاغه « والت روستو » مساعد الرئيس • وفى الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم (٢٢ مايو) ظهرت صورة ليندون جونسون على شاشات التليفزيون الأمريكى ، وأذيعت هذه الكلمات :

« ان الولايات المتحدة تعتبر خليج العقبة ممرا دوليا ، وترى أن اغلاقه فى وجه الملاحة الاسرائيلية عمل غير مشروع ، ويشكل خطرا محتملا تجاه السلام • ان حق المرور الحر بدون أى عائق فى هذا الممر المائى الدولى له أهميته الحيوية بالنسبة لجميع الدول » •

وفى اليوم نفسه•• وصلت واشنطن رسالة عاجلة من «اباايبان» وزير الخارجية الاسرائيلية لابلاغ السفارة الاسرائيلية فى واشنطن أنه قرر التوجه الى الولايات المتحدة لاجراء محادثات مع المسئولين الأمريكيين • وقبل أن يبدأ « ايبان » الرحلة ، وصلت برقية من « والتر ايتان » السفير الاسرائيلى فى باريس جاء فيها « عندى فرصة لأن يستقبلنى ديجول غدا • ولكن اذا استطاع ايبان الحضور فان الفرصة ستكون أقوى » •

وتقرر أن يهبط «ايبان» فى باريس ولندن ، أثناء توجهه بالطائرة الى واشنطن •

***

فى الساعة السابعة صباحا (يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧) هبطت فى « مطار أورلى » بباريس طائرة البوينج التابعة لشركة « العال »

الاسرائيلية ، ونزل منها « ابا آيبان » • وفى المطــار قال السفير الاسرائيلى لايبان ، ان الاجتماع مع الرئيس ديجول سيتم على الفور عقب الجلسة الأسبوعية لمجلس الوزراء الفرنسى ، وهكذا فان ايبان اعتكف حوالى الظهر فى فندق هيلتون بمطار أورلى استعدادا للمرافعة عن قضيته أمام ديجول • وحوالى الساعة العاشرة اتصلت به السفارة الاسرائيلية فى لندن وأبلغته أن « هارولد ويلسون » رئيس الحكومة البريطانية مستعد لاستقباله فى الساعة الخامسة بعد الظهر • وعكف ايبان على أوراقه وأمضى ساعتين يدون النقاط التى رأى أنه ينبغى أن يقولها لديجول • وقد قال فيما بعد : « لقد أردت أن أتحدث بنغمة ديجولية بعض الشىء للتذكير ببعض التعهدات التى قطعتها فرنسا على نفسها ، ولكى أوضح أن الساعة الراهنة حاسمة • وقد صقلت بصفة خاصة عبارتين : ليس لدينا خيار الا بين الخضوع والمقاومة •• ونحن مصممون على المقاومة وقد استقر الرأى على ذلك • وسوف نخصص بضعة أيام للاستطلاع، لكى نعرف اذاكنا وحدنا أو اذاكان هؤلاء الذين ارتبطوا بهذه المسألة يأخذون تعهداتهم تجاهها مأخــذ الجد » •

وأخذت الحكومة الفرنسية تدرس الموقف فى الشرق الأوسط• وقدم « كوف دى مورفيل » وزير الخارجية فى اجتماع مجلس الوزراء تفاصيل حقيقية تتعلق بالملاحة فى المضايق ، وكان يعرف بالضبط عدد البواخر التى تستخدم خليج العقبة ، وكان عددها قليلا جدا • والنتيجة التى انتهى اليها وزير الخارجية الفرنسية ، ووافق عليها ديجول ، هى أن اغلاق المضــايق لا ينطوى على اعتــداء خطير على آسرائيل ، وأن هذا العمل لا يبرر اذن القيام بأعمال حربية • أما فيما يتعلق بحق اسرائيل فى مرور سفنها فى المضايق ، فان هذه مسألة قانونية معقدة ، وهى احدى المسائل العديدة المتعلقة بالنزاع الاسرائيلى العربى •

وكان « ديجول » يخشى أن تؤدى المواجهة العسكرية فى الشرق الأوسط الى تدخل الدول الكبرى ، مما قد يؤدى الى حرب عالمية • واقترح وسيلة لحل الأزمة ، هىعقد اجتماع بين الدول الاربع الكبرى التى تستطيع هى وحدها أن تفرض حلها على الأطراف المتنازعة •

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف ، انفض اجتماع مجلس الوزراء الفرنسي ، ودخل « ايبان » وزير الخارجيه الاسرائيلي ليجد أمامه الرئيس ديجول ، وكوف دى مورفيل وزير الخارجية الفرنسى • كان الرئيس ديجول متوتر الأعصاب جدا ، بل وكان يبدو قلقا أيضا • وتذكر ايبان ما سبق أن قيل له : « فى اللحظة التى ستجلس فيها سيقول لك ديجول : يا سيدى الوزير ، اننى أصغى اليك •• »

ولكن ديجول تصرف في هذه المرة بشكل آخر • لقد مد ذراعه نحو ايبان وقال بشدة : « لا تشنوا الحرب • لا تشنوا الحرب • ولا تكونوا بأى حال البادئين بالقتال » •

ورد ايبان قائلا : « اننا لن نكون على أى حال البادئين بالحرب • ولقد ارتكب المصريون فعلا عملا عدائيا » •

وبدا واضحا أن الملاحظة لم تعجب ديجول ، فقد قال : « فى نظرى أن ذلك الذى يطلق الرصاصة الاولى •• هو البادىء بالقتال» •

هكذا ــ فى عبارات قليلة وجيزة ــ حدد ديجول الفرق الذى يراه بين العدوان فى مدلوله القانونى ، وأول رصاصة •

واستأنف ايبان حديثه قائلا : « أن هذه هى أخطر لحظة فى وجودنا منذ عشر سنوات • ومن الطبيعي أن نأتى ، زملائى وأنا ، فى هذه الساعة الحاسمة •• لنطلب المشورة من الصديق العظيم الذى هو أنتم » •

واستطرد ايبان قائلا : « أن الأزمة الحالية ترجع الى ثلاثة أسباب : حرب العصابات التى يقوم بها السوريون ، واحتشاد القوات المصرية فى صحراء سيناء ، واغلاق المضايق • وهذه الأسباب الثلاثة تندمج سويا لتشكل عملية لا مناص منها : فالمصريون سيمسكون بخناقنا، والسوريون سيضربوننا فى ظهورنا •• وعندئذ سوف يستعد المصريون لكي يوجهوا لنا ضربة فى وسط صدرنا • وقد أتيت لكى أقول لكم اننا مصممون على ألا نعيش أكثر من ذلك

على هذه الحال • أما فيما يتعلق باغلاق المضايق •• فأن هذا يعنى بالنسبة لمن قرر ذلك أنه اختار الحرب ، لأنه سبق أن أوضحنا موقفنا فى هذا الصدد • ولقد أقمنا منذ سنوات عديدة علاقات مع آسـيا وافريقيا ، وأضفنا بعدا جديدا الى خريطة العلاقات الدولية • ونحن لم نعد دولة تتجه الى الغرب وحده ، وبدأنا نقدم المسـاعدات الى العالم الثالث • اننا لا نستطيع قبول الموقف الراهن » •

وبادر ديجول الى مقاطعة ايبان وهو فى حالة عصبية : «أرجوك •• أريد التحديد • فى هذه الحالة ماذا سوف تفعلون ؟ »

وهنا نطق ايبان بالعبارة الجوهرية التى أعدها : « حيث أنه ليس أمامنا سـوى الخيار بين الخضـوع والمقاومة ، فقد قررنا أن نقاوم • ولن يكون هناك استسلام • ولكننا قررنا أن ننتظر أياما عديدة لكى نسـتطلع رأى هؤلاء الذين التزموا بتعهدات فى هذا الصدد • وفى غضون ذلك فاننا لن نقـوم بأى اجراء ، ولا ننوى القيام بأى رد فعل أو اختبار لا اليوم ولا غدا ولا بعد غد » •

ولاحظ ايبان ان « كوف دى مورفيل » تنفس الصعداء عندما استمع الى هذه الكلمات • ويبدو أن الوزير كان يخشى أن تنشب الحرب بين دقيقة وأخرى• ولم يلحظ «ايبان» أن «كوف دى مورفيل» قد أخطأ فى تفسير أقواله ، مثله فى ذلك مثل « ديجـول » وهى الأقوال التى فهماها على أنها وعد بأن اسرائيل لا تفكر فى القيـام بعمل عسكرى • ولم يستخلص الرجلان من كلمة « مقاومة » التى استخدمها ايبان بأن اسرائيل تنوى القتال •

ولم يهدأ ديجول ، فاستطرد يقـول : « ان الموقف صعب • ان هذا لا يمكن أن يسـتمر ، وينبغى أن تحتفظ اسرائيل بهدوء أعصابها • ان الدول الأربع الكبرى يجب أن تتشاور • لا تبحثوا عن حلول من جانب الغرب • يجب على الدول الأربع الـكبرى أن تتداول فى الأمر ، وسأتكفل أنا بذلك • ونحن نسـتطيع الاتفاق سويا على حل يسمح بمرور السفن » •

ورد ايبان قائلا : « اننى متشائم جدا بشأن كل ما يتعلق

بالاتحاد السوفيتى · ولو أنه تصرف بطريقة أخرى لما أصبحنا فى هذا الموقف · أن روسيا لم توافق مطلقا على رأينا بشـــأن حرية المرور فى المضايق » ·

وقال ديجول وهو متشبث بعناده : « نعم ، ولكن السوفيت أيضا لم يأخذوا الجانب المعـــارض · لابد من بعض الوقت ، ومن الصبر · وفى غضون ذلك ·· فانه ينبغى عليكم الا تقوموا بالعمل الذى يريد المصريون أن تفعلوه : وهـــو أن تكونوا البـــادئين بالقتال » ·

وعاد ديجول الى الحديث عن مسألة «الغرب» ، فقال : « لم يعد يوجد اليوم شىء اسمه حلول غربيـــة · فطالما ظلت اسرائيل مغرقة فى اتجاهها نحو الغرب فيما يتعلق بمقاصدها وحلولهـا ، **فانها سوف تبتعد عن الهدف · يجب أن يشترك الاتحاد السوفيتى فى حل النزاع » ·**

وهنا أضاف « ديجول » عبارة بدت ثقيلة المغـــزى : « ان مركزكم لم يصبح بعد متينا بما فيه الكفاية ، بحيث تســـتطيعون حل جميع مشكلاتكم بأنفسكم » ·

وقال ايبان لديجول : « لقد تعهد عدد كبير من الدول بتأييد حقوقنا والوقوف الى جانبنا اذا أعيد اغلاق المضايق · ولقـد كان أقوى وأوضح بيان فى هذا الصدد ما قدمه ممثل فرنسا فى الأمم المتحدة فى عام ١٩٥٧ » ·

ورد ديجول : نعم · ولكن هذا كان فى سنة ١٩٥٧ · ونحن نعيش الآن فى سنة ١٩٦٧ ·

وهكذا ألغى ديجول فى عبارة واحدة كل تعهدات فرنسا ·

وعندما أحس « ايبان » أنه لم يبق لديه شىء يقوله ، قرر أن يختم حديثه بعبارة تنطوى على المجاملة ، فقال : « أننا نود ونحن نواجه المحنة ، أن نشكرك على كل ما فعلته فرنسا وعلى ما تزال

تفعله من أجل تشـــجيعنا وتقوية روحنـــا المعنوية ودعم قوتنا العسكرية » ٠

* * *

وقد ارتكب أبا ايبان ـ دون أن يدرى ـ غلطة كبرى ٠ فقد لفت أنظار المسئولين الفرنسيين الى المساعدة العسـكرية المتزايدة التى تقـدم لاسرائيل ، ممـــا جعلهم يتصرفون بعد ذلك بطريقة لا تستوجب الشكر لهم ٠

ورد ديجول قائلا : « ان كل ما فعلناه فى هذا المجال ، انما فعلناه بدافع الصداقة ٠٠ ولكن هذه الصداقة ذاتها تدفعنى الآن لكى أقول لكم ما قلته الآن » ٠

وفسر ايبان هذا الكلام على أنه تحذير مستتر ، فقال : «انكم لا تستطيعون أن تختاروا فقط من بين الصداقة تلك التى تلائمكم»٠

* * *

وعندما انتهت المقابلة ، كان الحديث يعنى فى نظر «ديجول» شيئا واحدا ٠ فقد قال لايبان : « لا تشنوا الحرب » ٠ وأكد ايبان أن اسرائيل قررت الانتظار ، وهو لم يقل « سوف نحارب » ، وانما قال « سوف نقاوم » ٠

ولم يدر فى خلد « ديجول » أن الاسرائيليين سوف يشنون الحرب بعد التحذير الصريح الذى وجهه اليهم ٠

وعقب هذا الحـديث أرسلت باريس برقيتين ، أحداهما الى « كوسيجين » والأخرى الى « عبد الناصر » وأكد فيهما « ديجول » أن اسرائيل لن تعلن الحرب ٠

وتلا وزير الاعلام الفرنسى على الصحفيين البيان الرســمى : قررت الحكومة الفرنســية أن تقترح عقد اجتمـــاع للدول الأربع الكبرى ٠

وتحـــدث « موريس كوف دى مورفيل » تليفونيا مع وزير القـــوات المسلحة وطلب منه الكف عن ارسال مهمات عسكرية الى اسرائيـــل بدون موافقة وزارة الخارجية · وذلك فى نطاق اللجنة الوزارية الخاصة بصادرات الأسلحة · وفى الوقت نفسه تحـــدث كبار المســـئولين بوزارة الخارجية تليفونيا مع عدد من القـــواعد العسكرية وأمروها بأن توقف على الفور ارسال شحنات الأسلحة الى اسرائيل ، التى لم توافق عليها اللجنة بعد ·

لقد كان موقف فرنسا واضحا ·

وبعد قليل سيتضح موقف الدول الآخرى ·

- ٢ -

كانت الأمطار الغزيرة تهطل على لندن عندما وصلت ســيارة السفير الاسرائيلى وهى تقل « أبا ايبـــان » وزير الخارجية الى ١٠ داونج ستريت ، وقاد «هارولد ويلسون» رئيس الوزراء البريطانى زائريه الى حجرته حيث بدأت المباحثات ·

قال ويلسون لايبان : ها هو ديجول قــد اقترح عقد مؤتمر للدول الاربع الكبرى ، ولست أعتقد أن الفــكرة ســوف تتاح لها فرص النجاح ، ولكننا سنرى · وأعتقد أن السوفييت سيرفضون الفكرة فى النهاية · ولكننا نحن ·· لماذا نرفض ؟

واستطرد ويلســـون قائلا : أما فيمـــا يتعلق بالملاحة فى المضايق·· فانالحكومة البريطانية لديها احساس ـ وقد أعلنت ذلك ـ بأن عبد الناصر لن يخرج من هذا المأزق بسهولة · وقد أرسلت « طومسون » الى واشنطن لتنسيق جهودنا مع جهود الأمريكيين · فاذا قابلته هناك فكن على اتصال به · اننا سنناقش مع الأمريكيين التفاصيل الايجابية ·

ان من بين رؤساء الحكومات الذين اجتمع بهم ايبان خـــلال

رحلته ، فان ويلسون كان الوحيد الذى لم يحاول تهدئته أو صرف نظره عن الحرب .

أما فى موسكو .. فقد قال المسئولون السوفيت ل « جورج براون » وزير الخارجية البريطانى .. انهم لا يوافقون على أن يغلق عبد الناصر المضايق . وفى الوقت نفسه صرحوا بانهم لا يريدون الحرب ، وأعربوا عن أملهم فى أن تحل الأزمة حلا سلميا .

وفى تل أبيب .. اجتمعت هيئة أركان الحرب الاسرائيلية بعد الظهر ، بحضور رئيس الحكومة ووزير الدفاع . وعرض رئيس العمليات على « اشكول » الخطة الحربية التى تستهدف القيام بهجوم تخترق فيه القوات الاسرائيلية المحور الشمالى لسيناء فى اتجاه العريش ثم تتجه بعد ذلك الى قناة السويس .

وفى واشنطن .. قابل احد المسئولين عن المخابرات الالمانية ، زميلا له من رؤساء وكالة المخابرات المركزية الامريكية وقال له : ان معلوماتنا تفيد أن اسرائيل ستهاجم سوريا .

ورد عليه الأمريكى قائلا : انكم لا تعرفون أسرار مهنتكم ، ان اسرائيل تستعد للهجوم فى الجنوب فى اتجاه مصر .

وفى المساء نفسه ، بعثت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتقرير الى الرئيس « جونسون » جاء فيه : ان تقديراتنا تشير الى أن اسرائيل ستهاجم مصر يوم ٢٦ مايو وذلك طبقا لما أكده الخبراء .

وفى وزارة الخارجية الامريكية ، اجتمع الوزير البريطانى « طومسون » والأميرال « هندرسون » مع « دين راسك ويوجين روستو » ومساعديهما . وقد استعرضوا الخطة البريطانية بشأن فتح المضايق . وهذه الخطة كانت تتألف من ثلاث مراحل . **المرحلة الاولى** هى القيام بمحاولة لحمل مجلس الأمن على اصدار قرار يطالب مصر بفتح المضايق وضمان حرية الملاحة . **والمرحلة الثانية** ترمى ــ فى حالة فشل مجلس الأمن الى تكوين جماعة من عدة دول بحرية تتولى توجيه تحذير ، وتعلن فيه أن مضايق تيران

تشكل ممرا مائيا دوليا ، وان هـذه الدول تعتزم اسـتخدامه .
والمرحلة الثالثة تتضمن ـ اذا استمرت مصر فى اغلاق المضايق ـ ارسال أسطول يشمل سفنا من جميع هذه الدول ، لفك الحصار بالقوة عن المضايق تحت حماية بعض الوحدات البحرية .

ووافقت وزارة الخارجية الأمريكية ، والبيت الأبيض ، على هذا المشروع . وكانت الولايات المتحدة قد رفضت القيام بأى عمل من طرف واحد . غير أن الاقتراح البريطانى ، الذى ينطوى على عدم ترك أمريكا وحدها ، سوف يحظى بالتأكيد على موافقة الرأى العام والكونجرس . وعلى الفور أبلغت الخطوط العامة للمشروع الى وزارة الدفاع الأمريكية والى رؤساء البحرية والى « ماكنمارا » وزير الدفاع ، لاستطلاع آرائهم .. وطلب من ادارة الجيش وضع خطط العمليات المناسبة .

وفى البيت الأبيض كان روستو مهموما ، وقد وعد السـفير الاسرائيلى بأن الولايات المتحدة سوف تدعو الى عقد اجتماع غير رسمى لمجلس الأمن .

وعندما قال له ممثل اسرائيـل : اننا لا نرى فائدة فى عقـد اجتماع لمجلس الأمن . وماذا سوف تفعلون اذا لم يضمن المجلس حرية الملاحة ؟

ـ سوف نعمل فى نطاق الأمم المتحدة أو مستقلين عنها . لقد اتخذت الأحداث اتجاها جديدا فى غاية الخطورة . وينبغى عليكم أن تمتنعوا عن القيام بأى استفزاز ، وأؤمل ـ فى الوقت الحالى ـ الا ترسلوا سفينة الى المضيق .

وكان معنى هذا الحديث .. ان الامريكيين لايعرفون ماذا يمكن أن يفعلوا ولم تكن هناك أوهام فيما يتعلق بالثمانى والأربعين ساعة التى طلبوها . فهذه الفترة من الانتظار لم يكن الغرض منها التأهب لتنفيذ خطة ايجابية قد يخرجهـا « العم سـام » من جعبتـه ، فالامريكيون لم يكونوا يريدون سوى كسب الوقت فقط .

وأثار تصريح جونسون ، الذى ندد فيه باغلاق المضـايق ،

ردود فعل مختلفة فى الكونجرس الامريكى . وقد استقبل استقبالا حارا فى مجلس النواب . ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لمجلس الشيوخ . ففى هذا الصباح عقدت لجنة الشئون الخارجية اجتماعا مغلقا، واعلن معظم الشيوخ معارضتهم بوضوح لأية مبادرة تقوم بها الولايات المتحدة من جانبها وحدها . لقد كانوا ــ مثل غيرهم من المسئولين الأمريكيين ــ يخيم عليهم شبح الحرب الفيتنامية .. ولهذا كانوا يعترضون على اى عمل قد يؤدى الى جر الولايات المتحدة الى خوض حرب أخرى . ومن هذه اللحظة ــ أصبح مفهوما أن أمريكا لن تعمل من أجل فتح المضايق الا اذا عبأت حولها مساعدة من جانب عدة دول . وسمح البيت الابيض بأن تتسرب دلائل فى هذا المعنى الى التليفزيون والصحافة . وقال أحد المعقبين ــ وهو « أريك سيفاريد » : يبدو أن الرئيس جونسون لم يقرر بعد ما اذا كانت الولايات المتحدة سوف تقوم بعمل عسكرى فى حالة نشوب القتال فى المنطقة . فاذا نشبت الحرب واصبح وجود اسرائيل فى خطر ــ فان **العناصر الموالية لاسرائيل فى هذه البلاد سوف تمارس ضغطا قويا جدا من أجل التدخل .** ولكن حدوث تدخل أمريكى بدون اشتراك حلفائنا الرئيسيين ــ كما هى الحال فى الشرق الأقصى ــ سوف تؤدى بالتأكيد الى نسف مركز الكونجرس الامريكى .

وفى القاهرة .. جمع عبد الناصر مستشاريه العسكريين والسياسيين لدراسة الموقف الناشىء عن اغلاق المضايق . وكان الراى يتلخص فى أنه ، للمرة الاولى منذ حرب السويس ، اتخذت مصر عنصر المبادأة وأن اغلاق المضايق سيكون له أثر فادح على اسرائيل ، وأن الحشود العسكرية على الحدود سيجمد احتياطيها ويخلق المصاعب أمام اقتصادها ، مما يؤدى الى اختناقها بسرعة . ولأول مرة سوف تشعراسرائيل بأن وجودها يهدده خطر حقيقى .

وقد اعلن « الملك حسين » فى هذا الوقت بالذات ، فى خطاب اذيع بالراديو ، انه سمح للقوات السعودية والعراقية بدخول بلاده ، وهو شىء لم يكن يجرؤ على عمله من قبل .. لان اسرائيل سبق أن أعلنت مرارا أنها تعتبر دخول اى جيش أجنبى فى الأردن

بمثابة عمل عدائى . واعلنت السعودية تأييد سياسة عبدالناصر . وقرر الرئيس المصرى ايضا أن يبعث من جديد القيادة العربيــة الموحدة . ووضعت الجزائر والعراق والكويت قوات تحت تصرف مصر . وفى قطاع غزة تسلم جيش الشقيرى أسلحة ثقيلة .

وفى هذا المساء .. استقبل عبد النــاصر أوثانت وأقام له حفل عشاء • وكان السكرتير العام للامم المتــحدة مكتئبا ، مقطب الوجه • وكان عبد الناصر قد جعله ينتظر أربعا وعشرين ساعة قبل أن يستقبله• كما نظمت أمام الفندق الذى نزل فيه مظاهرة «عفوية» ضده .

ولما اجتمع الرجلان أخيرا فى قاعة الطعام بمنزل عبدالناصر ، لاحظ أوثانت بسرعة أن الرئيس المصرى لا ينوى التراجع بوصة واحدة ، فقد قال : ان اغلاق المضايق يزيل الآثار الأخيرة للعدوان الثلاثى الذى وقع فى عام ١٩٥٦ .

وبعد أن قال عبــد الناصر ذلك ، بدأ يتلطف ويتبســط فى حديثه ، ثم أكد بطريقة جادة انه لا ينوى مهاجمة اسرائيل ، وهو بالتأكيد كان صادقا فى ذلك . واعرب عن استعداده للقيام بخطوة تؤدى الى تخفيف حدة التوتر • فمثلا •• وافق ، عن طيب خاطر ، على أن توفد الأمم المتحدة مبعوثا لاجراء اتصــالات بين الطرفين . واعرب عن استعداده أيضاً لاحياء لجنة الهدنة الاسرائيلية المصرية التى لم تقم لها قائمة منذ حرب الســويس . بل انه قبــل عقــد اتفاق بشأن مسألة العقبة : فقد وافق على السماح بمرور السفن المتجهة الى اسرائيل بشرط الا تكون هــذه السفن اسرائيليــة والا تحمل مواد استراتيجية •

واقترح عبد الناصر أيضــا ، باخلاص ، حلا يتعلق بقــوات الأمم المتحدة : لماذا لا توضع فى الأراضى الاسرائيلية ؟

وسقط أوثانت فى الفخ . فهو لم يضــع فى اعتبــاره أن كل « تنازلات » الرئيس المصرى ليست سوى تعبير ، بطريقة أخرى ، عن موقف مصر الرسمى . فقــوات الأمم المتحــدة لن تعــود الى

الأراضي المصرية ، والمنتجات الجوهرية ـ مثل البترول ـ الذى يعتبر السلعة الرئيسية التى تستوردها اسرائيل عن طريق المضايق لن تصل الى ميناء ايلات ، وسيكون وجود قوات الأمم المتحدة على الجانب الاسرائيلى من الحدود دليلا حيا على انتصار عبد الناصر .

وقرر أوثانت أن يختصر اقامته فى القاهرة بمقدار أربع وعشرين ساعة ، وبدأ يصوغ مقترحات لوضع حل للنزاع . وكان أهمها الوصول الى هدنة مدتها أسبوعان بشأن المضايق ، بحيث لا ترسل اسرائيل خلالهما أية سفن نحو ميناء ايلات ، وفى الوقت نفسه لا تمنع مصر مرور السفن غير الاسرائيلية فى المضايق .

وقد كان هذا بالضبط هو ما يريده عبد الناصر . اذ أن فترة الاسبوعين سوف تسمح له بكسب الوقت الضرورى لتعزيز موقف أصبح غير محتمل بالنسبة لاسرائيل .

***

انتهى خبراء وزارة الدفاع الامريكية من دراسة انشاء القوة الدولية لفتح مضايق تيران ، وقد أجمع رؤساء البحرية الامريكية على رفض المشروع بجملته ، وقالوا ان مجرد اقتحام المضايق بواسطة ارسال سفن حربية للمرور فيه لن ينطوى على أية فائدة . وعلى أى حال فانه لابد من مرور وقت طويل قبل أن يصبح فى الامكان انشاء قوة فى المنطقة يمكنها أن تتدخل على هذا النحو . وحتى لو أمكن تكوين هذه القوة ، فان القيام بعمل بحرى محدود النطاق لن يؤدى الى تحطيم الحصار ، اذ يجب احتلال مواقع استراتيجية برية ، ولتحقيق هذا الغرض ينبغى انزال عدد كبير من الجنود فى سيناء توقعا لحدوث قتال برى يمكن أن يتخذ أبعادا كبيرة .

وقد عارضت هيئة أركان الحرب الأمريكية بشدة فى القيام بعمل من هذا النوع ، وعلى هذا .. فقد صدرت اليها الأوامر بالاعداد لعملية عسكرية فى سيناء . وكان عدد قليل من القوات الامريكية يرى انه من الضرورى تحقيق هذا المشروع ، وذلك لأن التقديرات الأخيرة لوزارة الدفاع الامريكية ، وهى تقديرات ترجع الى شهر

يناير سنة ١٩٦٧ وتوجد فى ملف ادارة المخابرات ، كانت تشير الى أن القوات الاسرائيلية تستطيع التغلب على أعدائها . وكان جميع الخبراء متفقين فى هذا الصدد . بل انهم كانوا يستطيعون التنبؤ بكيفية سير العمليات : هجوم اسرائيلى ، وزحف بالدبابات ، يصحبهما هجوم جوى .

وحوالى الظهر — يوم ٢٥ مايو — ابلغت هذه التقديرات الى البيت الأبيض .

***

وفى باريس ، فرض حظر على أساس الأمر الواقع ، ان لم يكن على أساس قانونى ، على جميع شحنات الأسلحة الى اسرائيل . واخيرا تم الوصول الى حل وسط بعد مساع عاجلة ، وهو أن تقوم فرنسا — كما كانت تفعل فيما مضى — بتزويداسرائيل بكل ما وعدت به مندوبيها . وهكذا فشلت المحاولة الأولى لوقف شحنات الأسلحة المرسلة الى اسرائيل وقفا تاما .

وفى اسرائيل •• سأل بعض المسئولين فى وزارة الدفاع « ليفى اشكول » رئيس الوزراء : لقد ضقنا ذرعا بهذا التردد الطويل ، فمتى سنبدأ ؟

ورد اشكول قائلا : ينبغى أن نتأكد من أن عمل الجيش الاسرائيلى لن توقفه ضغوط أجنبية .

وفى سيناء •• اتخذت الفرقة المدرعة المصرية الرابعة ، التى تعتبر رأس الحربة فى جيش عبد الناصر ، مواقعها هذا الصباح فى سيناء .

وفى تل أبيب •• جاء مساعد «اشكول» اليه ومعه طائفة كبيرة من المعلومات المثيرة للقلق ، عن الاستعدادات العسكرية التى تقوم بها جميع الدول العربية على وجه السرعة .

وقال أشكول لمساعده : لقد أرسلنا « ايبان » لعرض مسألة المضايق أمام رؤساء الدول الاجنبية . والآن يبدو أن وجود اسرائيل

ذاته أصبح فى خطر . ويجب صياغة برقية لايبان نطلب منه فيها أن يبرز بصفة خاصة فى محادثاته موضوع احتشاد القوات المصرية .

وبعد قليل .. ارسلت برقية مزعجة جدا الى «ايبان» لاحاطته علما بالخطورة المفاجئة والشديدة الأثر التى طرأت على الموقف العسكرى ، نتيجة رحلة وزير الحربية المصرى الى موسكو ، وتحركات القوات العراقية والسورية والاردنية نحو الحدود الاسرائيلية ، ودخول قوات مصرية كبيرة الى سيناء .

وجاء فى هذه البرقية أنه «يجب أن يوضح للرئيس جونسون أن الخطر لم يعد يكمن فى احتشاد القوات ، بل فى احتمال وقوع هجوم عربى ضد اسرائيل . فهل يستطيع الرئيس جونسون أن ينصحنا بما ينبغى عمله فى هذه الحالة» ؟

وكانت هذه أول برقية . غير أنه بعد دقائق قليلة تبعتها برقية أخرى أشد اثارة للقلق .

ففى الساعة الثالثة والدقيقة الأربعين بعد الظهر ، وصل الى تل أبيب «جاكوب هرزوج» المدير العام لرئاسة مجلس الوزراء . وكان قد انتهى قبل ذلك بساعة فى مكتبه بالقدس من صياغة البرقية التى تقرر ارسالها الى «ايبان» والتى تحوى التعليمات الأخيرة بشأن الخطوة التى ينبغى اتباعها أثناء محادثاته مع جونسون، ولكن قبل أن يرسل البرقية اتصل تليفونيا من تل أبيب بمكتب وزير الدفاع ، وجاء الرد بأن «الموقف قد تغير من النقيض الى النقيض . أحضر فورا» . وعندما ذهب فورا وجد فى مكتب « أشكول » رئيس هيئة أركان الحرب بعض الشخصيات الأخرى . وكان جو الحرب يخيم على الغرفة .. وكان البعض يعتقدون أن مصر تستطيع ـ ابتداء من الغد الجمعة ٢٦ مايو ـ الهجوم على اسرائيل . وكان القلق يصل الى مرتبة الذعر .

لهذا بدأ احتمال جديد : التأكد ، عن طريق ارسال نداء مؤثر الى الولايات المتحدة ، من أنها ستأتى لنجدة اسرائيل فى حالة وقوع هجوم عليها فى المستقبل القريب ، وجلس «جاكوب هرزوج» لكى يحرر رسالة ثانية لأبا ايبان .

وبعكس الرسالة السابقة ، التى لم يكن لهـا سـوى طابع اخبارى ، فان الرسالة الجديدة كانت تشبه صرخة رجل مشرف على الغرق . وقد ارسلت الى ايبان ، وجاء فيها بصفة خاصة : «عقب الأحداث التى جرت فى الأربع والعشرين ساعة الأخيرة ، فانه ينبغى أن تعلم أننا أصبحنا نخشى فى كل لحظة وقوع هجوم مصرى سورى مفاجىء . وينبغى على حكومة الولايات المتحدة أن تعلن فورا ان أى هجوم على اسرائيل يعادل الهجوم على الولايات المتحدة ويجب عليها أيضا أن تصدر تعليمات بهذا المعنى الى قواتها المرابطة فى المنطقة . ويحسن ابلاغ هذه الرسالة الى أعلى مستوى ، الى الرئيس الأمريكى أو الى وزير الخارجية» .

وعندما تم ارسال البرقية الى «ايبان» فى واشنطن ، لم يكن أحد يشك فى أن ارسالها سيكون واحدا من اسـوأ الأخطاء التى ارتكبتها الحكومة الاسرائيلية .

* * *

ذهب السفير الاسرائيلى الى نيويورك لاستقبال «أبا ايبان» وزير الخارجية ، وفى غضون ذلك ٠٠ وصلت الى السفارة الاسرائيلية احدى البرقيات المتسمة بالذعـر التى أرسـلت من اسرائيل . وبسبب حادث تكتيكى وصلت البرقية الثانية المرسلة من تل أبيب قبل البرقية الأولى .

وعندما تم ابلاغ السفير الاسرائيلى بالبرقية ، نقلها على الفور الى « ايبان » عقب وصـوله ، وشحب وجه ايبان ، وقرر الاتصال على الفور بمكتب وزير الخارجية الأمريكى «دين راسـك» ليطلب منه تقديم موعد المقابلة التى كان قد تحدد لها من قبل أن تتم فى الساعة السادسة مساء ، وقال له : «لقد حدث تطور خطير جدا خلال الساعات الأخيرة» .

ورد عليه راسك : «احضر فورا» .

وفى السـاعة الرابعـة والنصف مساء ، استقبل ، ولوك ، وباتل ، ويوجين روستو ، ايبان .. وهارمان (السفير الاسرائيلى) .

واطلع «ايبان» المسئولين الأمريكيين على نص البرقية التى

وصلته ، وطلب أن تعلن الولايات المتحدة فورا ان اى هجوم ضد اسرائيل يعتبر بمثابة هجوم ضد الولايات المتحدة ذاتها .

واستمع اليه «دين راسك» بقلق صادق .. وقد ارتسم الانزعاج على وجهه ، ثم سأله قبل أن يسرع الى البيت الابيض لابلاغ الرئيس بالنبأ بمجرد عودته : «هل اطلعت البريطانيين والفرنسيين على نص هذه البرقية» ؟

وعندما هبط «جونسون» من الطائرة فى واشنطن ، قادما من زيارة لكندا ، أحاطه «راسك» علما بالأمر . وبادر جونسون على الفور الى اتخاذ التدابير الآتية : فحص صحة هذا النبأ بمقارنته مع المعلومات الموجودة لدى أجهزة المخابرات الأمريكية ، والقيام بمسعى على الفور لدى الاتحاد السوفيتى يطلب منه فيه تهدئة عبد الناصر ومنعه من القيام بأى عمل حربى ، وارسال خطاب للمصريين لحملهم على الامتناع عن أى عمل عسكرى تحاشيا لعواقب تنطوى على أشد الاخطار .

وارسلت على الفور برقيةالى موسكو ،وقع عليها «جونسون» لتسليمها الى «كوسيجين» .

وفى المساء .. استدعى «مصطفى كمال» سفير مصر فى واشنطن الى وزارة الخارجية لمقابلة يوجين روستو ، وكان مصطفى كمال قد دعى بالأمس لمقابلة الرئيس جونسون الذى أمطره بوابل من التحذيرات ، وانتقد اغلاق المضايق . وكان مصطفى كمال يعرف أيضا أن أحدا لاينظر اليه فى واشنطن على أنه رجل مهم يستطيع التأثير على عبد الناصر .

وفى المقابلة التى استدعى لها ، قال «يوجين روستو» للسفير المصرى : «لقد طلب منى الرئيس جونسون تليفونيا أن أوجه تحذيرا لحكومتكم . ان بعض الشائعات تقول ان مصر ستقوم قريبا بشن هجوم ضد اسرائيل . فلتعلم ان حكومة الولايات المتحدة سوف تتصرف فى هذه الحالة طبقا لميثاق الأمم المتحدة ، وطبقا لضمانها لاستقلال وسلامة اسرائيل . وقد قال الرئيس بنص كلماته : اننا

ضد أول طلقة نارية ، واننا سوف نحترم تعهداتنا ، وانه يجب اقرار الأوضاع القائمة فى المنطقة» .

واستطرد روستو فى حديثه قائلا : «ان وقوع هجوم من جانبكم ضد اسرائيل يعتبر بمثابة انتحار» .

واخذ مصطفى كمال المذكرة التى حررت على عجل . وفى الليلة نفسها وصلت الرسالتان الى موسكو والى القاهرة .

وقبل مرور لحظات أخرى ، ذهب «روستو» الى العشاء الذى كان معداً بينه وبين «ايبان» وقال له : ان دين راسك يطلب منك الحضور فورا الى مكتبه .

وأسرع ايبان ليقابل راسك . وفى المقابلة قال له وزير الخارجية الأمريكية : «لقد راجعت أجهزة مخابراتنا معلوماتكم ، ولم نجد أى دليل يسمح بالاعتقاد بأن المصريين يستعدون للقيام بهجوم مفاجىء . أن القوات المصرية فى سيناء لم تتخذ شكل الهجوم ، ثم ان خبراءنا يعتقدون أن مصر لن تقوم بالهجوم قبل أن يقدم أوثانت تقريره ، عقب عودته من القاهرة ، الى مجلس الأمن» .

ورد عليه أيبان قائلا : «ان حكومتى ماكانت لترسل لى مثل هذه البرقيات العاجلة الا لأنها متأكدة من معلوماتها . واننى اطلب منك فحص هذا الموضوع من جديد» .

وأذعن راسك لهذا الطلب .

فى صباح ٢٦ مايو ، بحث ليندون جونسون مذكرة ثلاثية سلمت اليه واعدتها ثلاث مجموعات من الخبراء . كانت كل المعلومات التى تحويها المذكرة متطابقة وتتفق على نقطة اساسية : لا دليل على احتمال وقوع هجوم مصرى ضد اسرائيل فى الساعات او الأيام القادمة . وقال اخصائيو وزارة الدفاع الامريكية فى مذكرتهم « أنه اذا .. نشبت الحرب فان اسرائيل ستحرز انتصارا حاسما فى خلال بضعة أيام» . وقدر القواد الأمريكيون أنه فى هذه الحالة فان

المدرعات ستخترق طريقها بالقوة فى اتجاه السويس ، وسيصحب الاختراق هجوم جوى . وقد بنوا رأيهم على أساس الاستراتيجية الهجومية التى انتهجها الجيش الاسرائيلى منذ عدة سنوات .

ولم يكن جونسون يرغب فى مقابلة «ايبان» على الفور على الأقل . انه لم يكن يعرف ماينبغى أن يقوله له . لقد طلب من مساعديه أن يؤجلوا ، بل وأن يؤخروا ـ الى أقصى حد ممكن ـ اجتماعه مع ايبان .

وعندما اتصل «دين راسك» بالسفير الاسرائيلى ليسأله عما اذا كان ايبان سيظل موجودا حتى السبت .. فهم السفير من ذلك أنها محاولة مهذبة لتأخير اجتماع (جونسون) مع (ايبان) لمدة ٢٤ ساعة على الأقل .

وبعدها بقليل ٠٠ اتصل ايبان براسك ليقول له : «كلا ، لن أكون فى واشنطن غدا ، اذ ينبغى أن أغادرها فى هذه الليلة بالذات ، حيث أنه سيعقد فى اسرائيل اجتماع حاسم لمجلس الوزراء صباح يوم الأحد ، وربما يكون هذا أخطر اجتماع فى تاريخنا . ان كل شيء فى هذا الاجتماع سوف يتوقف الى حد كبير على ماسيقوله الرئيس جونسون . ان اسرائيل يجب أن تكون قادرة على الاعتماد بدون تحفظ على المساعدة الأمريكية . ان تقرير «أوثانت» لن يغير شيئا، سواء الى الأحسن أو الى الأسوأ . اننى أخشى أن تشتعل الحرب فى الاسبوع المقبل فى الشرق الأوسط . ان الحصار المصرى فى شرم الشيخ يعتبر عملا من أعمال الحرب ينبغى أن ندافع عن أنفسنا ضده .. والوسيلة الوحيدة لتحاشى الحرب ، وتحاشى وقوع كارثة ، هى أن يصدر الرئيس تصريحا حازما جدا يعلن فيه أن الولايات المتحدة ستقوم فورا ، سواء وحدها أو مع حلفائها ، بفتح المضايق . ان صدور مثل هذا التصريح ـ مع تأييده بخطاب من «جونسون» الى «أشكول» يحوى التفصيلات الفنية المتعلقة بالعمليات العسكرية المتوقع أن يقوم بها الأمريكيون ، يمكن أن يشكل ـ فى رأيى ـ الوسيلة الوحيدة لحل الأزمة» .

واجاب راسك بايجاز : «اننى افهمك» . ثم وضع سماعة التليفون وهرول الى الرئيس جونسون .

وشعر جونسون باستياء عندما أبلغه «راسك» بنص هذا الحديث وقال : «اذا كان السيد القادم من تل ابيب فى عجلة من أمره فليعد الى بلاده» ثم قال وقد استولى عليه الحنق لأحد مساعديه : «اننى لاأحب أن يوضع مسدس على صدغى . ان مجلس الوزراء الاسرائيلى الذى سيجتمع يوم الآحد ، والذى سوف يقرر السلام أو الحرب··انما هو انذار نهائى · اننى لا أحب هذا » !!

وفى الوقت نفسه··أشار جونسون الى أنه ربما يستقبل ايبان· وأردف قائلا : «ولكن ليس على الفور ، وانما فيما بعد ، وربما هذا المساء» .

وفى غضون ذلك ·· قابل ايبان ، ومعه الملحق العسكرى الاسرائيلى ، «ماكنمارا» فى وزارة الدفاع الامريكية . وكان (ايبان) يتوقع اجتماعا خاصا ومحدودا ، ولكنه دهش عندما وجد فى مكتب وزير الدفاع الأمريكى اثنين من مساعديه ، والجنرال «هويلر» رئيس هيئة اركان الحرب المشتركة .

وأحضر ايبان معه فى حافظة أوراقه برقية عاجلة وصلته من أشكول ، أعرب فيها عن خيبة أمله تجاه التصريحات التى أدلى بها «راسك» فى اليوم السابق ، وطلب فيها ايبان أن يتكلم قبل كل شىء عن الخطر الذى تمثله الحشود المصرية . ونفذ ايبان رغبة أشكول ، ولكنه اصطدم بارتياب عام .

لقد اقترب «الجنرال هويلر» من الحائط ، وبحركة مسرحية أبعد عنه ستارا سميكا تكشف عن خريطة كبيرة للشرق الأوسط . وأوضح بايجاز أن مصر لايمكن لها الغلبة ، وأن اسرائيل ستخرج منتصرة من أية مواجهة عسكرية ! ثم أردف قائلا : « لقد فحصنا هذا الموضوع بواسطة خبرائنا . وهى جميعا على اتفاق فى الرأى فى أن النصر سيكون من نصيبكم» .

وسأل ايبان بالحاح : وماذا لو هاجموا مطاراتنا ؟

فأجاب هويلر : «سواء جاءت الضربة الأولى من جانبكم او من جانبهم فاننـا نعتقد انكم الأقوى ، وأنتم منتصرون فى كلتـا الحالتين» .

وتناول الحديث مسألة القوة البحرية التى تخصص لاقتحام المضايق . وشرح مكنمارا أنه يعارض هذه الفكرة تماما ، وقال «لنفرض أننا استطعنا وضع أسطول دولى . ان القوة التى ستشكل على هذا النحو ستمر فى المضايق مرة ومرتين ، وثلاثا . وستبقى فى المنطقة شهرا ، وشهرين ، وثلاثة شهور . ان هذا سوف يكلف عدة مليارات من الدولارات . ثم ماذا بعد ذلك ؟ ان هذه القوة لن تبقى الى الأبد فى المنطقة ، وسوف تتفرق . فماذا سوف يحـدث اذا ظهرت باخرة اسرائيلية بمفردها دون حراسة فى المضايق ؟ هذا هو الاختبار الحقيقى» .

وعند الظهر .. سلم دين راسك وروبرت ماكنمارا تقريرا مشتركا الى الرئيس جونسون قبيل استقبال الاخير لايبان . وقد أحصيا فى هذه الوثيقة ـ السرية للغاية ـ الأعمال المختلفة التى يمكن القيـام بها ، وختما التقرير بهذه العبارات : باختصـــار .. يبدو أنه ليس أمام الولايات المتحدة سوى أحد حلين :

١ ـ انشاء قوة بحرية تشترك فيها عدة دول .

٢ ـ ترك اسرائيل تعمل وحدها .

وفى القاهرة .. نشرت صحيفة الأهرام فى هذا الصباح مقالها الافتتاحى الأسبوعى وجاء فيه : «ان وقوع مواجهة عسكرية مع اسرائيل أمر لا مفر منه . ان العامل السيكولوجى يضطر اسرائيل الى أن تعلن تحديها بالحرب» .

وفى الصباح ، ألقى جمال عبد الناصر خطابا أمام اللجنـة المركزية لاتحـاد النقابات العربية قال فيـه : « .. اذا هاجمت اسرائيل سوريا أو مصر فاننا جميعا سندخل الحرب ضـدها ،

وسيكون هدفنا الأساسى هو تدمير اسرائيل . اننى لم اكن أستطيع أن أقول مثل هذا الكلام منذ ثلاث سنوات أو خمس .. وليس من عادتى أن أعد بشىء لست قادرا على تحقيقه ، أما اليوم فاننى مقتنع بانتصارنا . ان مصر تتوقع فى كل لحظة هجوم اسرائيل الذى سيتيح لنا الفرصة لتدميرها» .

وكان عبد الناصر قد عقد قبل ذلك بيوم واحد .. اجتماعا استمر أربع ساعات فى غرفة العمليات بهيئة أركان الحرب المصرية، واقترح بعض الضباط أن تبدأ مصر القتال ضد اسرائيل ، غير أن عبد الناصر لم يشاركهم وجهة نظرهم ، وفضل خطة أخرى تقضى بانتظار وقوع هجوم اسرائيلى قبل أن ترد عليه مصر بضربة قاتلة . وقد أعدت فى سيناء ثلاثة خطوط من الاستحكامات . وسيحاول الجيش المصرى وقف الهجوم الاسرائيلى عند الخط الأول ، فاذا لم ينجح فى ذلك فان القوات سوف تتراجع الى الخط الثانى أو حتى الى الخط الثالث ، حيث تستطيع أن تحتمل الصدمة ، وستصبح صحراء سيناء فخا قاتلا للجيش اليهودى ، ثم يتحول الجيش المصرى الى الهجوم على الأراضى الاسرائيلية .

واعترض بعض الضباط قائلين : ان الخطوط الثلاثة غير موجودة فى الواقع ، لأن معظم القوات المصرية قد حشدت على الحدود الاسرائيلية . والفرقة الرابعة هى وحدها التى ترابط فى المؤخرة . ولكن الأمر استقر على الخطة الأولى .

تحددت الساعة السابعة موعدا للاجتماع بين جونسون وايبان . وفى هذا الاجتماع اشترك فى المباحثات خبراء كثيرون ، بعضهم حضر الاجتماع كاملا ، والبعض الآخر دعى للادلاء برأيه فى نقاط معينة فى اختصاصه . وهكذا مر أمام أبا ايبان كل من دين راسك وماكنمارا وخبراء وزارة الدفاع والأخوان روستو (يوجين ووالت روستو) وغيرهم .

وبدأ «ايبان» الكلام وأثار مسألة الحشود العسكرية فى سيناء التى تعرض كيان اسرائيل للخطر وقال : «ان عبد الناصر يريد أن

يخوض الحرب ضدنا ، وهو مستعد . ومعلوماتى فى هذا الصدد مؤكدة» .

ولم يصدقه جونسون ، وسأل ماكنمارا .. الذى أجاب قائلا «ان جميع أجهزة مخابراتنا متفقة فى الرأى على أن المصريين ليس لديهم النية أو القدرة على مهاجمة اسرائيل» .

أما بالنسبة لمسألة فتح المضايق فقد قال جونسون : «أعتقد اننا نستطيع فتح المضايق ، ولكن الذى يهم ليس ذلك الذى يعتقده ليندون جونسون ، وانما مايقوله رسميا رئيس الولايات المتحدة. والرئيس لايستطيع أن يتكلم بدون موافقة الكونجرس» .

واضاف جونسون قائلا فى سخرية مريرة : «ان هؤلاء الذين يطالبوننى بعدم ارسال أى جندى بعد الآن الى فيتنام ، يلحون على فى ارسال كل حاملات الطائرات الأمريكية الى خليج العقبة » ! .

ثم قرأ جونسون مشروع بيـان سيلقيه عن المسـألة كلها ، ووضع البيان أمام ايبان وهو يقول : «انكم تسـتطيعون العمل فى نطاق مجموعة دولية . ولن تفقدوا شيئا اذا حاولتم ذلك» .

ورد عليه ايبان قائلا : «اننا لانستطيع أن نعيش هكذا . اننا على وشك اتخاذ قرار خطير جـدا لأنه ليس لنا خيـار ــ الا بين التسليم أو الحرب ــ ونحن لن نستسلم ... ونحن نريد أن نعرف من الذين سيقفون الى جانبنا وما اذا كانت الولايات المتحدة سوف تحترم التعهدات التى قطعتها على نفسـها فى عام ١٩٥٧ . لقـد أجريت محادثات مع ديجول الذى اقترح عقد اجتماع بين الدول الكبرى . واعتقد انه فى غضون هذا الوقت قد يغير رأيه نظرا لأن الروس رفضوا هذا الاقتراح . وعلى الأقل ستظل مصانع الاسلحة الفرنسية مفتوحة أمامنا . وفى لندن لاحظت أنه توجـد رغبة فى العمل ولكن بشرط واحد وهو أن تشتركوا أنتم أيضا فى العمل . وهكذا فان كل شىء متوقف عليكم . ان لدى سؤالين ارغب فى توجيههما لكم : هل سنقاتل وحدنا ، أم أنكم ستقفون الى جانبنا؟ .. و : ماهو المدى الحقيقى لتعهداتكم ؟» .

وتهرب جونسون من الاجابة على السؤال الأول وقال : «يجب القيام بعمل قانونى ضد الحصار المفروض على مضايق تيران ... انكم تتحدثون دائما عن مجلس وزرائكم الذى سيجتمع يوم الأحد. وليس هذا من شأنى .. فاذا كنتم تريدون أن نقف الى جانبكم فيجب اولا أن نتجه الى الأمم المتحدة . يجب أن يكون هناك نوع من العمل الجماعى ... اننى أريد أن تمر السفن الاسرائيلية فى المضايق ، وآثار ذلك ستكون أهم كثيرا من مجرد رفع الحصار ... ان أياما عصيبة تنتظركم . فاذا كنتم تريدون أن نكون بجانبكم فى المستقبل فينبغى أن تنتظروا قليلا . اننى لست فأرا ولست ضعيفا أو جبانا . وينبغى أن أجرب كل الوسائل الممكنة لاعادة فتح الطريق البحرى» .

* * *

فى اسرائيل..كانت الحكومة وهيئة أركان الحرب وزعماء البلاد يحبسون انفاسهم فى انتظار النتائج التى سوف تسفر عنها محادثات أيبان وجونسون . غير أن «ايبان» أمر بعدم ارسال برقية بنص هذه المحادثات الى اسرائيل . وفضل أن يأخذ التقرير معه .

وفى الثانية والربع صباحا من الليلة نفسها..تحدث مساعد سفير الاتحاد السوفيتى الى سكرتير «أشكول» وقال ان السفير السوفيتى ـ تشوفاخين ـ يريد الاجتماع فورا مع رئيس الحكومة .

وعندما تمت المقابلة فى الثالثة صباحا ، كان «تشوفاخين» يحمل رسالة من كوسيجين جاء فيها : «اننا نطلب منكم أن تبذلوا أقصى مافى وسعكم لتحاشى وقوع صدام عسكرى قد يسفر عن عواقب خطيرة بالنسبة لقضية السلام والأمن الدوليين ..... ونحن نأمل فى أنه بعد أن تكون الحكومة الاسرائيلية قد فكرت بطريقة جادة فى الموقف وفى المسئولية التى سيتحملها الطرف الذى يبدأ فى أطلاق النار ، ان تبذل قصارى جهدها لتحاشى وقوع صدام مسلح فى الشرق الأوسط» .

وفى الوقت نفسه وصل السفير السوفيتى فى القاهرة الى

منزل الرئيس عبد الناصر فى الثالثة والنصف صباحا ، وجاء فى الرسالة التى يحملها السفير : «نطلب منكم عدم القيام بأى عمل عسكرى» . وكان ذلك عقب البرقية التى ارسلها جونســون الى كوسيجين . وأكد عبد الناصر لضيفه الســوفيتى أنه ليس لديه مطلقا نوايا من هذا النوع .

وفى الوقت نفسه ، ارسلت موسكو برقية عاجلة الى واشنطن لابلاغها الى الرئيس جونسون ، وتضمنت مايلى : «ان المعلومات القائلة بأن مصر تستعد لمهاجمة اسرائيل هى معلومات ملفقة تماما. وبالعكس..فان معلوماتنا تشير الى أن اسرائيل تنوى القيــام بعمل مسلح ضد جاراتها العربية . اننا نعرف أن العرب لايريدون صداما مسلحا . ان الاتحاد السوفيتى يتوجه الى الولايات المتحدة ليطلب منها اتخاذ كافة التدابير التى تهدف الى تحـاشى وقوع مواجهــة عسكرية ، لأن الشعوب السوفيتية والعربية والاسرائيلية لاتريد الحرب» .

وكانت هذه الرسالة تحوى عبارة تشكل تحذيرا خطيراموجها لاسرائيل : «اذا اتخــذت اسرائيل عنصر المبــاداة فى القيام بعمل عســكرى .. فان الاتحــاد السوفيتى سيساعد الدول التى تتعرض للهجوم» .

- ٣ -

فى وزارة الدفاع الاسرائيلية ، وفى مقر هيئة أركان الحرب ، كان الجميع يشمون رائحة البارود . وطبقا لما كانت تقوله الصحف الاجنبية .. فان الوحدات الاسرائيلية المرابطة فى صحراء النقب كانت مستعدة للتحرك فى فجر اليوم التالى . وفى صباح يوم ٢٧ مايو اجتمع «أشكول» رئيس الوزراء باسحاق رابين رئيس هيئة أركان الحرب ، وافهمه أن الحرب وشيكة الوقوع .

وكانت الحكومة الاسرائيلية تنتظر بفارغ صبر برقية واشنطن الدبلوماسية ، التى تحوى تقرير ابا ايبان عن محادثاته مع جونسون وعندما اتصل مدير مكتب أشكول تليفونيا بالسفير الاسرائيلى فى واشنطن يستعجله فى ارسال التقرير ، علم منه أن هناك تعليمات

من ايبان بعدم ارساله بالشفرة انتظارا لوصوله هو الى تل أبيب . واستشاط أشكول غضبا وطلب ارسال برقية فورا بمضمون المحادثات ، وهذا هو ماحدث فعلا بعد ساعات قليلة .

وفى هذا اليوم نفسه ــ ٢٧ مايو ــ قدم أوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة تقريرا الى مجلس الامن عن زيارته لمصر ، وطلب فيه من كلا الطرفين مهلة أسبوعين لالتقاط الانفاس ومحاولة حل الازمة . ولكن المصريين كانوا يتعجلون استغلال نجاحهم وطالبوا باجراء مناقشة عاجلة حول سياسة اسرائيل العدوانية خلال السنوات الثمانى عشرة الأخيرة .

* * *

فى الساعة الثامنة والنصف مساء ، وصل ايبان بالطائرة الى تل أبيب قادما من واشنطن . وعلى الفور افتتح اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى ، مع أن راديو اسرائيل كان قد أعلن أنه سوف يجتمع فى الغد . وقد حضر الاجتماع عدد من قواد الجيش وخبراء وزارة الخارجية وتحدث ايبان بالتفصيل عن رحلته الى أوربا والولايات المتحدة ، وسحب من حقيبته نصوص محادثاته مع ويلسون وديجول وجونسون . وكان التقرير الخاص بمحادثاته مع جونسون وحده يتضمن تسع صفحات كتبت على الآلة الكاتبة .

وروى ايبان كلمة كلمة تقريبا ، أقوال جونسون التى طلب فيها أن تنتظر اسرائيل اسبوعين أو ثلاثة ، تحاول الولايات المتحدة خلالها ايجاد حل للأزمة فى نطاق الأمم المتحدة أو بغيرها . ولكن «ايبان» كان غير دقيق فى كثير من النقاط . فقد أعلن عدة مرات أن جونسون تعهد أمامه بأن الولايات المتحدة سوف تفتح المضايق بأى ثمن مع غيرها من الدول أو وحدها اذا اقتضى الأمر ، مع أن جونسون لم يعد مطلقا باسم حكومته القيام بعمل من جانب واحد .

كذلك كان تقرير ايبان عن محادثاته مع ديجول غير دقيق ، فقد ذكر ايبان لمجلس الوزراء أن ديجول يعارض الحرب ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة عن الموقف العدائى الصريح الذى اتخذه

ديجول تجاه أية مبادأة اسرائيلية ، ولا عن التحذيرات العديدة التى قال فيها «لاتشنوا الحرب» .. وهى تحذيرات اتخـذت شـكل انذارات .

وفى الساعة نفسها التى كان فيها مجلس الوزراء الاسرائيلى مجتمعا ، بدأ كل شيء يتحرك فى صحراء النقب . لقد غادرت طوابير من الدبابات الاسرائيلية والعربات نصف جنزير قواعدها واستعدت فرق الجيش للتقدم .

وفى القاهرة..صرح أحد قواد الجيش لدبلوماسى أمريكى بقوله «تعتقد هيئة أركان الحرب المصرية انه اذا وقع هجـوم اسرائيلى فانه سوف يحدث فى يوم الأحد الأخير من شهر مايو (٢٨ مايو) — اى غدا فى الفجر» .

وعادت الوحدات الاسرائيلية فى صحراء النقب الى قواعدها. فقد قررت اسرائيل ألا تشن الحرب فى هذا الصباح .

وفى واشنطن..غادر الرئيس جونسون العاصمة الأمريكية الى مزرعته فى تكساس . وكان الباعث الرسمى لذلك هو أنه يريد أن يستريح هناك خلال عطلة نهاية الأسبوع . لكن البعض أكدوا أن الرئيس الأمريكى كان يرغب فى الهرب من الضغط المتزايد الذى كان يتعرض له البيت الأبيض من جانب المنظمات اليهودية الموالية لاسرائيل .. وكان جونسون يتصل من مزرعته بين كل سـاعة وأخرى بدين راسك ووالت روستو لمعرفة تطورات الموقف . وكان روستو من جانبه يمطر السـفارة الاسرائيلية بالمكالمات التليفونية العاجلة .

وعندما حل الليل ، سلمت لجونسـون الرسالة السـوفيتية الموقعة من كوسيجين ردا على برقية الرئيس الامريكى المرسلة يوم ٢٦ مايو . وقرر جونسون ان يرسل على الفور رسالة جديدة الى «ليفى اشكول» يطلب منـه فيهـا الامتناع عن القيام بأى عمـل عسكرى .

وفى واشنطن..استدعى يوجين روستو السفير الاسرائيلى لكى

يبلغه ان البريطانيين بسبيل تنظيم قوة بحرية تشترك فيها دول أخرى منها هولندا وكندا ، وأن الولايات المتحدة اتصلت فى هـذا الصدد بفرنسا وبدول أخرى . وقال له ان اسرائيل سوف تدعى بدون شك للاشتراك فى «القوة البحرية الدولية» .. وقال روستو ان الولايات المتحدة تطلب من اسرائيل الانتظار اسبوعين أو ثلاثة الى أن تنتهى مناقشات مجلس الأمن ، وريثما يصدق الكونجرس على مشروعات الرئيس الأمريكى .

وفى تل أبيب..قام السفير الأمريكى بتسليم برقية جونسون الى أشكول فى العاشرة صباحا يوم ٢٨ مايو . لقد نقل جونسون الى أشكول فى رسالته جوهر ماجاء فى رسالة كوسيجين اليه ، وأشار جونسون بصفة خاصة الى العبارة الخاصة بالمساعدات التى سوف يقدمها السوفيت للعرب اذا تعرض الأخيرون للهجوم . وقال جونسون فى برقيته لأشكول : «بصفتى صديقا لكم ، فاننى أؤكد ماسبق أن قلته لوزير خارجيتكم ، وهو انه يجب على اسرائيل الا تبدأ الحرب» .

وكانت هذه البرقية ، أخطر برقية أرسلتها الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت لاسرائيل . فقد كانت هذه أول مرة تثار فيها صراحة مسألة وجود تهديد بالتدخل السوفيتى فى الشرق الأوسط ضد اسرائيل .

وفى سيناء..استأنفت الطوابير الطويلة ، التى ظلت تزحف طوال الليل من قناة السويس نحو العريش ، تحركاتها فى هذا الصباح . وكان من رأى المراقبين فى القاهرة انه من الممكن وقوع هجوم اسرائيلى بين لحظة وأخرى ، وان قطاع العريش الاستراتيجى سيكون بلاشك مسرحا للمعركة . وقد قررت القيادة المصرية العليا ـ بناء على ذلك ـ جلب قوات جديدة منتعشة : الجنود القدماء فى اليمن ، وقد استدعوا على عجل ... وجنود الاحتياطى والمجندون الجدد القادمون من معسكرات التدريب فى مصر . وبعد فترة قصيرة وصل عدد القوات المصرية التى أرسلت الى صحراء سيناء الى مائة الف جندى ، وألف دبابة ، وألف مدفع ، و ٢١٥ طائرة .

ولكن التوتر العصبى الذى استولى على القواد المصريين لم ينعكس على وجه عبد الناصر المتسم بالثقة . فقد عقد الرئيس المصرى مؤتمرا كبيرا فى قصر القبة ـ وكان أول مؤتمر من نوعه منذ سنوات ـ وحضره ثلاثمائة صحفى مصرى وأجنبى . لقد أعلن عبد الناصر فى المؤتمر : «اذا كانت اسرائيل تريد الحرب ، فاننا نقول لها مرة أخرى : أهلا وسهلا . . . اننى سأمنع اية دولة تتدخل لصالح اسرائيل من المرور فى قناة السويس .. ان مصر مستعدة للدخول فى مجابهة عامة مع اسرائيل» .

وفى الوقت نفسه٠٠عين عبد الناصر أحد نوابه «منظما للشعب» بقصد اعداده للحرب الشعبية ضد الغزاة الاجانب ، وأمر وزير الثقافة المصرى من جانبه بحظر عرض أفلام الجاسوسية وخاصة أفلام «جيمس بوند ٧» التى تنطوى على امتداح أعمال «الجواسيس والمحرضين على شن الحروب الاستعمارية» .

وفى واشنطن ، دعا المسئولون فى وزارة الخارجية سفير اسرائيل وقالوا له : «ان الرئيس «جونسون» يدرس امكانية زيادة المساعدات الاقتصادية لاسرائيل طوال المدة التى تعلن فيها التعبئة وحالة الطوارىء . . . فهل تستطيعون ابلاغنا بالتفصيل بالمصاعب التى تسببها التعبئة للاقتصاد الاسرائيلى واطلاعنا على العجز الذى تعانيه السياحة ، والخسائر المالية الناجمة عن اغلاق خليج العقبة؟ وقد أفهموا السفير ، أن الولايات المتحدة ربما تزود اسرائيل ، حتى انتهاء الأزمة ، ببترول تكساس وفنزويلا ، ثم قالوا بابتسامة مشبعة بالتفاؤل ؟ : «أما فيما يتعلق بمشروع القوة البحرية فان كل شىء يسير طبقا للخطة الموضوعة» .

وقد كانت هذه الخطة غريبة جدا . لانه فى هذه اللحظة ذاتها، كان مبعوثان أمريكيان خاصان فى طريقهما للقاهرة ، وقد كلفا بالتوصل الى حل وسط مع السلطات المصرية .

وفى القاهرة ٠٠ قام مجلس الأمة ـ بعد ظهر اليوم نفسه ـ ٢٩ مايو ـ بمنح سلطات غير محدودة لعبد الناصر ، وسمح له بأن يمارس الحكم بواسطة مراسيم ، وهذا هو مافعله عبد الناصر على

الفور . ونقلت وحدات جديدة من اليمن الى سيناء ، وظلت التعبئة قائمة على قدم وساق . وبدا كما لو كانت القاهرة ، قد مسها تيار كهربائى من الاعلانات والشعارات التى ملأت الشوارع .

وفى اليوم التالى .. هبطت فى مطار القاهرة طائرة الملك حسين ، هبط منها مرتديا حلة مشير ، وعلى رأسه قلنسوة سوداء وعلى بزته الرسمية جناحاطيار . لقد صاح وهو يعانق عبد الناصر: «أخى عبد الناصر» ، وصاح عبد الناصر وهو يعانق حسين : «أهلا بك ياأخى حسين» وانتهت بذلك حملة اذاعية متبادلة كانت مستمرة بين البلدين ، ووقعت معاهدة للدفاع المشترك بين مصر والأردن ، وهى معاهدة كانت تنص ـ بصفة خاصة ـ على أنه : «.. فى حالة نشوب الحرب فان رئيس هيئة أركان حرب القوات المصرية المسلحة ، يتولى قيادة العمليات العسكرية فى الدولتين» .

وفى اليوم التالى ـ ٣١ مايو ـ ازداد ضغط القادة العسكريين على الحكومة فى اسرائيل للقيام بعمل عسكرى ، وكانت الحكومة قد استدعت الدفعة الأخيرة من جنود الاحتياطى يوم ٢٧ مايو ، وقد أصبح الموقف ـ بعد اتفاقية عبد الناصر وحسين ـ ينطوى على مغزى خطير جدا . لهذا طالب العسكريون بأن يبدأ القتال قبل أن يفوت الأوان .

وفى هذه الظروف قرر «أشكول» أن يرسل الى واشنطن شخصية سياسية من الدرجة الأولى فى مهمة سرية جدا . كان الهدف من هذه الرحلة مزدوجا . لقد كانت ثقة الأمريكيين بالمعلومات الاسرائيلية قد اهتزت منذ أعلنت اسرائيل يوم ٢٥ مايو ١٩٦٧ ـ وقد استولى عليها الذعر ـ ذلك التحذير الكاذب الذى قالت فيه ان مصر ستقوم بالهجوم بين لحظة وأخرى ، ولهذاينبغى اصلاح الضرر واستفادة ثقة الأمريكيين . أما الهدف الثاني فهو التأكد من أن «أبا أيبان» قد تلقى فعلا وعداً من أمريكا بالقيام بعمل لفتح المضايق . لهذا فقد أرسل «أشكول» مبعوثه السرى صباح هذا اليوم ـ ٣١ مايو ـ الى الولايات المتحدة . وحتى بدون هذه

الرحلة العاجلة ، فان الاسرائيليين كانوا سوف يكتشفون بسرعة الحقيقة فيما يتعلق بتعهدات واشنطن . فبالأمس أرسل «أشكول» الى ليندون جونسون رسالة عاجلة تناول فيها مرة اخرى مسألة المضايق ، والخطر الذى تمثله الحشود المصرية ، وذكر أن عنصر الوقت يلعب ضد اسرائيل . وضمن الرسالة عبارة جوهرية ترتكز على أساس المعلومات التى جاء بها «ايبان» الى الحكومة الاسرائيلية وتقول : «.. وانى اشكركم على ماوعدتمونا به ، من أن الولايات المتحدة ستستخدم كل الوسائل ــ بدون استثناء ــ لفتح مضايق تيران أمام الملاحة الدولية» .

ان هذه الرسالة التى وصلت فى هذا الصباح (٣١ مايو) الى واشنطن .. جعلت «جونسون» يقفز واقفا على قدميه . لقد استبد الغضب برئيس الولايات المتحدة الى حد انه استدعى «والت روستو» وقال له : «ليس من حقى أن أقدم مثل هذه الوعود دون موافقة الكونجرس . وماجاء فى رسالة «أشكول» لايطابق ماقلته لايبان .. وعليك أن تبلغ ذلك للاسرائيليين» .

وكانت الجهود الأمريكية بالنسبة لمشروع «القوة الدولية لفتح المضايق» قد وصلت الى مرحلة كتابة مشروع بيان دولى لاعلان الصفة الدولية للمضايق . لقد أرسلت الولايات المتحدة مشروع هذا البيان الى ٢٨ دولة للتوقيع عليه ، ولكن معظم الدول التى طلب اليها التوقيع على البيان ، والاشتراك فى القوة الدولية المقترحة ، قد ردت ــ حتى قبل أن تطلع على مشروع البيان ــ بأنها لن توقع ولن تشترك ، وأسرعت فرنسا باعلان رفضها القاطع لأى مشروع فى هذا الاتجاه .

وحتى فى داخل الحكومة الامريكية نفسها ، كان من الواضح أن موقف «دين راسك» وزير الخارجية يتسم بالفتور الشديد . وكان موظفون آخرون فى وزارة الخارجية الأمريكية قد تحدثوا عن «موقف موضوعى تجاه النزاع» يعمل فيه حساب «المصالح البترولية للولايات المتحدة» وقالوا .. ولو انه يجب «ترك الباب مفتوحا أمام عبد الناصر» وقد أكدت وزارة الخارجية الأمريكية

لبعض الصحفيين المتعاطفين معهم انه «رغم أن السفن الاسرائيلية تستخدم مضايق تيران ، الا أن شكاوى اسرائيل فيما يتعلق بالأضرار التى تصيب تجارتها بسبب اغلاق المضايق تنطوى على المبالغة الشديدة ، وهى بالتأكيد لاتستحق وقوع حرب» . وقد قال «جوزيف السوب» الصحفى الأمريكى الكبير معقبا على ذلك : «انه لشىء غريب أن تكون سفارة اسرائيل فى واشنطن أكثر تفاؤلا من الأمريكيين . ان **الحرب ستنشب بالتأكيد خلال أسبوع**» .

أما فى موسكو فقد قال «الكسى كوسيجين» رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى لجورج براون وزير الخارجية البريطانية . عندما اختتم زيارته لموسكو : «اننا ضد أى حرب فى الشرق الأوسط» .

وفى باريس تجمع ثلاثون ألف شخص فى شارع فاجرام حيث عطلوا المرور فيه ، وأسرعوا نحو مبنى السفارة الاسرائيلية . وكان معظم هؤلاء من اليهود ... وقد جاءوا الى السفارة للاعراب عن تأييدهم لاسرائيل . ان اليهود الفرنسيين الذين كانوا يرددون منذ بضعة أعوام أنهم فرنسيون قبل كل شىء ، أصبحوا يعلنون اليوم فى هذا الحشد الجماهيرى «نحن يهود أولا . أن حرب اسرائيل هى حربنا» .

وقد وصلت أصداء هذه المظاهرات الى قصر الأليزيه . وكان رد الفعل لدى السلطات الفرنسية .. هو أنها أصدرت تعليمات وجيزة الى اجهزة الأمن طلبت منها فيها معرفة الدور الذى قامت به السفارة الاسرائيلية فى تنظيم هذه المظاهرة . وتلقت مختلف الادارات المنوط بها تزويد اسرائيل بالأسلحة أمرا بأن تفحص بدقة كل طلب فى هذا الشأن . وبدأت تظهر عقبات غير متوقعة كلما طلب الاسرائيليون استخدام هذا المطار او ذاك . واخذ رجال الجمارك الفرنسيون يفحصون بدقة متزايدة كل مستند وكل صندوق . وشكلت لجنة من عدد من الوزارات لكى تدرس بصفة عاجلة امكان فرض حظر على شحنات الأسلحة التى ترسل الى الشرق الأوسط ، أى الى اسرائيل .

في صـــباح يوم أول يونيو ، ارتفعت في واشنطن أصوات عديدة ومتزايدة تطالب بالوصول الى تسوية مع عبـد الناصر . وصرح «دان آرثر» معلق التليفزيون وموضع ثقة البيت الأبيض بقوله ان «الرئيس جونسون مقتنع بأن مصر لاتريد الحرب» .

ولقد أصبح الأمل فى الوصول الى تسوية مع مصر معقودا على رجلين هما : « شارلس يوست » و « روبرت أندرسون » . لقد وصل يوست الى القاهرة يوم ٢٩ مايو ـ موفدا من قبل الخارجية الأمريكية للتفاوض مع المصريين . وعندما قابل محمود رياض وزير الخارجية أعاد الوزير المصرى على سمعه وجهة النظر غير الرسمية لمصر وهى : «أن اسرائيل تستعد للهجوم على سوريا ، وقد قام السوفيت باخطارنا بذلك فى الوقت المناسب» .

وسأل يوست : ألا توجد أية فرصة للوصول الى تسوية ؟

واجاب رياض : «نعم بالتأكيد . ان المصريين لايفكرون مطلقا فى ان يبدأوا القتال ضد اسرائيل ، أما فيما يتعلق بالمضايق فيمكن تسوية هذا الموضوع» .

ولكن محمود رياض رفض ان يوضح كيف يمكن أن يتم ذلك. ولم يقتنع «يوست» ، وأحس أن مهمته فشلت . ومع هذا فقد أرسل برقية الى واشنطن قال فيهـا .. انـه يحسن ترك باب لعبد الناصر لكى يخرج منه .

وبالاضافة الى المبعوث الرسمى يوست ، فقد وصل الى مصر مبعوث سرى فى تكتم شديد ... وكان مزودا من قبل البيت الأبيض بتعليمات محددة هى : مقابلة عبد الناصر . وكان هـذا المبعوث الخاص الذى يعرف عبد الناصر هو «روبرت أندرسون» الوزير السابق فى عهد حكومة ايزنهاور .

وقد هبط «أندرسون» فى مطار القاهرة يوم ٣١ مايو فى سرية مطلقة . ولم يتح للسفير الأمريكى فى القاهرة أن يراه سوى بضع لحظات فقط فى الفندق ، كما أن «أندرسون» لم يستخدم أجهزة السفارة فى نقل تقاريره الى واشنطن .

وفى صباح اليوم التالى ـ أول يونيو ـ أدخل أندرسون سرا فى مكتب عبد الناصر .

لقد استمر الحديث بينه وبين عبد الناصر طويلا ، وقد رفض الرئيس المصرى أن يتراجع عن موقفه فى مسألة المضايق وقال «أن موقفى نهائى» ولم يقبل عبد الناصر من الاقتراحات سوى واحد هو : ارسال مبعوث مصرى كبير الى واشنطن لاجراء محادثات مع المسئولين الأمريكيين . وتقرر أن يرسل عبد الناصر نائبه الى واشنطن يوم الأربعاء ٧ يونيو .

وفى تل أبيب ، استدعى « أشكول » « موشى دايان » الى منزله واقترح عليه تولى منصب وزير الدفاع ، ووافق دايان . وبهذا انتهت أزمة كبرى عاشتها الحكومة الاسرائيلية خلال الأيام السابقة، فقد اضطرت الحكومة أخيرا الى الاستجابة لضغوط العسكريين والمدنيين ، بتشكيل حكومة اتحاد وطنى تضم دايان وزيرا للدفاع. ولقد كان تعيين «دايان» وزيرا للدفاع ـ فى أول يونيو ـ يشكل قرارا فى حد ذاته هو : **تحدى عبد الناصر** .

* * *

وفى القاهرة .. عقدت القيادة العليا اجتماعا طويلا يوم ٢ يونيو بحضور عبد الناصر ، وكانت القاهرة ترى أن حدة التوتر الدولى قد خفت ولم يثر تعيين « موشى دايان » وزيرا للدفاع قلقا مبالغا فيه . كان من رأى أجهزة المخابرات المصرية أن « أشكول » حاول بهذا التعيين الرد على انتقادات خصومه واستعادة الثقة التى اهتزت بحكومته .

ولهذه الاسباب .. وجدت القاهرة أنه من المناسب تحاشى وقوع مواجهة عسكرية بأى ثمن ، وعدم اتاحة الفرصة للاسرائيليين للقيام بهجوم ، وكسب الوقت . وكان هذا بمثابة أمر واجب التنفيذ .

وظلت مصر ترسل تعزيزات الى سيناء بدون هدف معين . وقد أذاع قائد الجيش أمر قتال جديدا قال فيه « من المحتمل أن

تقوم اسرائيل قريبا بهجوم على الجمهورية العربية المتحدة . وقد عملنا لذلك حسابا فى خططنا واننى اطلب منكم جميعا أن تكونوا يقظين » .

ان مصر لم تكن تنوى شن الحرب .

ولكن اسرائيل كانت تستعد لخوض المعركة .

لقد افتتح « موشى دايان » عمله فى وزارة الدفاع ، بأن طلب من الجنرالات أن يقدموا له فى المساء نفسه خطط عمليات هيئة أركان الحرب . وحوالى الظهر من اليوم نفسه ٢ يونيو ، عقد فى منزل « أشكول » اجتماع وزارى محدود اشترك فيه دايان وايبان وايجال آلون ورئيس هيئة أركان الحرب . وعرض دايان فى هذا الاجتماع خطته بشأن الحرب وهى تهدف الى تدمير الجيش المصرى فى سيناء واحتلال مضايق تيران .

لقد قال دايان للجنرالات : حدثونى عن خططكم فاذا لم يكن لديكم شىء منها فان لدى خططا . ولكن الجميع كانوا يعرفون ما هى مشروعات دايان ، فقد عرضها أكثر من مرة على قواد الجيش، وتحدث بشأنها أيضا مع رئيس أركان الحرب اثناء لقاءاتهما خلال فترة اعلان الطوارىء . وعرض « اسحاق رابين » على « دايان » فى الاجتماع مشروعه الجرىء وهو يهدف الى اختراق سيناء على أربعة محاور : محورين فى الشمال فى قطاع رفح ، ومحورين فى الجنوب فى قطاع القسيمة ، فى اتجاه معسكر أبو عجيلة المحصن . ووافق دايان على هذا المشروع فى جملته .. ولكنه طلب أن تحدد بوضوح أهداف هذه الحرب على النحو التالى : تدمير الجيش المصرى ، واحتلال شرم الشيخ .

***

فى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى (السبت ٣يونيو) اتصل مدير ادارة أفريقيا والشرق الأدنى بوزارة الخارجية الفرنسية بالسفارة الاسرائيلية فى باريس واستدعى الوزير المفوض الاسرائيلى لمقابلته .

وفى المقابلة .. قال المسئول الفرنسي للمثل الدبلوماسى الاسرائيلى : أبلغك أن فرنسا قررت أن توقف مؤقتا شحنات الأسلحة التى ترسلها الى الشرق الأوسط .

وكان هذا ينطبق على اسرائيل فقط ، لأن فرنسا لا تشحن أسلحة للشرق الأوسط الا لاسرائيل . لقد شرح المسئول الفرنسى فى هذه المقابلة أسباب هذا الحظر. كان السبب - شبه الرسمى - هو ان الصحف تحدثت أكثر من مرة عن شحنات الأسلحة الفرنسية لاسرائيل ، وبخاصة عن مسألة « بوردو » . فمنذ يومين هبطت أربع طائرات بوينج تابعة لشركة (العال) الاسرائيلية فى « بوردو » حيث شحنت بأسلحة وقطع غيار . ونظرا لأن مطار « بوردو » يستخدمه كل من السلاح الجوى الفرنسى والطيران المدنى ، فلم يكن من الصعب تصوير الطائرات أو اعداد مقالات للصحف التى ستصدر فى اليوم التالى .

أما السبب الرسمي للحظر ، فقد كان قاطعا . لقد قال المسئول الفرنسى : ان فرنسا ليست مرتبطة بأى طرف من أطراف النزاع ، وهذا هو السبب فى أننا لن نرسل أسلحة للشرق الأوسط

وفي الساعة نفسها .. اتصل وزير الدفاع الفرنسى بجورج بومبيدو رئيس الوزراء وطلب منه رفع الحظر المفروض على شحنات الأسلحة الفرنسية الى اسرائيل . وقد رد عليه بومبيدو - بعد بحث سريع للموضوع - انه يمكن الاستمرار فى ارسال الشحنات التى تم الاتفاق عليها . ان غاية ما فعله بومبيدو .. هو انه سمح بشحن صناديق الأسلحة الجاهزة في السفن ، واتمام شحن الطائرات الاسرائيلية التى وصلت فعلا الى باريس . وهكذا فان الحظر لم يتأجل الا لمدة أربع وعشرين ساعة .

وفي الساعة السابعة مساء من اليوم نفسه (السبت ٣ يونيو) وصل الى قصر الأليزيه متخفيا أحد الزوار . وكان هذا الزائر هو « والتر ايبان » سفير اسرائيل في باريس . لقد أدخل السفير الاسرائيلى فى سرية تامة الى الجنرال ديجول ، وظل الاثنان وحدهما وجها لوجه .

وكان ديجول يبدو فى هذه المرة أكثر هدوءا منه عندما اجتمع بأبا ايبان منذ عشرة أيام . ولكن رأى ديجول فى هذه الأزمة أنهـا لم تتغير .. لقد حلل الموقف فى هذا الصباح أمام أحد المقربين اليه فقال : « ان فكرة الروس كانت ترمى الى تسميم الموقف فى الشرق الأوسط ، وهذا هو السبب فى أنهم دفعوا المصريين لـكى يدخلوا سـيناء . وكانوا يعتقدون أنه اذا اسـتمرت حوادث الحـدود ، واستمر تسلل المخربين ، واستمر تجمع القوات المصرية لمدة بضعة أسابيع أو بضعة أشهر .. فان الموقف سيصل الى نقطة الانفجار ، وعندئذ ستجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة الى ارسال قوات الى الشرق الأوسط للدفاع عن اسرائيل ضد هجوم عربى محتمل ، مما يؤدى الى تحويل النزاع الى حرب على غرار الحرب الفيتنامية . ولكن عبد الناصر استطاع التخلص من سيطرة الروس ، فأرسل الى الحدود الاسرائيلية قوات تفوق ما كان متـوقعا .. كما أغلق أيضا مضايق تيران دون أن يستشير موسكو . وهكذا ازداد خطر تصاعد الحرب تفاقما ، وأصبح من الممكن أن يتدهور الموقف الى حد وقوع مجابهـة عسـكرية بين الدولتين الكبيرتين ، وأصبح من الضرورى تحاشى ذلك بأى ثمن .

وقد أعاد « ديجول » أثناء اجتماعه السرى مع سفير اسرائيل ترديد تحذيره فقال : (لا تكونوا البادئين باطلاق النار) ولم يكن سفير اسرائيل مستعدا لهذه المقابلة ، ولكن موضـوع الحديث الذى جاء من أجله والذى كان يهمه فى المقـام الأول هـو : الحظر الذى فرضته فرنسا على شحنات الأسلحة المرسلة الى اسرائيل .

ولم يحاول « ديجول » حتى الاحتماء خلف أعذار رسمية . فقد أبلغ السفير الاسرائيلى صراحة أنه قرر وقف شحنات الأسلحة بقصد منع نشوب الحرب . وقال انه اذا أدرك عملاء فرنسا – أو بعبارة أخرى اسرائيل – ان مصادر سلاحهم قد نضبت ، فانهم سيحذرون الارتماء فى أحضان الحرب .

وشرح السفير الاسرائيلى باسهاب .. أن مثل هذا القرار لن يضر سوى اسرائيل التى تشترى كل سلاحها تقريبا من فرنسا .

أما الدول العربية ، فانها على العكس تتلقى من الاتحاد السوفيتى كميات ضخمة من العتاد العسكرى ، ومع هذا فان أحدا لن يهتم ولو لحظة واحدة بوقف شحنات المدافع والدبابات المرسلة الى مصر وسوريا .

ولكن « ديجول » ظل صلبا كالصخرة ورفض رفع « الحظر الوقائى » الذى فرضه على الأسلحة المرسلة الى اسرائيل . لقد قرر ديجول للسفير الاسرائيلى قوله : « لا تشنوا الحرب التى أعرف ان الطرف الآخر لا يريدها . لقد بذلت كل ما فى وسعى لتحاشى الحرب . وهناك حل واحد ، وهو موجود فى أيدى الدول الأربع الكبرى » .

ورد السفير قائلا .. ان مصر قامت بعمل عدوانى عندما اغلقت المضايق ، وأشار الى التهديدات التى ترددها الدول العربية بتدمير اسرائيل .

وأجاب ديجول : « اذا تعرضتم للهجوم ، فلن تتركوا لكى تصبحوا ضحية للتدمير ، واننى مقتنع بانه اذا نشبت حرب ، فسوف تكلفكم الكثير من الخسائر والدماء ، كما أنها لن تحل أى مشكلة . وسيكون لزاما عليكم بعد عشر سنوات أن تحاربوا من جديد » .

واستطرد ديجول قائلا كأنه يفكر بصوت عال : « اننى لا اعرف اذا كانت الحرب ستنشب ام لا . وانت أيضا يا سيدى السفير لا تعرف .

وأضاف قائلا : « لا تضعوا أملكم فى الولايات المتحدة ، فهى لن تنقذكم » .

وخرج السفير من « قصر الأليزيه » وقد ساوره احساس عميق بالمرارة وخيبة الأمل . لقد قامت فرنسا من جانب واحد بوقف شحنات الأسلحة الى اسرائيل فى أشد لحظات وجودها حرجا . وقد فرض هذا الحظر على اسرائيل قبل أن تطلق رصاصة واحدة .

وقد بادر السفير بارسال برقية الى تل أبيب ، شرح فيها مضمون حديثه مع ديجول وقال فيها : انه لم يحدث أى تغيير ايجابى فى موقف الرئيس الفرنسى . بل على العكس ، فهو شخصيا الذى أمر بوقف ارسال شحنات الأسلحة الى اسرائيل لمنعها من القيام بأى عمل عسكرى .

غير أن السفير لم يعرف كل شىء . فهو يجهل العبارات القاسية التى وجهها ديجول الى رئيس وزرائه « جورج بومبيدو » بسبب المساندة التى يبديها آل روتشلد لاسرائيل . لقد استشاط ديجول غضبا من يقظة الشعور القومى اليهودى لدى بعض الفرنسيين ، ورأى فى ذلك ما يشبه الخيانة . وبعدها قال بومبيدو ـ وهو متضايق ـ لأحد أفراد أسرة روتشيلد « قل لأصدقائك أن يقفوا انتقادهم لسياسة الحكومة الفرنسية ، لأنهم لا يعرفون أين توجد مصلحتهم » .

***

وفى تل أبيب .. قال الصحفى البريطانى « ونستون تشرشل » لموشى دايان الذى دعاه لتناول الغداء : « كان جدى فى حاجة الى هتلر لكى يصل الى الحكم » .

ورد دايان قائلا : « لقد اقتضى الأمر أيضا حشد ٨٠ الف جندى مصرى فى سيناء لكى أحصل على منصب وزير الدفاع » .

وقد قال دايان للصحفى الشاب ما يفهم منه ، أن الحرب ليست وشيكة الوقوع ، وعندئذ بادر « ونستون تشرشل » فحجز لنفسه مقعدا على أول طائرة تقلع فى الغد الى لندن .

وفى الساعة الثالثة ، وصل « موشى دايان » الى قاعة العمليات . وفى الساعة الرابعة عقد فى نادى الصحافة أول مؤتمر صحفى له أمام مئات من مراسلى الصحف الأجنبية ، ومن بين اجاباته على الأسئلة العديدة التى وجهت اليه .. كانت هناك اجابة تستلفت النظر .. فعندما سئل عن الورطة الدبلوماسية التى وجدت اسرائيل نفسها فيها منذ اغلاق المضايق قال : « فى الوقت الحاضر ربما كان الوقت مبكرا أكثر مما ينبغى ، أو متأخرا أكثر

مما ينبغي . فهو ربما كان مبكرا اكثر مما ينبغي لاستخلاص نتائج بشأن العمل الدبلوماسي الذى يجبالقيام به بشأن هذه المسألة» .

وقد استنتج الصحفيون من هذا الكلام ، ان دايان لا يتوقع نشوب حرب فى الأيام المقبلة .

وفى الوقت نفسه حصل كثير من الجنود الاسرائيليين على اجازة قصيرة . بل ان عدة آلاف من جنود الاحتياطى تم تسريحهم فى الوقت نفسه بعد أن ابلغوا بكلمة السر التى تذاع فى الراديو اذا ساء الموقف . وعندما رأى « آرثر جولدبرج » المندوب الامريكى فى الأمم المتحدة صور الجنود الاسرائيليين فى أجازة والتى نشرت فى اليوم التالى ، اكفهر وجهه وقال : « **ان هذه الحكايات المتعلقة بالجنود الاسرائيليين الذين حصلوا على أجازات لا تثير سرورى . وحيث اننى أعرف هؤلاء الاسرائيليين .. فان هذه الحكايات ربما تعنى انهمسيعلنون الحرب غدا** » .

فى القاهرة .. قام سفير الاتحاد السوفيتى بزيارة عبد الناصر فى هذا المساء (السبت ٣ يونيو) وقال له طبقا لما تلقاه من حكومته من معلومات : ان الأزمة فى طريقها الى الهدوء وأن اسرائيل لن تقوم بالهجوم .

وفى تل أبيب .. بعث السفير السوفتيى «ديمترى تشوفاخين» ببرقية الى موسكو ضمنها وجهة نظره ، وهى أن اسرائيل لن تفعل شيئا قبل مضى اسبوعين .

وفى واشنطن .. « دعا والت روستو » ممثل اسرائيل لتناول طعام الغداء على مائدته وقال له : « انتظروا حتى نهاية الاسبوع المقبل قبل أن تقرروا العمل » .

ولكن المندوب الاسرائيلى لم ينبس ببنت شفة . فقد كان يعلم ان الحرب نفسها قد أصبحت مسألة ساعات .

وفى اليوم التالى (الأحد ٤ يونيو) عقد « الملك حسين » مؤتمرا صحفيا فى عمان وقال فيه : « ان اسرائيل تستطيع أن

تهاجمنا خلال الثمانى والأربعين ساعة القادمة .. فهى معتادة على القيام بمثل هذه المفاجآت » .

أما فى القدس نفسها .. فقد اجتمعت الحكومة الاسرائيلية فى الثامنة صباحا وعرض عليها « آب هارمان » السفير الاسرائيلى فى واشنطن تقريره عن الموقف فى الولايات المتحدة . وفى الاجتماع اقترح « موشى دايان » وزير الدفاع أن « تعطى الحكومة سلطات مطلقة لرئيس الوزراء ولوزير الدفاع لكى يستطيعا دفع الجيش الاسرائيلى الى المعركة اذا دعت الحاجة الى ذلك » . وكان الجميع يفهمون ما يعنيه ذلك .

ورغم العبارات الغامضة التى تضمنها قرار الحكومة ، فقد كان المعنى واضحا ، وهو أن اسرائيل ستخوض الحرب . واتصل «موشى دايان» تليفونيا باسحاق رابين رئيس هيئة أركان الحرب، لكى يبلغه بقرار الحكومة .

***

وفى الساعة الحادية عشرة مساء ، عقد فى تل أبيب آخر اجتماع لمجلس الوزراء برئاسة « أشكول » . أما موشى دايان ، فقد رقد فى قاعة العمليات .

وقبل أن يستسلم « دايان » للنوم ، طلب من أحد مساعديه أن يمر على « بن جوريون » لكى يبلغه بقرار الحكومة : « قل له ان الحكومة وافقت على اقتراحى .. واننى أعتقد ان الحشود المصرية لها طابع هجومى » .

وعندما وصل المبعوث الى منزل بن جوريون .. فكر بن جوريون لحظة ثم قال : « هل موشى واثق من نفسه ؟ » .

ــ نعم ..

قال بن جوريون : فى هذه الحالة ، امنحه بركاتى !

طوال الفجر ، وفى الصباح المبكر ، من يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ كان يتوالى وصول قواد هيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلى ، وعلى رأسهم وزير الدفاع ، الى قاعة عمليات السلاح الجوى الاسرائيلى . وهناك فى الساعة السابعة وعشر دقائق بتوقيت اسرائيل انحنى قائد سلاح الطيران نحو الميكرفون والقى بالكلمتين المتفق عليهما من قبل : « موكيد ـ جو » .

وأعلن المتحدث باسم الجيش للصحفيين ان الجيش الاسرائيلى يقوم بهجوم مضاد على أثر « التحركات المنطوية على التهديد » التى قام بها الجيش المصرى .

واقلعت عشرات الطائرات من عدة قواعد جوية فى اسرائيل . وكانت تضم طائرات من طراز : فوتور ـ وميراج ـ وسوبر ميستير واوراجون .. وقد انتظمت فى تشكيلات يتكون كل منها من أربع طائرات ، وقد انطلقت هذه الطائرات النفاثة طبقا لتوقيت حسب بدقة حتى الثانية الأخيرة ، بحيث تصل جميع الطائرات فى اللحظة نفسها الى أهدافها المنتشرة فى أراضى مصر وسيناء .

لقد تم اختيار ساعة الصفر بذكاء ودهاء .. فعندما تصل الطائرات الى أهدافها تكون الساعة قد بلغت الثامنة و ٤٥ دقيقة فى مصر (وفرق التوقيت بين القاهرة وتل أبيب هو ساعة) . واذن فان المصريين سيؤخذون على غرة .. لأنهم كانوا يعتقدون أن الهجوم الاسرائيلى الشهير سوف يأتى مع «أول ضوء فى الفجر» وما دام هذا الهجوم لم يقع فى ذلك الوقت .. فان يقظتهم سوف تضعف . كما ان الرؤية فى لحظة الهجوم ستكون رائعة ، لأن ضباب الصباح سيكون قد انقشع بفضل أشعة الشمس الاولى . وسيكون معظم قواد سلاح الطيران المصرى فى طريقهم الى مكاتبهم أو الى معسكراتهم أو الى مواعيدهم فى المدينة . لقد كان هذا هو التوقيت المثالى للقيام بهجوم جوى .

وقد حدث ما كان متوقعا أن يحدث : فقد خفضت حالة

الطــواريء فى المطــارات المصرية ، وأوقف الطيــارون المصريون محركات طائرات الميج ونزلوا منها الى قاعة الطعام لتناول قدح من القهــوة . وأقلعت من مطار غرب القــاهرة ، طائرة ثقيلة ، كانت تحمــل القائد العــام للجيش المصرى الذى قرر التــوجه اليــوم « ٥ يونيو » الى الصحراء للقيام بجولة تفتيشية .

ومضت الدقائق والطائرات الاسرائيلية تمرق نحو اهدافها . وقد اتجهت أولا عدة طائرات مقاتلة نحو الشمال ، وحلقت على ارتفــاع كبير فوق البحر الأبيض المتوســط ، ثم انحرفت نحــو الغرب ، واتجهت نحو مصر . وكانت الطائرات تطير على ارتفــاع منخفض جداً لا يتجاوز بضعة أمتار عن ذروة الأمواج .. وذلك بقصد تحاشي عيون الرادار الاليكترونية . وعندما وصلت الطائرات فوق البحر ، الى المنطقة الموازية لدلتا النيل ، انحرفت فجأة نحو الجنوب . ولم يكن أحد يتوقع أن تتخذ هذا الاتجاه الذى تســير فيه عادة طائرات الخطوط الجوية المدنية .

أما أسراب الطائرات ــ التى انطلقت نحو مطارات سيناء ــ فقد اتخذت طريقا آخر . لقد أخذت تطير فى الأغوار وبين التلال . وهكذا مرت هى الأخرى دون أن تلحظها أجهزة الرادار المصرية . وفىالساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين ــ بتوقيت مصر ــ كانت جميع الطائرات فوق أهدافها . وفى اللحظة نفسها اندفعت نحو ممرات المطارات وأمطرت الطائرات المصرية القابعة عليها بوابل من الصواريخ والقذائف والقنــابل ، كما ألقت قنــابل ثقيلة على الممرات فصدعتها وأحدثت فيها فجوات واسعة . وهكذا تحولت مطارات مصر الى شعلات من اللهب والنار الضخمة .

ولم تلبث شبكات اللاسلكى بعيدة المدى الموجودة فىالطائرات الاسرائيلية ، والتى كانت صامتة حتى هــذه اللحظة ، أن بدأت تعمــل من جديد فى وقت واحد . وقطع الصمت الثقيــل المتسم بالتوتر ، والذى كان يسود قاعة العمليات الاسرائيليــة بصيحات الدهشة والفرح من الطيارين .

وفى الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة ــ بتوقيت أسرائيل ــ

قطع راديو «صوت اسرائيل» اذاعته ليعلن : « فيما يلى بلاغ لتحدث عسكرى : تدور منذ الصباح معارك عنيفة فى الجبهة الجنوبية بين القوات الجوية والمدرعة المصرية التى تحركت نحو اسرائيل ، وقواتنا التى اشتبكت معها لردها على أعقابها » .

وانطلقت الدبابات وبدأ الهجوم .

وبدأت حرب الأيام الستة .

***

فى الساعة الثانية والدقيقة الخمسين فى «نيويورك» وصلت التعليمات الى رئيس وفد اسرائيل فى الأمم المتحدة ، وبناء عليها اتصل المندوب الاسرائيلى على الفور برئيس مجلس الأمن وطلب منه عقد اجتماع عاجل للمجلس . وقد سبقه بعشرين دقيقة عدوه اللدود « محمد عوض القونى » مندوب مصر ، الذى قدم هو الآخر طلبا لرئيس المجلس بعقد اجتماع عاجل .

وقبل ذلك بـ ١٢ دقيقة .. التقط أحد أجهزة البرقيات فى « قاعة الاخبار » فى بدروم البيت الأبيض ، أول نبأ عاجل .. لقد اتصل الضابط النوبتجى على الفور بـ « والت روستو » وأبلغه بالنبأ . وقال روستو : « افحص الاخبار وعاود الاتصال بى » . وخلال دقائق كانت قد وصلت أنباء أخرى : لقد نشبت الحرب .

وعقب الساعة الثالثة بقليل ، بتوقيت واشنطن ، وصل « دين راسك » الى مبنى وزارة الخارجية ، وأسرع نحو قاعة العمليات التى يطلق عليها اسم « المخزن الساخن » وهى توجد بالدور الثامن من هذا المبنى الضخم . وهذه القاعة على اتصال مستمر مع قاعة العمليات الموجودة بوزارة الدفاع ، ومع « قاعة الموقف » التي توجد بالبيت الأبيض . وفك « راسك » رباط عنقه وأمسك بالبرقيات التى وصلت من الشرق الأوسط ، وبدأ يدرسها وهو يحتسى قهوة ساخنة . وبسرعة تم تنظيم العمل على شكل مجموعات . وكانت كل مجموعة مؤلفة من عشرة رجال يحل غيرهم محلهم كل ٦ ساعات . وأخذ « المخزن الساخن » يتلقى سيلا من الأنباء من وكالة المخابرات المركزية ومن وكالات الأنباء الصحفية ومن وزارة الدفاع ومن البيت الأبيض .

وكان « والت روستو » على اتصال دائم من « قاعة الموقف » فى البيت الأبيض مع راســك ومكنمارا . وفى الســاعة الرابعــة والنصف صباحا قرر كل هؤلاء أنه يجب ايقاظ الرئيس جونسون.

وقال روستو لجونسون :

ــ لقد نشبت الحرب فى الشرق الأوسط .. ثم أضاف الى ذلك بعض التفــاصيل المتعلقــة بالهجــوم الجوى الذى وجه الى المطارات المصرية .

وكان الرئيس الامريكى هادئا جدا وفى غاية التحفظ . وكان أول سؤال له « كيف بدأ ذلك ؟ من الذى أطلق النار أولا ؟ وأجاب روستو : « ان هذا ليس واضحا حتى هذه اللحظة » . ثم التفت نحو أحد مساعديه وقال له : « ابحث على الفور كيف بدأ ذلك . اننى أريد أن أعرف من الذى بدأ القتال » .

واتصل « راسك » تليفونيا بجونسون واقترح عليه ارسال خطاب الى « جروميكو » . ووافق « جونسون » وكان مضمون الرسالة معتدلا . وقد أعرب وزير الخارجية الامريكيــة فى هــذه الرسالة عن أسفه لنشوب القتال فى الشرق الاوسط .. وأشــار ان الولايات المتحدة .. لا تزال تتمســك بشــدة بمبدأ الســلامة الاقليمية والاســتقلال بالنسبة لجميع الدول فى هــذه المنطقة من العالم ، وتأمل ان يتوقف القتال فى أقرب وقت ممكن . وأضاف « راسك » ان الولايات المتحــدة ترغب فى وقف أطلاق النــار على الفور . وقال انها ستتدخل لدى الحــكومات المعنية ، وكذلك فى نطاق الامم المتحــدة . وأعرب «راسك» عن أمله فى أن يتخــذ الاتحاد السوفيتى من جانبه موقفا مماثلا . وأرسلت الرســالة فى برقية عاجلة الى « أندريه جروميكو » فى موسكو .

وفى باريس .. استولى على الجنرال ديجول غضب شــديد وقلق عميق عندما علم أن الحرب قد نشبت . أما الغضب .. فيرجع الى أن النصائح التى بذلها لاسرائيل ومصر لم تجد آذانا

مصـغية ، وقد قال لجورج بومبيـدو ـ الذى استدعى على عجل الى قصر الأليزيه ـ : «انهم لم يصغوا الى نصيحة فرنسا» .

أما القلق فلأن ديجول كان يخشى تفاقم الموقف . وقد قال رئيس الجمهورية الفرنسية لأحد مستشاريه : «ان الاسرائيليين هم الأقوى . وليس ثمة شك فى انهم سـيحرزون خـلال الأيام الأولى انتصارات باهرة . ثم بعد ؟! .. ان تقدمهم سوف يبطىء، ثم ينتهى بهم الأمر بأن يغوصوا فى البحر العربى الذى يحيط بهم من كل جانب . وسوف يشن العرب هجوما مضـادا ويردون الاسرائيليين على أعقابهم نحو أراضيهم بل انهم ربما يستطيعون التوغل فى اسرائيل . وعنـدئذ ستجد الولايات المتحدة نفسـها مضطرة الى التدخـل للدفاع عن الاسرائيليين ، ممـا قد يؤدى بالتالى الى تدخل السوفيت الى جـانب العرب . وهـكذا فان الصراع قد يسفر عن مجابهة بين الدولتين العظيمتين ، بل قـد يؤدى الى حرب عالمية» .

وكان من رأى «ديجول» أن فرنسا يجب أن تبذل كل مافى وسعها لوقف القتال ، أو على الأقل لتحديد نطاقه . وقد تصرفت فرنسا فعلا لتحقيق هذا الهدف . ففى هذا الصباح صدر بلاغ رسمي بناء على أمر «ديجول» يعلن حظر جميع شحنات الاسلحة للشرق الاوسط . واذن .. فبعد الحظر السرى الذى فرضـته فرنسا على اسرائيل منذ يومين جاء الحظر الرسمى .

وفى البيت الأبيض بواشنطون .. كانت المبرقات الكاتبـة الموجودة فى «قاعة الموقف» تقذف بأعداد متزايدة من البرقيـات المتعـلقة بالشرق الأوسـط . وقـدمت مختلف فروع هيئـة الاستعلامات الأمريكية ، تقريرا عاجلا الى «الرئيس جونسون» . وكان أساطين الجاسوسية على يقين من أن اسرائيل سـتحرز النصر خلال أربعة أو خمسة أيام . وقد رأوا أن الاسرائيليين لايحتاجون الى اكثر من ٢٤ ساعة لتحطيم الطيران المصرى وهو جاثم على الأرض .

وفى الساعة السابعة .. قرأ «جورج كريستيان» السكرتير

الصحفى للبيت الأبيض ، البيان الأول الذى يتضمن الاعراب عن اسف الرئيس جونسون لنشوب القتال ، كما تضمن البيان نداء بوقف اطلاق النار على الفور .

وأرسلت برقيات عاجلة ، الى الملحقين العسكريين والدبلوماسيين الأمريكيين فى القاهرة وتل ابيب ، طلب منهم فيها الاجابة على هذا السؤال : «من الذى أطلق النار أولا ؟» .

وحوالى الساعة الثامنة كف مساعد «روستو» عن البحث عن المدفع الذى أطلق أول قنبلة . وقال له رؤساؤه ان هذه المسألة لم تعد موضع اهتمام فى الوقت الحالى .

واستدعى «جونسون» «جولد برج» مندوب أمريكا فى الأمم المتحدة و «مكنمارا» وزير الدفاع . وأصدر بنفسه تعليمات الى «جولدبرج» بأن يقترح على مجلس الأمن وقف اطلاق النار على الفور . وطلب من «مكنمارا» أن يضع بصورة عاجلة جميع الوحدات الأمريكية فى المنطقة فى حالة تأهب .

ولم يكلف «جونسون» نفسه مشقة النهوض من فراشه وارتداء ملابسه ، فقد كان فى هذا الوقت من الأزمة ، يدير شئون أمريكا من على سريره .. والى جانبه تليفونه الخاص .

وفى الساعة السابعة والدقيقة ٥٩ دق التليفون ، وكان المتحدث هو «والت روستو» . وبعدها نهض الرئيس الأمريكى والتفت الى سكرتيره وقال له : يجب أن أنزل الى «قاعة الموقف» فقد تسلمنا عن طريق «التليفون الأحمر» رسالة من كوسيجين.

ان «التليفون الأحمر» ـ هذا التليفون الغامض ـ يتألف فى الواقع من أربع آلات كاتبة مبرقة .. اثنتين فى الكرملين فى موسكو ـ والاثنتين الاخريين فى وزارة الدفاع الأمريكية بواشنطن . وهكذا .. فان كلا من العاصمتين تملك جهازين يتصلان ببعضهما بخط مباشر مع توأميهما فى الدولة الأخرى . واحد الجهازين روسى مزود بحروف روسية .. بينما الآخر أمريكى مزود بحروف لاتينية . وعن طريق هذه المبرقات الكاتبة .. يستطيع

زعماء الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الاتصال ببعضهما فى اى وقت ، والتشاور معا فى حالة وقوع أزمة عالمية يخشى أن تتحول الى نزاع خطير . ومنذ انشيء الخط الاحمر فى ٣٠ اغسطس ١٩٦٧ ، فانه لم يستخدم مطلقا الا فى حالات الفحص الدورى ، التى نقل خلالها الاخصائيون الامريكيون نتائج مباريات الكرة الطائرة ، ونقل خلالها الاخصائيون السوفيت الى واشنطن عبارات مأخوذة من كتاب «مذكرات رسام» لتورجنيف .

ولكن الموقف اليوم خطير . فى هذا الصباح استيقظت فجأة الآلات المبرقة الكاتبة الموجودة فى وزارة الدفاع الأمريكية وسجلت الكلمات التالية : «ان كوسيجين رئيس مجلس الوزراء يسأل اذا كان الرئيس جونسون موجودا على الخط ..»

ثم توقف الجهاز الأوتوماتيكي برهة قبل أن يستأنف الكتابة .. «نرجو أن تنقلوا للرئيس جونسون الرسالة التالية ..»

ونزل جونسون بخطوات سريعة الى «قاعة الموقف» وجلس على مقربة من مائدة المداولات . وفى اللحظة نفسها سقطت رسالة كوسيجين التى كانت عبارة عن بعض سطور مكتوبة على ورقة صفراء من أنبوبة التفريغ الى داخل الوعاء المعدنى . بعد ثوان وصلت الترجمة الانجليزية للرسالة . وكانت الرسالة قصيرة ، ونظرة واحدة اليها كانت كافية لادخال الطمأنينة الى قلب جونسون الذى قال حينئذ .. «لن تقع حرب عالمية» .

ان «كوسيجين» أكد فى رسالته ، أن الاتحاد السوفيتى يعارض بشدة الحرب والعدوان . ثم القى مسئولية نشوب القتال على اسرائيل وطلب من الولايات المتحدة أن تستخدم كل نفوذها لدى الحكومة الاسرائيلية ، وان تحذرها من العواقب المفجعة التى قد تنجم عن أعمالها . وأضاف كوسيجين .. ان الاتحاد السوفيتى يقف الى جانب الشعوب العربية المحبة للسلام . وقال : انه اذا اشتركت الولايات المتحدة فى الحرب الى جانب اسرائيل فان الحكومة السوفيتية ستصدر أوامرها فورا

الى قواتها المسلحة لتقدم عونها العسكرى الى الدول العربية ولتوقف العدوان الامبريالى .

وقد كانت هذه الرسالة ، لاتعدو أن تكون طريقة لبقة ، يقصد بها القول للأمريكيين : «اننا لانريد الحرب ومن الأفضل لكم ولنا ان نظل خارج هذا الموضوع كله» .

وخلال فترة قصيرة ، رد «جونسون» على «كوسيجين» ، وقال فى رده : «اننا لانملك معلومات عمن بدأ القتال ، ويجب أن تتعاون كل من موسكو وواشنطن حتى تحصلا على وقف اطلاق النار فى الحال واعادة السلام» .

وفى اليوم نفسه ٥ يونيو .. تسلم كوسيجين رسالة اخرى من ديجول عن طريق «الخط الأخضر» وهو نظير «الخط الأحمر» بين باريس وموسكو . وأعرب «الجنرال ديجول» فى رسالته عن قلقه البالغ من أجل سلام العالم فى أعقاب أحداث الشرق الاوسط .. وكرر اقتراحه المعتاد بعقد لقاء عاجل بين الدول الكبرى لحل مشكلات المنطقة واجبار الاطراف المعنية على وقف اطلاق النار والانسحاب داخل حدودها .

وفى واشنطن .. بدأت الأنباء تتوالى عن اتساع جبهة القتال وعن امتداد القتال الى الحدود الأردنية والحدود السورية . وعندما أصبحت الساعة السابعة فى موسكو ، والثانية عشرة فى واشنطن ، بدأ « الخط الأحمر» أو «الخط الساخن» يعمل من جديد بين موسكو وواشنطن . ان الجهاز لاينقل فى هذه المرة رسالة عادية من كوسيجين ، بل انذارا . ان نص هذه الرسالة يعيد الى الأذهان .. الرسائل الشهيرة التى بعث بها الاتحاد السوفيتى الى كل من انجلترا وفرنسا واسرائيل اثناء أزمة قناة السويس فى الخامس من نوفمبر ١٩٥٦ .

وأحدثت الرسالة – فى هذه المرة – تأثيرا بالغا وجزعا حقيقيا فى البيت الأبيض ، واصبح العالم مهددا من جديد بحرب ذرية يمكن ان تنشب فى اى لحظة . واحتفظ «جونسون» بهدوء اعصابه ، وراح يضع مع «والت روستو» اسس خطة عمل على

مرحلتين . وبدأ جونسون بأن أرسل رسالة الى موسكو يؤكد فيها تسلمه لرسالة كوسيجين . وفى الوقت نفسه أصدر اوامره الى جميع وحدات الاسطول السادس الأمريكى فى البحر الأبيض المتوسط بالاتجاه صوب منطقة المعارك .

وفى خلال بضع دقائق .. كانت عشرات السفن الحربية وحاملات الطائرات الأمريكية تتجه بسرعة صوب شواطىء سيناء. وكان ذلك بمثابة مظاهرة كبرى من مظاهرات القوة ، وعندما وصلت الى موسكو أنباء هذه التحركات ـ وكان هذا مايريده جونسون ، الذى بدأ بعد ذلك يكتب بيده ، بمساعدة والت روستو ، رسالة الى كوسيجين أشار فيها الى تعهدات الحكومة الأمريكية بالمحافظة على استقلال اسرائيل . وفى تلك اللحظات .. لم يكن العالم فى أى وقت مضى ـ منذ أزمة كوبا ـ على مقربة هكذا من الحرب النووية .

ان «جونسون» لم يخاطر بالحرب الذرية من أجل «سواد عيون» اسرائيل ، بل خضع لاعتبارات منطقية بحتة . فقد انهالت على البيت الأبيض ـ طوال فترة الصباح ـ البرقيات التى تبرز الانتصارات المذهلة للجيش الاسرائيلى : اولا الهجوم الجوى ثم التقدم بسلاح المدرعات . ولهذا فلقد كان واضحا أن العرب سيطلبون مساعدة حليفهم الرئيسى : الكرملين . وادرك «ليندون جونسون» أنه اذا نجح فى تجميد نشاط السوفيت ومنع تدخلهم فى المعارك .. فان هزيمة العرب امام الاسرائيليين سيفسرها العالم على أنها هزيمة منكرة للاتحاد السوفيتى ، تفوق هزيمة كوبا سنة ١٩٦٢ . كما أدرك أيضا .. أن العالم العربى الذى لحقته الهزيمة فى الحرب ، سيشعر بخيبة أمل كبيرة تجاه موسكو وهكذا سيكون الروس فى نهاية الأمر هم أكبر المهزومين فى الحرب الاسرائيلية العربية . ان جميع الأسباب تحمل لندون جونسون على أن يتمنى النصر لاسرائيل .

وفى الوقت نفسه الذى كانت فيه الرسائل تطير بين واشنطن والكرملين ، وقع حدث « فنى » بوزارة الخارجية الأمريكية . لقد عقد المتحدث الرسمى مؤتمرا صحفيا شرح فيه موقف أمريكا فى

الأزمة بقوله : «اننا محايدون بالفكر والقول والعمل» . ولم يكن المتحدث الأمريكى يعلم أنه ألقى بقنبلة ! .

فقد انهالت فى الحال المكالمات التليفونية الغاضبة على البيت الأبيض ، وعشرات الآلاف من البرقيات ، كما وصلت احتجاجات من القادة الأمريكيين واليهود . وعندما علم «جونسون» بالسبب .. اجتاحه غضب شديد ، وقرر اذاعة بيان يضع الأمور فى نصابها فورا .

وفى الحال .. هرول المتحدث الرسمى ليجمع الصحفيين ويقول لهم : ان التعبير السابق .. لم يكن يعنى أن أمريكا تقف موقف الحياد وعدم المبالاة .. بل المقصود هو أن أمريكا ليست محاربة .

ولم يكتف جونسون بذلك ، بل استدعى «دين راسك» وطلب منه أن يؤكد هذا التكذيب أمام الصحافة .

* * *

فى موسكو .. كان المكتب السياسى ــ وهو أهم هيئة فى الحياة السوفيتية ــ منعقدا منذ الصباح . وكان فى جدول أعماله مسألة واحدة هى : الحرب فى الشرق الاوسط . وكانت المعلومات التى وصلت الى موسكو متفرقة ومشوشة . ولم يكن السوفييت فى البداية يعرفون من الذى بدأ القتال وأين توجد الجبهة ومن الذى كسب ومن الذى خسر . وخلال ساعات .. كان الموقف قد بدأ يتضح للسوفييت شيئا فشيئا . وبعد ثمانى ساعات من المناقشات المستمرة .. رفع المكتب السياسى جلسته ان رد فعل الولايات المتحدة الحاد على ــ رسالة كوسيجين ــ من شأنه أن يمنع من الآن فصاعدا أى تدخل عسكرى سوفييتى . وانتصر المعتدلون من أعضاء المكتب السياسى ، واتخذوا قرارات فى نهاية الاجتماع : سوف لا يصوت الاتحاد السوفييتى فى الأمم المتحدة على قرار بوقف اطلاق النار ، الا اذا تضمن هذا القرار نداء للأطراف المعنية بأن تسحب قواتها من الأراضى المحتلة . وفى

الحقيقة .. لاتستهدف مثل هذه التوصية سوى اسرائيل ، التى توغل جيشها فى الأراضى المصرية .

أما القرار الثاني .. فكان قرارا سريا وهو : أن العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل سوف تقطع اذا استمرت هذه الدولة فى اعتداءاتها . ان قطع العلاقات الدبلوماسية هو عمل مظهرى . ولكى يكون له وزن ، فيجب أن تقوم به جميع دول الكتلة الشيوعية . ولم يكن قادة الاتحاد السوفييتي واثقين من أن الدول الديمقراطية الشعبية ستتبع كلها مثل هذا القرار الذى اتخذه الكرملين . فرومانيا تنتهج منذ فترة بعيدة سياسة مستقلة ، وتحاول بولندا — بحذر — أن تسير على منوالها . وحتى تتأكد روسيا من أن جميع دول الكتلة الاشتراكية ستتبع توجيهات موسكو ، قررت استدعاء رؤسائها على عجل لحضور اجتماع سرى للغاية فى العاصمة السوفيتية .

* * *

وفى مجلس الأمن .. اقترح «آرثر جولد برج» المندوب الامريكى .. وقف اطلاق النار بلا قيد أو شرط ، ولكن العرب رفضوا الموافقة على قرار لوقف اطلاق النار لاينص على سحب القوات فورا . واعترض جولد برج : «أن العودة الى المواقع السابقة — أى مواقع ٤ يونيو — هى اقرار لاغلاق خليج العقبة» .

وفى الوقت نفسه الذى استولى فيه الجيش الاسرائيلى على خان يونس ورفح والعريش ، قررت الحكومة الاسرائيلية أن يسافر «أبا ايبان» الى نيويورك ليشترك فى مناقشات مجلس الامن — كما قررت الاستيلاء على غرب الاردن . أما على الجبهة المصرية .. فسوف يتم الانتقال الى المرحلة الثانية من الهجوم بعد فتح ممرات سيناء ، وهى الاستيلاء على شرم الشيخ وابادة الجيش المصرى فى سيناء . فقد كانت التعليمات واضحة أمام الضباط الاسرائيليين : «ان المصريين فى حالة ذهول ، اذ أن قادتهم قد أشعلوا فيهم الحماس حتى وصلوا لحالة من الهستيريا الجماعية . فاذا تمكنا — منذ الالتحام الأول — أن نلحق بهم هزيمة

مرة .. فان روحهم المعنوية سرعان ماتنهار ، ولهذا فان المعركة الاولى هى الحاسمة» .

. وفى الوقت نفسه ٠٠ أذاع راديو القاهرة بيانا خاصا فى السابعة و ٣٧ دقيقة من صباح الثلاثاء ٦ يونيو جاء فيه : «أيها الاخوة المواطنون .. ان القيادة العليا المسلحة تعلن أن لديها أدلة أكيدة على أن القوات الجوية الامريكية والبريطانية تشتركان فى الاعتداء الاسرائيلى . ان لدينا أدلة على أن حاملات الطائرات الامريكية والانجليزية تقوم بعمليات واسعة المدى الى جانب اسرائيل ، وعلى الجبهة المصرية .. نصبت الطائرات الامريكية والانجليزية غطاء جوفا فوق القوات الاسرائيلية . أما على الجبهة الاردنية ، فان هذه الطائرات تشترك فى عمليات مباشرة ، وأن محطات الرادار لديها الاثبات الكافى» .

أما فى موسكو ٠٠ فقد اجتمع المكتب السياسى من جديد فى جلسة طويلة ومكتئبة ، فقد تم ابادة القوات الجوية العربية وتم تدمير المطارات وانهارت الجبهتان المصرية والاردنية .

وبعد الظهر .. بعث كوسيجين برسالة الى البيت الابيض جاء فيها : ان الاتحاد السوفيتى موافق على التصويت على قرار وقف اطلاق النار بدون شرط . وخلال فترة قصيرة ــ أى فى الساعة السابعة وعشر دقائق مساء ــ وافق مجلس الأمن بالاجماع على قرار من أقصر القرارات التى أصدرها فى تاريخه، وهو : مطالبة جميع الحكومات المعنية بأن تتخذ جميع الاجراءات اللازمة لوقف اطلاق النار ولانهاء جميع العمليات العسكرية فى الشرق الأوسط .

لقد ابتهج «أبا ايبان» من نتيجة التصويت ، فصرح بأن اسرائيل تشترط لتطبيق القرار ان يوافق عليه الطرف الآخر . وأعلن الممثلون العرب الواحد تلو الآخر أنهم يرفضون قرار مجلس الامن .

واستمرت الحرب .

كان ثالث أيام الحرب .. يتميز بسباق الدبابات الجنونى فى سيناء . لقد كان الهدف الاسرائيلى مزدوجا : سحق حشود الدبابات المصرية ، واغلاق طريق الهروب الموصل الى الضفة الاخرى لقناة السويس ، لكى تتحول سيناء الى فخ ضخم للجيش المصرى .

وفى الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم الرابع للقتال (٨ يونيو) كانت سفينة التجسس «ليبرتى» تمر فى البحر الابيض المتوسط جيئة وذهابا على بعد ١٧ ميلا بحريا من العريش . وتعرف السفينة ليبرتى فى الارشيف السرى للبحرية الامريكية باسم «الينك ليبرتى» وهو تعبير يرمز الى «المخابرات الالكترونية» ويمتلىء جوف السفينة بالمترجمين والفنيين وضباط المخابرات .. الذين تم انتقاؤهم «على الفرازة» . وكانت مهمتهم الاستماع الى الاشارات اللاسلكية للجيش الاسرائيلى والجيش المصرى فى سيناء وفك رموزها . وكانت السفينة خاضعة مباشرة لوكالة المخابرات المركزية وتعمل بطريقة مستقلة .

وفجأة .. ظهرت طائرتان اسرائيليتان من طراز (ميراج)فى السماء وأخذتا تحلقان حول السفينة ، وانقضتا عليها وهاجمتاها بالصواريخ والقنابل والمدافع . وبعد ذلك بقليل وصل الى مكان السفينة ثلاث من سفن الطوربيد وبدأت فى مهاجمة السفينة . ومالت السفينة لدرجة خطيرة ، ولكن طاقمها أسدل على الفور حواجز ثقيلة من الصلب ، أغلقت بطريقة محكمة الجزء الذى اصيب ، وحالت دون تسرب المياه الى داخل السفينة فلم تغرق .

وفجأة .. رفع علم أمريكى كبير على السارى الضخم لليبرتى ، واصبح واضحا أن الاسرائيليين أصابوا احدى سفن البحرية الأمريكية . ولم يبق أمام الاسرائيليين الا أن يقدموا اعتذارهم عن هذا الهجوم الذى كلف ٣٤ بحارا أمريكيا حياتهم فى نهاية الأمر .

وتبلور أكثر جوانب هذا الحادث ايلاما على بعد عدة آلاف من الكيلومترات .. فى البيت الأبيض الأمريكى ..

لقد وصلت رسالة عاجلة بشأن الحادث بعد التاسعة صباحا بقليل ــ بتوقيت واشنطن ــ وكانت الرسالة قصيرة جدا: «هوجمت سفينة أمريكية واصيبت فى البحر الابيض المتوسط».

وكان الرئيس جونسون بقاعة الموقف مع بعض مستشاريه ومعهم ماكنمارا ودين راسك · وأحدثت البرقية فعل القنبلة ·· !

لقد كان جونسون يستبد به خوف عميق من احتمال أن تقوم سفينة سوفيتية بمهاجمة احدى سفن الاسطول السادس الامريكى . ولمدة بسيطة ، كان مكنمارا وراسك وجونسون .. مقتنعين بأن السفينة الامريكية قد أصابتها غواصة سوفيتية . ووفقا لأقوال أحد الذين شهدوا هذا الاجتماع ، فان تلك كانت أرهب لحظات ازمة يونيو كلها واخطرها . لقد قال جونسون : «ربما كنا على شفا الحرب العالمية الثالثة» .

وفى اللحظة نفسها ·· اجتاح شاشات رادار السفن السوفيتية فى البحر الابيض المتوسط عدد كبير من النقاط المضيئة . انها اطياف عدة عشرات من الطائرات الامريكية التى تحلق لانشاء ستار واق حول السفينة «ليبرتى» ولضرب من أصابها ردا على ماقام به . وساد البيت الابيض اضطراب متسم بالعصبية .لقد أصبح واجبا أن يوضع الجيش الامريكى كله فى حالة استعداد ، وكذلك القيادة الجوية الاستراتيجية ، بل وربما قواعد الصواريخ الامريكية .

هل هى الحرب حقا ؟!

ان اللحظات القصيرة ، التى انقضت منذ تلقى البرقية ، تشبه كابوسا جنونيا . ثم وصلت برقية ثانية ، من الحكومة الاسرائيلية مباشرة . لقد أحاط الاسرائيليون رئيس الولايات المتحدة علما بأنهم هاجموا بطريق الخطأ سفينة أمريكية من الجو والبحر .- واعربوا عن أسفهم العميق لهذا الحادث المؤسف . وبهت الرئيس الامريكى .. فقد كان بوسع الروس ، وربما المصريين ، أن يهاجموا السفينة «ليبرتى» . اما أن يفعل ذلك

الاسرائيليون ؟ ... ورغم أن فقدان السفينة قد أذهل ليندون جونســـون فانه تنفس الصــعداء . ان الروس لم يهاجموا .. والحرب لم تقع .

هــذا .. علمــا بأن خطرا آخر كان يتهيأ فى تلك اللحظة . فالسفن السوفيتية فى البحر المتوسط كان عليها أن تخطر موسكو بالتحليق المفاجىء لعشرات من الطائرات الامريكية التى اتجهت الى سيناء ، ولابد من تهـدئة السوفييت . ولأول مرة يســـتخدم الخط التليفونى الاحمر بمبادأة من جانب الولايات المتحـدة . وحرر والت روستو ، وروبرت مكنمارا ، على وجــه السرعة ، رســالة الى الســـوفييت . وهـكذا أحيط كوسيجين علمــا بأن الاسرائيليين قد هاجموا بطريق الخطأ سفينة امريكية فى البحر المتوسط ، وان الطائرات الآمريكية قد حلقت من حاملات طائرات مختلفة لمساعدة السفينة الامريكية ، وان مهمة هــذه الطائرات دفاعية بحتة وليست لها أهداف هجومية ضـــد الوحـدات السوفيتية ، ولا ضد القوات المتقاتلة فى سيناء .

وبعد ذلك بقليل .. أفاد الكرملين أنه تلقى الرسالة ، وانه يقبل الرواية الامريكية للحادث .

ان تطورات الحرب تتلاحق بسرعــة .. فقد اســـتولى الاسرائيليون على الضفة الغربية لنهر الاردن بأكملها ، واستولوا على سيناء . لقد قبلت الاردن وقف أطلاق النار وقبلت مصر ، وبدأت النيران تتزايد على الجبهة السورية .. فى هضاب الجولان .. لقد شنت القوات الاسرائيلية هجومها على خمس نقاط مختلفة فى آن واحد . وتختلف الصورة العامة للمكان عنها فى سيناء ، فلا وجه للمقــارنة بينهما من حيث الارض ولا التحصـــينات . فالحصون المصرية كانت تبدو منيعة .. ولكن حصون السوريين أقوى بكثير . وتبدو الهضبة وكأنها تشكل حصنا واحدا ، يضم جيوبا جوفية متعددة الطبقــات ، وجدرانا سميكة من الخرسانة ، وأبراجا خرســانية وخنــادق لاتنتهى ، وحقول الغام ومواقع للمدرعات والمدفعية .

ومع تطور الموقف على الجبهة السورية .. وصلت رسالة من موسكو الى واشنطن عن طريق «الخط الاحمر» . وهرع «والت روستو» الى بدروم البيت الابيض . ان هذه الرسالة التى وصلت من موسكو تختلف كثيرا عن الرسالات السابقة . انالموقف يختلف اليوم ، فالاسرائيليون قد توغلوا فى الاراضى السورية ، والاتحاد السوفيتى قد عقد العزم على انقاذ الموقف . ان الرسالة التى نقلها «كوسيجين» الى واشنطن هذا الصباح (١٠ يونيو) تتضمن تهديدا صريحا : «اذا لم يوقف الاسرائيليون فورا عدوانهم ضد سوريا ، فان الاتحاد السوفيتى سيتدخل فى النزاع لوقف المعتدى . ان الجيش الاسرائيلى الذى يتقدم نحو دمشق يستعد لقلب نظام الحكم الديمقراطى فى سوريا ، وهذا أمر لن يسمح به الاتحاد السوفييتى . وقد أصدرت أوامر بهذا المعنى الى القوات السوفيتية التى سوف تقوم باجراء عملى بأسرع مايمكن» .

ان الرسالة خطيرة للغاية .

ويتخذ البيض الابيض قرارا : لابد من وقف الاسرائيليين .

ويتلقى سفير الولايات المتحدة فى تل أبيب مكالمة تليفونية تنذره بالخطر ، كى يتدخل لدى الاسرائيليين ليطلب منهم وقف اطلاق النار بأسرع مايمكن . ومنذ أيام قليلة .. كان خبراء وزارة الخارجية الامريكية يسألون الاسرائيليين كل صباح : متىتهاجمون سوريا ؟ . اذ أنه لو كان هناك نظام حكم تود الولايات المتحدة أن تشهد سقوطه ، فهو بالتأكيد نظام دمشق المؤيد للشيوعية . ولكن كل شىء قد تغير حالا ، اذ أن الروس قد يتدخلون فى الحرب بين لحظة وأخرى .

ولايرى «الجنرال هويلر» رئيس هيئة اركان الحرب المشتركة لجيش الولايات المتحدة هذا الرأى ، فقد قال : «ليس علينا أن نخشى قيام السوفييت بعمل ما . ان السوفييت لايملكون وحدات كبيرة سريعة الحركة تستطيع التدخل على الفور فىالمعارك الدائرة فى الشرق الاوسط . لقد أعلنوا حالة الطوارىء فى صفوف فرق المظلات السوفييتية ، لكنهم يدركون مدى خطورة استخدامها فى هذا النزاع» .

وفى مجلس الامن . . كانت العاصفة ، فمنذ الرابعة والنصف صباحا كانت الوفود فى اجتماع طارىء . وفى الساعة التاسعة والنصف ـ بتوقيت نيويورك ـ طلب المندوب الامريكى «جولد برج» الى مندوب اسرائيل أن ينضم اليه على وجه السرعة خارج قاعة الاجتماعات .. فقد تلقى المندوب الأمريكى لتوه مكالمة تليفونية من البيت الأبيض الذى نقل اليه نص الرسالة السوفييتية المبلغة عن طريق التليفون «الأحمر» .

لقد قال «جولدبرج» لمندوب اسرائيل : «ان الموقف خطير جدا . ففى خلال لحظات سوف يعلن المندوب السوفييتى أن بلاده سوف تتدخل عسكريا فى الشرق الاوسط اذا لم توقفوا تقدمكم فى سوريا . وليس بوسع الولايات المتحدة أن تقف موقف اللامبالاة من مثل هذا التصريح .. حتى ولو لم ينفذ هذا التهديد ، اذ أن الجميع سوف يعتقدون أن اسرائيل والولايات المتحدة قد استسلمتا أمام تهديد الاتحاد السوفييتى ، وعليه .. ينبغى أن تعلنوا على الفور أن بلادكم تقبل وقف اطلاق النار على الجبهة السورية . افعل ذلك على مسئوليتك . ان كل دقيقة لها قيمتها» .

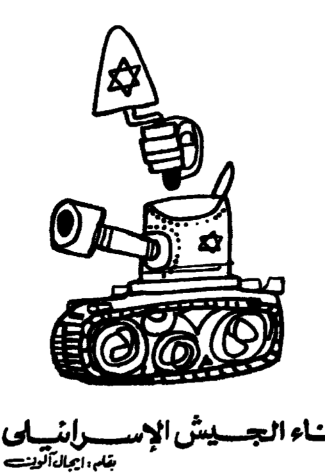
* * *

ولكن المندوب الاسرائيلى لم يفعل ذلك على مسئوليته .

فبعد قليل .. أخطرته الحكومة الاسرائيلية تليفونيا ، بأن يقبل وقف اطلاق النار بعد أن كانت قد انتهت من الاستيلاء على الجولان .

لقد انتهت حرب الأيام الستة .

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



بناء الجيش الإسرائيلى

بقلم : ايجال آلون

هذا الكتاب ..

وهذا المؤلف ..

عندما نحاول ان نفهم التفكير العسكرى الاسرائيلى .. فان اكثر اثنين يعبران عن هذا التفكير هما : موشى دايان وزير الدفاع الاسرائيلى ، وايجال آلون نائب رئيسة وزراء اسرائيل .. وهو فى الوقت نفسه مؤلف الكتاب .

ان المؤلف يعتبر من الجيل الصهيونى الثانى الذى نشأ فى ارض فلسطين. فلقد ولد فى سنة ١٩١٨ ودرس الزراعة فى الجامعة العبرية ، ثم درس فى جامعة اكسفورد .

ولقد بدأ النشاط العسكرى للمؤلف عندما عمل فى منظمة « الهاجاناه » منذ سنة ١٩٣١ ، وهى المنظمة السرية المسلحة التى اقامتها المنظمة الصهيونية فى فلسطين ، واصبحت بعد ذلك نواة الجيش الاسرائيلى عندما اعلن قيام دولة اسرائيل .

وقد تطور التاريخ العسكرى « لايجال آلون » بعد ذلك .. الى ان عين قائدا لقوات « البالماخ » .. التى كانت تقوم بالعمليات العسكرية الخاصة ضد العرب .

وفى « حرب ١٩٤٨ » تولى قيادة قوات اسرائيل فى الجليل الأعلى ووسط فلسطين ومحور القدس ، ثم تولى قيادة الاحتياط ، وبعدها زعامة حزب « احدوت هاعفودا » .

الى جانب ان « ايجال آلون » اصبح وزيرا فى الحكومة الاسرائيلية منذ ١٩٦١ ونائبا لرئيس الوزراء الاسرائيلى .. وظل واحدا من الشخصيات الرئيسية فى اسرائيل .

وفى هذا الكتاب .. يركز المؤلف على تناول النظريات العسكرية ، ويتابع تطورها منذ بدات المنظمات الصهيونية فى فلسطين نشاطها المسلح ضد العرب قبل الحرب العالمية الأولى .. مع التركيز على اسلوب تطبيق هذه النظريات خلال الحروب الثلاثة التى بداتها اسرائيل ضد العرب فى ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ .

والكتاب .. هو واحد من الكتب التى كان محظورا حتى الآن تداولها فى مصر والدول العربية ، الى أن صدر مؤخرا قرار باتاحة تداول هذه الكتب والرد عليها .. كجزء من تطوير ضخم فى سياستنا الاعلامية ، وايمانا بضرورة متابعة تفكير العدو الاسرائيلى أولا بأول .

* * *

انشىء « جيش الدفاع الاسرائيلى » بصفة رسمية فى يوم ٢٧ يونيـو سنة ١٩٤٨ . ولكن القوة العسكرية الاسرائيلية كانت فى الواقع قد تكونت ـ بصفة غير رسمية ـ قبل ذلك بوقت طويل .. امتد من أيام المجموعات التى تكونت من جماعات صغيرة من رجال الحراسة الى أن تطورت الى جيش حديث استطاع أن يكسب « حرب الأيام الستة » .

ان التكوين الحقيقى للجيش .. بدأ مع قيام منظمة «الهاجاناه» ـ وهى كلمة عبرية معناها الدفاع . وقد أطلق الاسم على المنظمـة السرية المسلحة التى أقامها المجتمع اليهودى فى فلسطين فى ظل حكم الانتداب البريطانى . فبعد صدور «وعد بلفور» تكونت أولى الكتائب اليهودية داخل اطار الجيش البريطانى الذى يقاتل فى مسرح أحداث الشرق الاوسط خلال سنوات الحرب العالمية الاولى . وكانت هذه الكتائب مكونة من متطوعين ومجندين يهود .. من فلسطين وبريطانيا وأمريكا زودوا الشباب اليهودى بفرصتهم الاولى لاكتساب مران عسكرى وتنظيم افضل . استطاعت هذه الكتائب ـ أيضاـ أن تجمع كمية معينة من الاسلحة الخفيفة التى ثبت فيما بعـد أنها ذات فائدة كبيرة .

وفى اعقاب الحرب العـالمية الاولى مباشرة ، فرض الانتداب

البريطـــانى على فلسطين ، نيـابة عن عصبة الامم ، وبدأ تطبيق اجراءات ـ وعد بلفور ـ الخاص بحق اليهود فى الهجرة والاستيطان فى فلسطين ، وخلق وطن قومى لليهود هناك • ومنذ ذلك الحين •• بدأ التوتر بين العرب واليهود يأخذ طابعـا سياسيا أكثر من ذى قبل ، وقد اثر الوضع الجديد تأثيرا واضحا على تطوير النظـــام العسكرى اليهودى •

وقد تميزت الفترة بين ١٩٢٠ و ١٩٣٩ بسلسلة من الهجمات المتبادلة بين العرب واليهود • أما موقف السلطات البريطانية •• فقد كان يسمى بموقف الحياد ، وبناء على ذلك •• أعلنت السلطات عدم شرعية المنظمات المسلحة التى أقامها المجتمع اليهودى ، ولـكن اليهود ثابروا على تطويرها •• ومن ثم ظهرت « الهاجاناه » الى حيز الوجود تدريجـا وتدعمت نتيجـة لتدفق المهاجرين اليهـود الذين بدأ وصولهم بأعداد كبيرة من كثير من البلدان ، وخاصة من شرق أوربا •

وفى البـــداية على الأقل ، كانت عملية تخطيط وتطـــوير المستعمرات الصهيونية الرائدة فى فلســـطين •• محكومة جزئيا باحتياجات سياسية استراتيجية • مثال ذلك •• أن اختيار موقع المستعمرات كان لايتاثر فقط باعتبارات النمو الاقتصـــادى ، بل ويتأثر أيضا بصفة رئيسية باحتياجات الدفاع المحلية، وباستراتيجية التوطين على نحو شامل التى كانت تستهدف تأكيد الوجود السياسى فى أجزاء كثيرة من البلاد ، وبالدور الذى تلعبه مثل هذه المجموعات من المستعمرات فى الصراع الحاسم الذى قد ينشب فى وقت ما فى المستقبل •

وقد أدخلت هذه الاحتياجات فى التفكير العسكرى «للهاجاناه» وأسلوبها فى تنفيذ سياستها ، عناصر جديدة متنوعة ـ بما فى ذلك استراتيجية عامةأكثر تجانسااخذت فى اعتبارها الظروفالمحلية، وتخطيطا شاملا ومرونة أكبر واســـتخداما للمدافع الاوتوماتيكية الخفيفة على نطاق أكثر اتســاعا • ومع تزايد التوتر بين اليهـــود والعرب •• كانت امكانيات الهاجاناه تتزايد هى الأخـرى • وفى

تلك السنوات .. أسهمت مبادرتان مشجعتان من جانب البريطانيين في التطور بالهاجاناه الى حد كبير . وكانت المبـــادرة الأولى وهي الرسمية .. هي انشاء بوليس شرعي للمستعمرات اليهودية يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية :

- **عدد ضئيل من الوحدات المنظمة تقـــوم حكومة الانتداب البريطاني بدفع أجورها وتزويدها بالأسلحة .**

- **عدد أكبر من رجال البوليس ذى طابع خاص .**

- **وحدات متحركة يقتصر وجودها على مناطق معينـــة .. وتقوم حكومة الانتداب البريطاني أيضـا بدفع تكاليفها .. لتكون مسئولة عن حراسة الطرق والحاصلات ، ودعم المستعمرات ، ووضع الكمائن في طريق رجال العصابات العرب .**

أما المبادرة الثانية .. فكانت غير رســـمية ، لكنها مع ذلك لا تقل أهمية عن الأولى .. تلك هي ان « رجال العصابات العرب » كانوا قد أنزلوا خسائر فادحة بخطوط أنابيب شركة بترول العراق الممتدة الى معامل التكرير في حيفا . ونتيجة لذلك .. شكلت وحدة يهودية انجليزية مشتركة عرفت باسم « الفرق الليلية الخاصـــة » بقيادة الكابتن « وينجت » لحماية هذا الخط الحيوى . وهكذا تعاون « وينجت » مع وحدات الهاجاناه المماثلة التى كانت تعمل بالفعل .

وكانت هاتان القوتان من رجـــال البوليس - الاولى شرعية والاخرى شبه شرعية - تخضعان لادارة الهاجاناه ، وتســـتخدمان كغطاء للتدريب والعمليات العسكرية .

***

ومع نهاية عام ١٩٣٦ ، أصبح واضحا أن حرب العصابات لن تنتهى بالانهيار النهائي للحشود العسكرية لأى من الجانبين . اليهود او العرب ، اذ ان كليهمـــا كان يعتبر غـــير شرعي في نظر السلطات البريطانية ؛ وقد أدى هذا الى أن تقـــوم « الهاجاناه » بالتركيز على تكتيكات حرب العصابات مع استغلال وحداتها القليلة

ـ التى تعترف بريطانيا بشرعيتها ـ الى أقصى حد ممكن . وبمرور سنوات ٣٧ و ٣٨ و ١٩٣٩ ضاعفت الهاجاناه من مجهودها لاقامة مستعمرات ـ سابقة التحصين ـ تمثل برج مراقبة للقيام بالأعمال العسكرية ، وكان الانجاز الأعظم يتمثل فى تطوير المنظمة العسكرية اليهودية على أساس مناطق جغرافية استراتيجية . ولهذا فاننى مقتنع بأنه يمكن **القول بان الصهيونية قد كسبت الحرب الفلسطينية فى الثلاثينات (أى قبل أن تنشب رسميا فعلا ب ١٨ سنة) ، ولكن العرب هم الذين كسبوا الصراع السياسى .**

وعندما بدت بوادر احتياج بريطانيا الى العرب فى الحرب العالمية الثانية ، التى أصبحت وشيكة ، ازدادت قدرة العرب على المساومة ، وانتزعوا من بريطانيا « الكتاب الابيض » (١٩٣٩) الذى تعهدت فيه بريطانيا بتثبيت العدد النسبى بين العرب واليهود فى فلسطين لغير صالح الطائفة اليهودية بشكل دائم ، وذلك عن طريق الحد الخطير من هجرة اليهود . وهكذا لاح أنه ـ بالرغم من علاقة العمل الطويلة التى تربط بين اليهود والبريطانيين فى فلسطين .. فان صداما سافرا لم يكن من الممكن تجنبه على أية حال .

وأدى قيام الحرب العالمية الثانية الى وضع اليهود فى مأزق خطير : ان بريطانيا تحارب ألمانيا النازية ، ولذلك يجب أن يقف معها اليهود . ولكن بريطانيا تحد من هجرة اليهود الى فلسطين .. ولذلك يجب أن يحاربها اليهود . ان اضعاف بريطانيا فى جبهة حيوية ـ مثل الشرق الأوسط ـ سوف يؤدى الى اضعافها فى حربها ضد ألمانيا النازية ، وهى العدو المشترك .

لقد حدد الزعيم « دافيد بن جوريون » رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية هذا الموقف المتناقض على نحو لاينسى حينما أعلن : « سوف نخوض الحرب ضد ألمانيا كما لو لم يكن هناك كتاب أبيض .. وسوف نقاوم الكتاب الابيض كما لو لم يكن هناك حرب » .

كانت هذه السياسة .. هى نقطة تحول جديدة فى تاريخ المنظمة العسكرية اليهودية فى فلسطين . لقد قررت القيادة العليا

للهاجاناه ـ بموافقة الهيئة التنفيذية الصهيونية العالمية ـ أن تقوم بتشكيل قوة ضاربة سرية مستقلة تضم تسع سرايا واسمها «البالماخ» لكى تعمل فى صف بريطانيا ودول الحلفاء فى الشام ، وقد جاء هذا القرار متفقا مع قرار الحلفاء بغزو سوريا ولبنان فى اغسطس سنة ١٩٤١ ٠ ونظرا لأن الحلفاء لم يكن لديهم وقت كاف للاستعداد لهذا الغزو ، فقد طلبوا الاستعانة باول سريتين من (البالماخ) كمرشدين ومخربين ووحدات متقدمة ٠٠ الى جانب القيام بعمليات التجسس خلف خطوط العدو ، وتم تنفيذ جميع هذه العمليات بنجاح ، مما بعث الارتياح البالغ فى قيادة الحلفاء فى المنطقة ٠

ومنذ ذلك الوقت ـ حتى انتصار الحلفاء فى العلمين ـ استمر هذا التعاون غير الرسمي الذى انطوى على الاعتراف بالأمر الواقع ، وان كان فى الحقيقة مؤقتا ، بقوات (البالماخ) غير القانونية من قبل السلطات البريطانية ولم يحدث قط أن انضم أعضاء (البالماخ) الى الجيش البريطانى ، وكان هذا بناء على رغبة مشتركة من الجانبين ، ونتيجة لاصرار (البالماخ) على ان تظل مستقلة عن البريطانيين ٠

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية ، انتهت معها الميزانية الضخمة التى كانت بريطانيا تنفقها على (البالماخ) مقابل التعاون المشترك ، وأصبحت هناك مشكلة ٠٠ كيف يمكن التمويل ٠ وقد تم حل هذه المشكلة بتقسيم (البالماخ) الى فصائل ترابط فى المستعمرات اليهودية المختلفة ، بشرط أن يقضى أفراد القوة جميعهم خمسة عشر يوما من كل شهر فى العمل فى زراعة المستعمرات ، والنصف الآخر فى التدريب وبحيث أن ما يكتسبونه من عمل نصف الشهر يكفى لاعالتهم الشهر بأكمله ٠

ولكن نهاية الحرب ادت الى مشكلة أخرى : وهى ضرورة التفرغ لمحاربة البريطانيين بعد أن انتهى التعاون معهم ٠ وهكذا بدأ التنظيم العسكرى فى فلسطين يواجه البريطانيين ٠ لم يكن هدف هذه الأعمال العسكرية هو تدمير القوات البريطانية فى فلسطين ، فهذا غير ممكن وغير مطلوب ٠ ولكن الهدف الحقيقى كان تقويض

مركزهم واحساسهم بالامن ومكانتهم الادبية ، وفوق هذا كله ٠٠ انه بدون موافقة اليهود لاتستطيع بريطانيا الاحتفاظ بفلسطين كقاعدة آمنة عاملة فى هذه المنطقة الحيوية (وبذلك تتساهل بالنسبة لمسألة أعداد المهاجرين اليهود المسموح لهم بالقدوم الى فلسطين ٠٠ حيث أن اليهود ما زالوا حتى الآن أقلية ضمن السكان) ٠ أن الاستعدادات العسكرية التى حصلت عليها من قبل بمساعدة بريطانيا خلال سنوات الحرب لمقاومة دول المحور ، أثبتت الآن أنها عظيمة الفائدة فى العمل ضد البريطانيين أنفسهم ٠

* * *

وفى تلك الفترة ٠٠ كان التفكير العسكرى (للهاجاناه) يقضى بعدم التخلى عن المستعمرات النائية بأى ثمن ، ومهما كان طول خطوط المواصلات والامدادات ٠٠ وذلك لكى تمتص جزءا من الضغط العربى على المراكز اليهودية ، ولاستخدمها كقواعد لعمليات العصابات خلف خطوط العدو (العربى) ٠٠ كما أنها ستصبح بمثابة أهداف نهائية لبلوغها عندما يحين الوقت لشن حرب شامله فى المنطقة بأسرها ، كما كان تفكيرنا العسكرى يقضى أيضا بتجنب الاشتباكات المباشرة مع البريطانيين بعد أن حددوا موعدا لجلائهم عن فلسطين ، حتى لا نعرقل هذه الخطوط ٠

وفى هذه المرحلة أيضا ٠٠ أصبحت (البالماخ) رأس رمح (للهاجاناه) وجزءا منها ، كما بدأ العمل على تكوين أسلحة منفصلة للبحرية والطيران ٠٠ وكذلك تعبئة حرس داخلى يضم الرجال والنساء والشبان ، الذين تقل أعمارهم عن ١٨ سنة للقيام بأعمال الحراسة الداخلية فى المدن والقرى ٠

وعندما بدأت الجيوش العربية فى غزو فلسطين بعد ١٥مايو ١٩٤٨ كان التأثير السيكولوجى للغزو مثبطا للغاية ٠ وهنا رفضت « الهاجاناه » اتباع استراتيجية دفاعية ، رغم انها لم تكن تضمن تماما نجاح الهجوم ٠ ان التركيز على الدفاع كان معناه أن نخسر

الحرب ، لأن المبادرة فى هذه الحالة سوف تكون فى يد العرب ، وسوف يسمح لهم ذلك باختيار زمان الهجوم ومكانه ٠

ومع ذلك فان العدو (العربى) ظفر بمكاسب هامة فى جبهتين خلال تلك المرحلة من حرب ١٩٤٨ ٠ فبالنسبة للمصريين ٠٠ استطاعوا أن يتقدموا على بعد ١٢ كيلو مترا من « ريحفوت » ، وأقام السوريون رأس جسر عبر الأردن فى الجليل الأعلى ، كما رابطت قوات شرق الأردن فى مدينتى الرملة واللد العربيتين ٠ فى هذه المرحلة أمكن التوصل الى هدنة مدتها شهر واحد ، بناء على نداء من الأمم المتحدة ، وهى هدنة نفذها الجانبان اعتبارا من ١١ يونيو ١٩٤٨ . وينبغى اعتبار هذه المرحلة نصرا اسرائيليا ان لم يكن حاسما .

لقد أصبحت دولة اسرائيل الآن معلنة رسميا ، وأصبحت « الهاجاناه » هى الجيش الرسمى للدولة ، الذى أصبح اسمه «زحال» ٠٠ أى جيش الدفاع اليهودى ، كما استطاع الجيش ـ أثناء الهدنة ـ أن يحصل على أسلحة من تشيكوسلوفاكيا وفرنسا وبريطانيا٠ وكان معنى ذلك ٠٠ ان المرحلة التالية ـ التى تبدأ عند انتهاء فترة الهدنة ـ سوف تكون هى المرحلة الحاسمة ٠ ان التفكير العسكرى فى الجيش الاسرائيلى كان يصر دائما على أن يتمتع بميزة البدء بالهجوم والاحتفاظ لنفسه بزمام المبادرة ، بمجرد أن تنتهى فترة وقف اطلاق النار الذى فرضته الأمم المتحدة ٠

ورغبة فى عدم انتهاك قرار الأمم المتحدة ٠٠ وادراكا من الجيش الاسرائيلى بأن الجيوش العربية اعتادت أن تبدأ هجومها نهارا ٠٠ فقد قرر الاسرائيليون أن يسبقوا العدو بمجرد ساعات قليلة ، ويشنوا هجومهم فى اللحظة التى تنتهى فيها الهدنة رسميا ٠٠ اى عند منتصف الليل ٠ وبذلك بدأنا نحن الهجوم واحتفظنا بزمام المبادرة ٠

وعلى الرغم من ان عددا أكبر من القوات أصبح يشترك الآن ضد هدف واحد ، الا ان تكتيكات حرب العصابات لم تغفل تماما من العمليات العسكرية الاسرائيلية ٠ وبوجه عام ٠٠ فان كل أهداف

حرب التحرير هذه تحققت جميعها • ولو لم تفرض الأمم المتحدة وقف اطلاق النار للمرة الثانيــة فى ١٩ يونيــو ١٩٤٨ لكان من المحتمل أن يستمر الهجوم الاسرائيلى دون هوادة تقريبا • لقــد استمر الوقف الثانى لاطلاق النار حتى ١٠ أكتوبر ١٩٤٨ ، وهنا قامت القيادة العسكرية الاسرائيلية بتصميم عملياتها العسكرية ، على أساس أن هناك احتمالا لمزيد من تدخل الأمم المتحدة فى صورة وقف اطلاق النار ، لهذا •• فان كل عملية عسكرية يجب أن تكون قائمة فى حد ذاتها الى جانب كونها جزءا من خطة شاملة •

وفى جميع المعــارك التالية •• كانت القيادة العســكرية الاسرائيلية تصر على انه ، فى جميع عمليــات الهجوم ، يجب عدم فقدان مرونة حرب العصــابات ، والقدرة على الارتجال ، والقدرة على الحركة والمناورة واستخدام تكتيكات « الاقتراب غير المبــاشر » • ودق أسفين قوى فى جنوب رفح بالقرب من الحــدود الاسرائيلية المصرية ، بهدف فصل قطاع غزة كله عن مؤخرته ، مع ترك الخط الحديدى دون أن يمس •• أملا فى أن يضعف هذا من عناد العــدو المصرى • ويشجعه على الانسحاب عائدا الى مصر • عند هذه المرحلة ، وافقت الحكومة المصرية على الدخول فى مفاوضات الهدنة بشرط أن يرفع الاسفين الاسرائيلى ، وتم هذا ، ولكنه كان خطأ •• لأنه أضعف بشدة من مركز المساوم الاسرائيلى فى المفاوضات التالية ، فتم توقيع اتفاقية الهدنة فى جزيرة رودس فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩ تاركة قطاع غزة فى أيدى المصريين ، وتبعتها اتفاقيات هــدنة مع الدول الأخرى •

* * *

•• ان الجيش الاسرائيلى صنعته الظروف . وهذا ينطبق عليه فى هذه المرحلة من تاريخه بقدر ما ينطبق عليه فى المراحــل التالية . ولكن تطوره الأساسى فرضه عليه العدو . وبعض نواحى نجــاحه كان مرجعه أخطــاء العدو العربى وضعفه • ومع ذلك •• فان معرفة الســبيل الى استغلال ضعف العــدو ــ وأعنى استخدامه بصورة بناءة ــ يعد موهبة فى حد ذاته . وبالنســبة لجيش اسرائيل

٠٠ فان استخدام هذه الموهبة ، كان يتطلب الى جانبه جهاز مخابرات متطورا للغاية ، قادة وجنودا ٠٠ ليسوا مدربين ومنظمين جيدا طبقا للمستويات العسكرية المألوفة فحسب ، بل أيضا مدربين بدنيا ومعنويا لمواجهة مقتضيات حرب متغيرة ٠

بقيام دولة اسرائيل الجديدة ٠٠ بدأت تضطلع بمشروعات لاستيعاب المهاجرين الجدد وتنمية الموارد الاقتصادية وتحسين الكفاءة العسكرية ٠ ولم تكن الخدمة العسكرية تعتبر على نطاق عام غاية في حد ذاتها ، بل شرطا لا مناص منه للبقاء ٠ لذلك ٠٠ اتخذ قرار حكيم يقضى بالاحتفاظ بجيش عامل صغير قدر المستطاع ، يتكون أساسا من المجندين وتشكيل دائم للقيادة مع الخبراء والفنيين المطلوبين . وتقرر أن يتكون السواد الأعظم من أسلحة الجيش المختلفة ، من قوات الاحتياط المدربة التى تعين استدعاؤها للتدريب والمناورات لبضعة أسابيع قليلة من كل عام وفى أية حالة طارئة ٠

وكانت الفجوة ، فى كميات الأسلحة ، بيننا وبين العدومشكلة أخرى ، الا أن حلها كان يعتمد على أن نواجه هذا الكم بتفوق فى الكيف تفوقا كبيرا ومن ثم كان لزاما سد هذه الفجوة بتحقيق مستويات أعلى بكثير فى الخبرة العلمية والتكنولوجية والفنية ٠٠ وتنظيم أفضل وتطوير لخدمات الميدان وعن طريق المهارة فى الاستراتيجية والتكتيكات ٠

وبالاضافة الى ذلك ٠٠ فقد كان هناك مبدأ خطير آخر لا بد من مراعاته : وهو الاحتفاظ بزمام المبادرة دائما فى الجيش الاسرائيلى واعطاء اهمية كبرى للمفاجأة بالهجوم ، لأن هذا هو الحل الوحيد لمشكلة الضعف الجغرافى الاسرائيلى ، وهذا يؤدى الى التركيز على قوات الطيران ٠ ان مسرح الحرب الاسرائيلية العربية فى أساسه برى ، بمعنى أن معاركه الحاسمة سوف تدور فى البر ، ولكن التفوق الجوى هو الذى يفتح الباب أمام حسم اى حرب برية ٠ لقد بدأ التفكير العسكرى الاسرائيلى يركز النبة للقوات البرية على الوحدات المدرعة التى يمكنها أن تقطع مسافات طويلة بسرعة ، وعلى

سلاح المشاة تسانده الطائرات ، ثم قوات طوارئ كبيرة فيها من صفات الجيش الحجم الكبير ، ومن صفات الفرق الخاصة ، المرونة ٠

واعتمد التفكير العسكرى الاسرائيلى أيضا ، على تطوير جهاز المخابرات من الطراز الأول ، وربطه بالعناصر المختلفة لقوات الجيش الاسرائيلى ، ودعما لهذا الجهاز ٠٠ كان لا بد من اقامة شبكة فنية للانذار المبكر ٠ أما أهمية هذا الجهاز فتبدو واضحة حينما نعلم أن الهجوم لابد أن يكون دائما طابع العمليات العسكرية الاسرائيلية ٠٠ مهما كان الثمن السياسى الذى ندفعه فى سبيل ذلك ٠ كان لا بد أن تعتمد النظريات العسكرية الاسرائيلية على « هجوم مضاد سابق لهجوم العدو » أو « هجوم مضاد توقعى » كما كان يسمى أيضا ٠ وبالنسبة للعمليات العادية ، فلا بد من الاعتماد على استراتيجية الانتقام الديناميكية ٠

كان هذا هو الأساس العسكرى عندما نشبت حملة سيناء سنة ١٩٥٦ ــ ان وضع الأمن الاسرائيلى كان معناه شن حرب توقعية ٠ وللتهيئة للنصر ٠٠ كان لابد من ضمان تفوق عسكرى محدد على الجبهة المصرية ٠ الأمر الذى تطلب حشد قوات ضاربة كافية على هذه الجبهة ، من مدرعات للمشاة مزودة بالآلات الميكانيكية ووحدات استطلاعية خفيفة وقوة جوية تكتيكية ورجال مظلات ومدفعية وميدان ٠٠ حتى على حساب اضعاف جبهات أخرى مختلفة ٠ على ذلك كان يمكن القيام بهذه المخاطرة بفضل التعبئة الكاملة لقوات الاحتياطى ، والاحتفاظ بوحدات متحركة كبيرة فى المؤخرة لاستخدامها اذا اقتضت الضرورة ذلك٠وتعين علينا (فى حرب ١٩٥٦) استغلال عنصر المفاجأة الى أقصى الحدود بالنسبة للاستعدادات وللجبهة ذاتها وتوقيت الهجوم وأسلوبه ٠ وتمت التعبئة بسرعة وفى صمت ٠٠ فأطلقت شائعات بأن الأردن على وشك التعرض للهجوم ، بينما كانت القوات الرئيسية فى واقع الأمر تحتشد فى ساعة الصفر تقريبا عند نقط انطلاقها على حدود سيناء ٠

وكان الهدف من عمليات انزال جنود المظلات ـ التى تمت سنة ١٩٥٦ خلف خطوط الجيش المصرى ـ هـــو اتخاذ سيناء كنقطة للمساومة فى مفاوضات السلام مع مصر ، اذا ماقدر اجراؤها .

ولأن ما يعنينى هنا .. هو تطور قوة الجيش الاسرائيلى ونظرياته العسكرية .. فاننى لن أسرد وصفا تفصيليا لحملة ســـيناء .. منتقلا الى الفترة بين حملة سيناء فى ١٩٥٦ ، وحرب الأيام الســـتة فى ١٩٦٧ .

فى السنوات السابقة على سنة ١٩٦٧ ـ كان هنـــاك رأى متشائم ، كان يمكن أن يقودنا الى اخطاء قاتلة . هذا الرأى يقول ان الوقت ضـــدنا .. ولصـــالح العرب . ان هذا الرأى كان يعتمد على أن السكان فى الدول العربيـــة يزدادون بمعدل مخيف ، وان مستوى معيشتهم فى ارتفاع مستمر وان عدد شبابهم الذين يتلقون تعليما ثانويا وجامعيا يزداد باطراد .. بمعنى أن هناك تحســـنا كبيرا فى النوع كان يحـدث فى المجتمع العربى ، ولن يمضى وقت طويل حتى تلحق بنا الدول العربية ، وما أن يضاف الكيف الى تفوقهم العددى حتى تصبح قوتهم العسكرية قادرة على التغلب على اسرائيل وتدميرها .

وكان رأيى الخاص .. هو أن ما يهم ، هو كيفية استفادة المرء من الوقت ، كنت مقتنعا بأننا أقوى بكثير مما كنا عليه فى الاختبارين السابقين سنة ١٩٤٨ و ١٩٥٦ . وهكذا فان الوقت حتى لم يكن ضدنا ، وأنه لن يكون بالضرورة فى المستقبل القريب ضدنا لفترة جيلين على الأقل . وكان من رأيى ، أن هنـــاك ارتباطا وثيقا بين التقدم الاجتماعى والتطور من ناحية ، والقدرة على تطبيق الخبـرة العلمية والتكنولوجية التى تتطور بسرعة أكبر من النظام الاجتماعى . ولهذا فان وضع اسلحة حديثة معقدة للغـــاية فى أيدى مجتمع متخلف .. لا يدل بالضرورة على زيادة فى القدرة العسكرية . وقد يبرهن بعكس ذلك على انه عائق وليس عاملا مساعدا . ومن الواضح ان الزيادة السريعة فى سكان الدول العربية هى نقمة وليست نعمة.

ان الأخطاء القاتلة ، التى كان يمكن أن تقودنا اليها النظرة المتشائمة ، تتراوح بين ضرورة الاعتماد التام على الرادع الذرى ، بانتاج القنبلة الذرية مثلا ، والاعتماد التام على دولة كبرى ٠

وبالنسبة للحالة الأخيرة ٠٠ فقد كانت مرفوضة تماما ، لأن اعتمادنا على دولة واحـــدة كبرى ، ســوف يتضمن املاء سياسيا لأساليب ووسائل حل النزاع العربى الاسرائيلى بصورة قد تكون فى صالح أعدائنا ، وبالاضـافة الى ذلك ٠٠ فان القـوة الـكبرى التى ستضمن وجودنا .. قد لاتكون بالضرورة متفقة معنا دائما فى تقدير الحالة الفعلية للأمور ٠ أما السبب الآخر ٠٠ فهو أن نتيجة الحرب فى أيامنا وفى عصرنا ، تتقرر فى الأيام القليلة الأولى ، بل وفى الساعات القليلة الأولى أحيانا ، وبالتالى فان مساعدة حلفائنا لنا قد تأتى متأخرة ، ومن ثم لن تجدى فتيلا .

وبصفة عامة ٠٠ فانه ـ حتى الأيام الســـابقة على حـــرب ١٩٦٧ ـ اعتمدت النظرية العسكرية الاسرائيلية على أن اسرائيـــل لا بد أن تقوم فورا بحرب وقائية فى واحدة من الحـــالات الست التالية :

١ ـ عند حشد القوات الهجومية العربية على نحو يشكل خطرا على اسرائيل ٠

٢ ـ حين يصبح واضحا أن العدو يستعد لشن هجوم جـوى مفاجىء ضد قواعد اسرائيل الجوية ٠

٣ ـ فى حالة التعرض لهجـــــوم جوى ٠٠ حتى وان كان محصورا فى مكان محدد ضد منشآتنا النووية ومؤسساتنا العلمية٠

٤ ـ حين تصل حرب العصابات الى النقطة التى يصبح معهـا الدفاع السلبى والاجراءات الانتقامية عاجزة عن مواجهتها ٠

٥ ـ اذا دخلت الأردن فى تحالف عسكرى مع دولة عربيـة

اخرى وسمحت للقوات العسكرية الأجنبية بالتمركز فوق أراضيها وخاصة على الضفة الغربية من نهر الأردن •

٦ ـ اذا أغلقت مصر مضايق تيران •

فى هذه الحالات ، أو فى أية واحـدة منها ، كان لابد من تطبيق نظرية « الهجوم المضاد التوقعى » فورا •• حتى ولو تعرضت اسرائيل لادانة الأمم المتحدة • الهجوم أولا •• ثم تقديم تفسـير الى العالم بعد ذلك ، وهذا هو ما حدث فى سنة ١٩٦٧ •• !

***

فى الأيام القليلة السابقة على ٥ يونيـو ١٩٦٧ ـ كانت لدى المخابرات الاسرائيلية المعلومات الحديثة عن التشكيل العسـكرى للدول العربية ، وعن مواقع القوات ونواياها ، ومن ثم تسنى للقوات العسكرية الاسرائيلية أن تعدل من خططهـا طبقا لخطط العدو .

وفى ظل الظروف التى ظهرت بعد انسحاب قوات الأمـم المتحدة من سيناء واغلاق مضايق تيران فى مايو ١٩٦٧ ، قررت حكومة اسرائيل تأجيل ردها العسكرى على مضايق تيران ريثما يتم القيام بمحاولة دبلوماسية خاصة .. للتـأكد مما اذا كانت الدول البحرية الكبرى مستعدة لفك الحصار المصرى بالقوة .

وكان فى رأيى •• ان هذا خطأ عسكرى وسـياسى على حد سواء ، لأن حرية الملاحة أصبحت اعتبارا ثانويا ، بينما التحـدى الخطير يتمثل فى حشد القوات الهجومية فى سيناء الذى أعقبه دخول الأردن فى حلف عسكرى مع مصر • وفى تلك الأيام •• لم تكن اسرائيل تقوى على انتظار هجوم مصرى كبير قبل أن تشـن هجومها المضاد •

كانت سيناء ••تمثل الخطر الرئيسى من حيث القوة العسكرية• وكان تهديد الأردن استراتيجيا ـ جغرافيا ، اما تهديد سـوريا فكان يتمثل فى قدرتها على الازعاج • ولهذا كان ـ من الصائب ـ

توجيه الجهد الرئيسي ضد مصر بمفاجأة استراتيجية ، لأن الجيوش (المصرية) كانت على أهبة الاستعداد ، والنوع الوحيد من المفاجأة الذى كان لا يزال ممكنا ، هو على المستويات التكنيكية والتنفيذية ، أى فى الميدان ٠٠ فى مسرح الحرب ٠

ولم يكن خافيا ٠٠ ان التفوق فى الجو هو مفتاح النصر ، حتى وان كان فى حد ذاته لا يضمن النصر ٠ وتمكنت قواتنا الجوية من مباغتة السلاح الجوى المصرى ٠٠ رغم أننا كنا قد فقدنا منذ وقت طويل ميزة المفاجأة الاستراتيجية ٠ وجدير بالذكر ان السـ ٠٠ح الجوى الاسرائيلى لم يستطع مباغتـة القوات المصرية ، الن حيـة الأولى للمبادرة العسكرية فحسب ، بل أيضا القوات ا ٠ وية الأردنية والسورية والعراقية ٠

وكان الحرص كبيرا ٠٠ على أن تكون سيناء مصيدة كبـيرة للجيش المصرى ٠

ان شبه جزيرة سيناء ٠٠ يمكن أن تكون منطقة حاجزة بين مصر واسرائيل ونقطة انطلاق لأى هجوم مصرى على اسرائيل ٠ لكنها يمكن أن تصبح أيضا فخا للقوات المحتشدة فيها لشن هـذا الهجوم ٠ وقد حاولت القـوات البرية الاسرائيلية ـ وخاصـة المدرعات والمشاة ـ أن تعوض نفسها عن ضياع عنصر المفاجـأة الاستراتيجية باستخدام سلسـلة من المفاجآت التكتيكية ، وتلك التى على مستوى العمليات ٠

وكانت الجبهتان ـ الأردنية والسورية ـ تعتبران من الدرجة الثانية من حيث الأهمية حين بدأت الحرب ٠ وضاعت عدة أيام من القرار السياسى من جانبنا بالنسبة لشن الهجـوم على الجبهـة السورية ، بسبب المغالاة فى تقدير قدرة السوريين على الصمود . ولأنه لم يكن من المتوقع موافقة المصريين على وقف اطلاق النار بمثل هذه السرعة ٠

وفى رأيى ٠٠ أنه كان يجب على اسرائيـل أن تشـن هجوما على الجبهة السورية بمجرد أن تم ابطال فاعلية القوات الجوية العربية

بما فى ذلك السورية • لو تم هذا ـ فى الوقت المناسب ـ لأمكن تحقيق هدف سياسى آخر عظيم الفائدة الى جانب المكاسب الواضحة الأخرى ، **فقد كان يمكن للقوات الاسرائيلية أن تجرى اتصالا مباشرا مع جماعة الدروز ، التى طال قمع دمشق لها ، وتقديم يد العون لها لتقيم جهازا سياسيا للدروز ـ أى دولة درزية مستقلة ـ** وهكذا كان يمكن لدولة من الدروز أن تكون بمثابة دولة صديقة حاجزة بين اسرائيل وكل من سوريا والأردن ، وهكذا نسهم كثيرا فى استقرار المنطقة •

لقد أثبتت حرب الأيام الستة ، بصورة حاسمة ، بعض الفروض الأساسية المعينة التى تمسكت بها خلال الفترة السابقة وهى :

أولا : اننا فى حرب ١٩٦٧ تجنبنا ما اقترفناه من أخطاء فى حرب ١٩٥٦ •• حينما حظينا فى حرب سيناء بالتأييد العسكرى من بريطانيا وفرنسا •• فاننا خسرنا على الجبهة السياسية ، وهذا هو ما لم يحدث فى حرب الأيام الستة •

ثانيا : ظهرت اسرائيل بأنها أقوى من الجيوش العربية مجتمعة• وكان هذا مرجعه الى أن النظام الاجتماعى العربى ـ بغض النظر عن التقدم الذى حققه ـ قد فشل حتى الآن فى أن يتقدم بالقدر الكافى فى ميدان التكنولوجيا العسكرية الحيوية • ولم يكن هناك أى وفاق اجتماعى أو شعور بالوحدة الوطنية داخل أية دولة عربية • بل كانت السمة المميزة السائدة هى الغش والكذب ، فكان الحكام يكذب كل منهم على الآخر •• والوزراء يدبرون المؤامرات للاطاحة برفقائهم ، والضباط ينزعون الى خديعة رؤسائهم كما يخدع الجنود ضباطهم • ولم يستطع كبار المسئولين فى الحكومة أن يكونوا أمناء كل منهم مع الآخر •• أو حتى مع أنفسهم •

وبالمقارنة •• كانت اسرائيل مثالا للانسجام والحضارة • فهى أساسا متحدة ، وبالرغم من مشاحناتها الداخلية العنيفة ، فانها تتسم بالتفكير المستقل وتحظى بمساندة التضامن اليهودى

فى جميع أنحاء العـــالم ، وأثبتت أن الكيف ـ على مستوى الفرد والمجتمع ـ يتفوق على الكم ٠

ثالثا ـ كذلك برهنت حرب الأيام الستة بصورة قاطعة ٠٠ على أن نظرية الهجوم المضاد التوقعى قد ضمنت ـ بفاعلية ـ أن تنتزع اسرائيل زمام المبادرة من العدو ٠ ولقد تعلمت من هذه المرة ـ الى الأبد ـ أنه لا بديل لاسرائيل فى حربها مع أعدائها العرب ســوى أنها تمسك بزمام المبادرة مع رفض الدفاع السلبى بشدة ٠

والآن ، حين أرى الموقف بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ـ فان هناك وقفة هائلة نحو اعادة تسليح الجيوش العربية مرة أخرى ٠ ففى مستهل عام ١٩٦٩ استعاد سلاح المدرعات المصرى ـ بفضل الامدادات السوفييتية السخية ـ ماكان عليه من قوة عشية حرب الأيام الستة ، وأصبح السلاح الجوى المصرى بنسبة ٥٠٪ ومن المؤكد أنه خلال سنة بعد ذلك سوف تبلغ المدرعات المصرية ١٥٠٪ والسلاح الجوى المصرى ٢٠٠٪ من قوته قبل الحرب ٠

ومع أن هناك الآن خطوطا واضحة لوقف اطلاق النار ، الا انه فى رأيى انه ـ فى مواقف معينة ـ ســوف يكون من واجب اسرائيل ـ بل وستجد نفسها مضطرة بجـــدية ـ الى أن تبحث ضرورة عبور خطوط وقف اطلاق النار ، سواء كان هجوما مضــادا توقعيا على نطاق ضيق أو واسع ٠٠ فى غزو قصير الأمد أو فى عملية أكثر امتدادا ٠٠ وهذه هى المواقف الرئيسية :

● **اولا : فى حالة التعرض لهجوم محدود او شامل ٠٠ او فى حالة اكتشاف أن العدو يستعد بنشاط لهجوم جوى او بالصواريخ واسع النطاق على اهداف حيوية فى اسرائيل ٠**

● **ثانيا : فى حالة تعذر وقف نشاط الارهابيين بوســائل محدودة ٠**

● ثالثا : فى حالة تدخل العدو فى ملاحة اسرائيل فى البحار المفتوحة وفى المضايق ، أو الممرات الضيقة للبحر الأحمر ٠

● رابعا : بهدف تحقيق المعونة لحلفاء ظاهرين أو مستترين ، فعليين أو محتملين فى دولة أو أخرى من الدول العربية ٠

● خامسا : فى حالة تغيير الوضع الراهن لدولة مجاورة على نحو يهدد اسرائيل بخطر محقق ٠

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



مستقبل إسرائيل

تأليف : شاؤول فريدلاندر

بالنسبة لنا – نحن الاسرائيليين – فان الكراهية المنصبة على الاسرائيلى تجعله يبدو كالغريب تماما فى نظر العربى ٠٠ وكأنه ركيزة لقوى الشر فى العالم أجمع ، فضلا عن اتسامه هو بالقسوة والخداع الشيطانى ٠ وهكذا يرى العرب أن اسرائيل دائمة الحديث عن السلام منذ عشرين عاما ، ولكنها هاجمت جيرانها مرتين فجأة ٠

وبالاضافة الى ذلك ٠٠ فان الضمير العربى يزداد يوما بعد يوم اقتناعا بأن اسرائيل أداة للاستعمار الغربى ٠ وهكذا يصبح احتمال الهزيمة العربية أقل قسوة ، اذ أنها لا تأتى على يد الدولة اليهودية الصغيرة وحدها ، بل على يد الغرب الاستعمارى كله ٠ ان هذا التفسير العقلى للأحداث يسمح للعالم العربى بأن يؤمن بالنصر النهائى ٠٠ نظرا لأن تقدم التاريخ سيؤدى الى انهيار الامبريالية الغربية ان عاجلا أو آجلا ٠

ومن الصعب أن نتحدث عن سياسة عربية مشتركة ، حتى بالنسبة للمشكلة الفلسطينية ، الا أن هزيمة العرب فى يونيو ١٩٦٧ قد عجلت ببلورة اتجاهات متباينة تتعلق بالتكتيك الواجب اتباعه تجاه اسرائيل ٠ ففى العالم العربى اليوم هناك ثلاثة مواقف تكتيكية بالنسبة لاسرائيل :

الموقف الأول : تؤمن به مجموعة يصعب تقدير أهميتها ، وهى مستعدة للبحث فى حل سلمى ، وهى تعتبر أن المفاوضات هى الوسيلة الوحيدة لاستعادة جزء من الأراضى التى فقدت فى يونيو ١٩٦٧ ٠ وعلى مستوى رؤساء الدول ، يتخذ كل من الرئيس التونسى بورقيبة وحسين ملك الأردن هذا الموقف ٠

الموقف الثانى : يؤمن بأنه « لا تفاوض ولا اعتراف ولا صلح مع اسرائيل ، وكذلك لا مساومة بشأن مستقبل أراضى وشعب

فلسطين » • وهذا الموقف بسيط ، اذ يرى أن الوقت فى صالح العرب وأنه يمكن استعادة جميع الأراضى التى فقدت فى يونيو ١٩٦٧ ، بفضل اعداد سياسى وعسكرى صبور •

الموقف الثالث : يؤمن بأن نشوب حرب تقليدية جديدة مع اسرائيل أمر غير ممكن فى المستقبل المباشر • لهذا فان أصحاب هذا الموقف يؤمنون بأن الحل هو حرب العصابات • وهذا القطاع من العرب نفد صبره من الأساليب الدبلوماسية حتى باعتبارها تكتيكا مرحليا • وأبرز الذين يمثلون هذا الموقف منظمة « فتح » •• أشهر حركات المقاومة الفلسطينية •

ولكن ما هى سياسة اسرائيل تجاه المواقف العربية ؟

لقد قيل ان اسرائيل ليست لديها سياسة خارجية حقيقية ، لأن هذه السياسة تتجدد بصفة جوهرية وفقا لاحتياجات أمن الدولة الملحة . وذلك صحيح الى حد ما . ولكن هناك ، من البداية ، موقفان متطرفان ومختلفان بالنسبة للرأى العام داخل اسرائيل ، وهما :

الموقف الأول : يؤمن به مجموعة من اليساريين ودعاة السلام المخلصين وهم مستعدون بدون شك ، الى تقديم كافة التنازلات كمبادرة أولية من قبل اسرائيل ، مثل الأراضى المحتلة بما فى ذلك القدس القديمة وقبول جزء من اللاجئين على أمل أن يختفى شك العرب تجاه هذه النوايا الطيبة ، واعلان الجانبين المتخاصمين عن استعدادهما للتفاوض من أجل الوصول الى صلح قانونى • ولا تضم هذه المجموعة سوى أقلية ضئيلة ، الى جانب أعضاء حزب « ركاح » الشيوعى الموالى للسوفييت ، وجماعات صغيرة للغاية مثل جماعة « ماتزين » • وكل المؤمنين بهذا الموقف لا تزيد نسبتهم من مجموع السكان على ٢٪ أو ٣٪ •

الموقف الثانى : وهؤلاء هم الذين يرفعون شعار المطالبة بكل أرض اسرائيل •

وهى التى تمتد ــ من النيل الى الفرات ــ وهذه المجموعة تضم

عناصر من اليسار واليمين ، لم يكن بينها أى اتصال قبل حرب يونيو ١٩٦٧ ٠ ولكن هدفا مشتركا جمع بينهم فجأة ٠ وأعضاء هذه المجموعة يمكن تقديرهم بعشرة فى المائة من السكان ٠

ولكن ، بينما يمكن تصور زيادة المؤمنين بالموقف الأول ، فان من المحتمل جدا أن تحدث زيادة واسعة للمؤمنين بالموقف الثانى ٠

الموقف الثالث : وتؤمن به الأغلبية الكبرى من السكان ، وتعبر عنه الحكومة رسميا بناء على المبدأ الأساسى التالى : « ان اسرائيل مستعدة للتخلى عن جزء من الأراضى المحتلة ٠٠ مقابل اعتراف صريح من البلدان العربية بها وتوقيع معاهدات صلح رسمية معها ٠٠ بشرط أن تلبى الحدود الجديدة احتياجات أمنها » ونظرا لأن الأراضى المحتلة تشكل ميزات رئيسية بالنسبة لاسرائيل فى حالة حدوث مواجهة عسكرية جديدة ، فان الجلاء عنها لا يمكن أن يكون شرطا مسبقا للمفاوضات ، بل لا بد من توقيع معاهدة صلح أولا ٠٠ ثم بعدها يتم الجلاء ٠

لقد رأينا من قبل نظرة العرب الينا ــ نحن الاسرائيليين ــ والآن ، فان نظرة الكثير منا ــ نحن الاسرائيليين ــ الى العرب يحكمها شعور بالتفوق ، لأن كثيرا من الاسرائيليين يعتبرون المجتمع العربى بدائيا ومتخلفا ٠٠ بل وفى حالة انحلال ٠ فاذا كانت هذه هى النظرة المتبادلة ، فهل يمكن أن يكون للدول الكبرى موقف يفرض على الطرفين حل النزاع ؟

ان من الصعب تقييم الأثر الحقيقى للدول العظمى على النزاع الاسرائيلى العربى ٠ لقد خلقت دولة اسرائيل بفضل توافق موقف كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وكان الروس هم الذين مكنوا الاسرائيليين من الصمود خلال الشهور الأولى من حرب عام التحرير فى ١٩٤٨ ٠ كما أن الأمريكيين هم الذين أجبروا القوات الاسرائيلية على الجلاء عن منطقة العريش فى سيناء فى نهاية تلك الحرب نفسها ٠

وفى ١٩٥٦ ـ أدى التوافق بين موقفى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى الى انقاذ مصر من الانهيار (كما سبق أن أدى الى انشاء اسرائيل فى ١٩٤٨) وتحولت هزيمتها الى نصر سياسى ونفسى · وكان الروس هم الذين تسببوا فى اثارة سلسلة الحوادث التى انتهت الى حرب يونيو ١٩٦٧ ـ ولكن ليس بامكان أى من الأمريكيين أو الروس ـ منذ ذلك الوقت ـ أن يبدلوا الموقف الجديد الناتج عن النصر الاسرائيلى · ويبدو لى أن أزمة عام ١٩٦٧ وآثارها قد أوضحت حدود سلطة الدول العظمى فى الشرق الأوسط ، مهما كان نفوذها الحقيقى فى هذه المنطقة فى الماضى ، وترجع هذه الحدود الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بتحييد أحدهما الآخر ·

ولو بدأنا بمصالح الاتحاد السوفييتى فى المنطقة ·· فان هناك اهدافا عاجلة متعددة له ، هى منع الغرب من تثبيت أقدامه مرة أخرى فى مصر وسوريا فى حالة تغيير نظام الحكم بهما ، وتحييد وجود الأسطول السادس الأمريكى ، والالتفاف حول التنظيم الدفاعى لحلف شمال الأطلنطى ، وكذلك اجبار الأمريكيين على تقسيم الشرق الأوسط الى مناطق نفوذ مما سيدعم الوجود السوفييتى فى الأجل الطويل ·· ومن ثم فان الابقاء على التوتر بين اسرائيل والدول العربية ، يعتبر شرطا لازما لتعاون هذه البلدان معها · كما أن من شان حسبة اضافية أن تشجع موسكو على استغلال التوتر ، اذ من غير المستبعد أن يتوقع الروس دخول الولايات المتحدة فى مرحلة انعزالية جديدة عقب تسوية النزاع الفيتنامى ، وانسحابهم من كافة مواقعهم المحيطة بهم للاحتماء داخل القلعة الأمريكية ·ولاشك ان الروس مخطئون فى هذا الاعتقاد ·· ويعتقد الاتحاد السوفييتى أن المجال سيكون عندئذ خاليا أمامه فى الشرق الأوسط وبصفة خاصة ، ان الابقاء بصفة منتظمة على التوتر فى المنطقة سيؤتى بثماره ·

ولكن مثل هذا الموقف له مخاطره ، أبرزها حدوث تصعيد فى حالة نشوب نزاع محلى · ولنتصور مثلا وقوع حادثة فى منطقة قناة السويس تؤدى الى استئناف القتال بين اسرائيل ومصر · فمن الصعب على الاتحاد السوفيتى أن يسمح بوقوع هزيمة عربية ثانية ،

اذ أن ذلك قد يهدد بالقضاء على المراكز التى اكتسبها فى العالم الثالث ، نتيجة للضربة التى ستلحق بمكانته ٠

ويبدو أن سياسة « الكرملين » تهدف الآن الى الابقاء على حالة محمومة من التوتر ، لا نستبعد معها ـ كما رأينا ـ وقوع تدخل من الاتحاد السوفييتى فى ظل بعض الظروف ، كما تهدف الى تحاشى التدخل عسكريا بقوة بسبب مخاطر تصعيد الموقف ، واستغلال خيبة الأمل التى تشعر بها البلدان العربية للتغلغل فيها على مستوى كبير ، والسعى الى التوصل لحل وسط للنزاع فى الشرق الأوسط مع الولايات المتحدة فى خلق بعض الظروف العالمية دون التخلى عن المواقع التى اكتسبها فى العالم العربى .

واذا كانت روسيا تؤيد موقف العرب ايجابيا ، ولا يستبعد قيام العرب بعمل عسكرى محدود ٠٠ فان أى ضغط روسى قد يضع اسرائيل فى موقف صعب ، ولكنه لن يكون كافيا فى حد ذاته لاجبار اسرائيل على تغيير سياستها ٠ **اذن ما هو موقف امريكا ؟**

ان موقف امريكا تحكمه تناقضات وضروريات متعارضة ٠ ان مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية فى البلدان العربية هى اكبر جدا من مصالحها فى اسرائيل ٠ وبينما تفرض مصالح أمريكا عليها أن تتخذ موقفا مختلفا ٠٠فانها تؤيد اسرائيل لأسباب أخرى غيرمجرد المصالح ٠٠ اسباب عقائدية ٠٠ واسباب تتعلق بالسياسة الداخلية لأمريكا نظرا لأهمية الناخبين اليهود فى الحياة السياسية الأمريكية ٠ ومن المؤكد ان رفض امريكا اتخاذ موقف معاد من الدولة اليهودية ، قد سهل من مهمة الروس فى مصر وسوريا ٠

وبالنسبة للموقف الآن ٠٠ فمن الجائز أن يكون الامريكيون مستعدين للقيام بتنازلات فى الشرق الأوسط ، وأن يحاولوا فرض تسوية على اسرائيلعن طريق المفاوضات ،وفقا لما يشترطهالاتحاد السوفييتى ٠٠ وذلك فى مقابل سعيها الى التوصل الى اتفاق مع موسكو فى الشرق الاقصى وبشأن مشكلات نزع السلاح ٠ ولكن يحتمل أيضا ان انسحاب أمريكا من فيتنام قد يدفعها الى المراهنة على أنها لن تضحى بمصالح البلدان التى كانت تساندها فى المناطق الاستراتيجية الأخرى ٠

وهنــاك احتمال ثالث ، وهو أن التدخـــل الســـوفييتى فى تشيكوسلوفاكيا وفشل المفاوضات الخاصة بفيتنام قد يتسببان فى زيادة التوتر العالمى واتباع أمريكا لسياسة أكثر تشددا فى الشرق الأوسط .

ويبدو أن الولايات المتحدة ، تهدف الى تحاشى نشوب نزاع مسلح فى المنطقة ، والابقاء على مصالحها القائمة واستعادة مكانتها فى العالم العربى ، كما تهدف الى تشجيع الظروف المؤدية لتفاهم عالمى مع الاتحاد السوفييتى ، وفى الوقت نفسه ، عدم التضحية بالمصالح الحيويه لاسرائيل . ان أمريكا لاتود اضعاف اسرائيل بصورة قد تعرض وجودها للخطر .. ولكن لا يبدو أن وزارة الخارجية الامريكية تعتقد ان مبدأ التوقيع على معاهدة الصلح يعتبر ضرورة ملحة ، ويبدو أيضا أن أمريكا لا توافق على موقف اسرائيل بالنســـبة للقدس . وقد استغل الضغط الامريكى ، بصفة خاصة ، احتياجات اسرائيل الملحة فى مجال التسليح الجوى ، وأجبرها على التخلى عن المفاوضات المباشرة على الأقل فى المرحلة الأولى للاتصالات مع العرب . ولكن الامر لم يكن متعلقا بمصلحة حيوية لاسرائيل ، على عكس معاهدة الصلح . وقد تجبر واشنطن اسرائيل نظريا على الرضوخ على طول الخط ، ولكن هذا الاحتمال نظرى بحت .. اذ يجب أن نضع الرأى العام الامريكى فى الاعتبار .

ويبدو أن أقصى ما يمكن أن تفعله أمريكا ضد اسرائيل .. هو أن تظهر تشددا أكبر فى الأمم المتحدة أو مجال تزويدهـــا . **ولن يكون ذلك كافيا لحمل اسرائيل على تغيير سياسة تعتبرها نابعة من مصالحها الحيوية . مصالح لا يمكن لاسرائيل أن تتخلى عنها الا اذا أقدمت الولايات المتحدة على مباشرة ضغط شديد جدا عليها . غير أنه من المستبعد تصور وقوع هذا الضغط .**

وهكذا .. فان من المحتمل أن يؤدى العمل الدبلوماسى لروسيا وأمريكا الى اجبار الدول العربية واسرائيل على تعــــديل بعض من مواقفها التاكتيكية . بل ان هناك احتمالا فى أن يؤدى هذا العمل الى بدء اجراء مفاوضات .. ولكن من المشكوك فيه أن يؤدى الى تخـلى الطرفين المعنيين عن مواقفهما الأساسية ! .

وتدفعنا هذه الاعتبارات العامة فى ذاتها ٠٠ الى بحث حالتين خاصتين ، وهما : موقف اسرائيل تجاه مصر ، وموقفها تجاه الأردن ٠

ففى بداية سنة ١٩٦٨ تردد الحديث عن احتمال التوصل الى تسوية مؤقتة بين مصر واسرائيل ، وخلال الشهور التالية اتضح التاكتيك المصرى بصورة أكبر ٠ ومنذ ذلك الوقت يسير المصريون على خطين متوازيين ، يجب الاعتراف بأنهما لا يخلوان من الفعالية ٠ فهم من جهة ٠٠ يثيرون من وقت لآخر بعض الحوادث فى منطقة قناةالسويس ليثبتوا للعالم أن الموقف الراهن يشكل تهديدا للسلام ، وأن جلاء اسرائيل عن الأراضى المحتلة يعتبر الوسيلة الوحيدة لضمان الهدوء ٠ ومن جهة أخرى يشيعون مشروعات مختلفة تتضمن بعض التنازلات ، مع علمهم مقدما بأن اسرائيل سترفضها ولا يمكن أن توافق عليها ٠٠ مما يضع اسرائيل فى موقف دفاعى على الصعيد الدبلوماسى ، وفى هذه الأثناء ٠٠ تستعد مصر لاحتمال نشوب حرب جديدة ٠

أما بالنسبة للأردن ٠٠ فان من المحتمل ، بل ومن المقبول ، التوصل الى معاهدة صلح فى هذه الحالة الخاصة والمحدودة ولكن الأمر غير مؤكد على الاطلاق ! لأن هناك أربع عقبات رئيسية ٠ فأولا ــ اعتراض مصر ٠ ان اسرائيل تعرف أن أى سلام على المدى البعيد مع العالم العربى يجب أن يمر بمصر ٠ وأن التوصل الى اتفاق مع الأردن وحده يحتمل ألا يكتب له الاستقرار ٠ واذا كان موقف القاهرة مهما بالنسبة لاسرائيل ، فانه أكثر أهمية بالنسبة للملك حسين ٠٠ لخوفه من العناصر الموالية لمصر داخل الأردن،ومن المنظمات الفدائية ٠٠ هذه هى العقبة الثانية . وأخيرا هناك عقبة احتياجات الأمن الاسرائيلى رعقبة القدس .

وهكذا .. فاننا نواجه نوعا من الديناميكية المستقلة للنزاع بيننا وبين العرب . هناك (رفض) يهودى فى مواجهة (الرفض) العربى . وحتى الآن كان العرب هم أكثر من خسر فى هذا التسلسل من الرفض ، ولكن الخاسرين سيكونون من الجانبين فى الأجل الطويل . وهكذا فانه من غير المحتمل على الاطلاق ظهور

امكانيات سلام حقيقى بين اسرائيل والعالم العربى .. أو على الاقل مع مصر .. أهم دولة فى العالم العربى . اذن .. فى هذه الحالة .. طالما ان احتمالات السلام منعدمة .. هل هناك احتمالات للحرب ؟

ان الهزيمة المصرية امام اسرائيل فى سنة ١٩٦٧ كانت فادحة . وبالاضافة الى الأسباب العسكرية والسياسية التى وضعت الجيش المصرى فى موقف صعب جدا من البداية .. فان هناك عوامل أخرى نفسية . ان اخطر عامل سيكولوجى فى الهزيمة العربية يكمن فى ضعف الصلات الاجتماعية التى تربط بين العربى واخيه العربى ، ونتيجة لهذا العجز فى البنيان الاجتماعى، يجد كل جندى عربى نفسه يحارب فى الأوقات الحرجة للمعركة كفرد معزول .. لا باعتباره عضوا فى مجموعة . لذلك .. فان كل فرد يميل الى الاهتمام بنفسه أولا ، فتتحلل الوحدة . وقد سئل قادة بعض الجماعات العسكرية عندما وقعوا فى الأسر عن أسماء رجالهم ، فقالوا انهم كانوا يكتفون بمعرفة اسم قادة السرايا ، وكانوا يعتبرون سؤالهم عن اسماء الرجال الذين خدموا تحت امرتهم اهانة لهم .

وصدم الاسرائيليون عندما لاحظوا الهوة التى تفصل بين الضباط بعضهم عن البعض ، واحيانا كراهيتهم المتبادلة لبعضهم البعض .. حتى وهم فى الاسر . فقد كان كل منهم يلوم الآخر بأنه لم يقم بواجبه ، كما لو كانوا هم قد تصرفوا بطريقة مرضية .

وتشير دراسات أخرى خاصة بالمجتمع العربى .. الى أن العامل الثانى الذى ساهم فى انهيار العرب هو موقفهم تجاه الحقيقة والواقع . ان المرء ليصعق من كثرة الأكاذيب التى يرددونها فى حياتهم العامة . ومن أمثلة تلك الكذبات الكبرى .. هذه المزاعم التى قالت ان الطيران المصرى دمر نتيجة لهجمات أمريكية وبريطانية . وقد حدث فى سيناء أن وقعت بعض الوحدات المصرية فى الاسر نتيجة لأنباء مضللة أذاعها راديو القاهرة عن انتصار الجيوش العربية ، فقد كانت سياسة الاعلام المصرى ابان الحرب ضد المصالح المصرية بأكثر مما هى معها .

ولكن .. هل تعتبر نقاط الضعف هذه ملازمة حقا للمجتمع العربي وتقاليده الثقافية واتجاهاته السيكولوجية العميقة ؟ وهل تستطيع اسرائيل أن تستمر في اعتمادها على نقاط الضعف هذه؟ انني أشك في ذلك . فاذا أمكن لاسرائيل أن تعتمد في الاجل القصير والمتوسط ـ أي في السنوات المقبلة ـ على نقاط الضعف العربية السابقة ، فانه من الخطر أن تعتمد على ذلك لفترة أطول .. !

ان من الممكن ـ بل من المحتمل ـ أن يشن العرب حربا جديدة ضد اسرائيل ، في شكل هجوم مفاجيء . ان الذي يجعل هذا الاحتمال نظريا بأكثر مما هو واقعي .. هو مدى قدرة العرب على التغلب على المخابرات الاسرائيلية التي قد تكتشفت مثل هذه الخطة في الوقت المناسب ، والتغلب على الرادار الذي قد يكشف الطائرات المصرية .. بعد أن أصبح عليها منذ يونيو ١٩٦٧ أن تقطع مسافة كبيرة نسبيا لبلوغ الأراضي الاسرائيلية . وأخيرا .. فانه قد يكون من الصعب تدمير الطيران الاسرائيلي وهو رابض على الأرض لأسباب فنية عديدة ، منها مثلا حالة الطواريء شبه الكاملة التي تطبق على هذا السلاح .

ومن ناحية أخرى .. فان اسرائيل لا يمكنها ان تفرض الصلح على العرب عن طريق احراز انتصارات جديدة . ان اسرائيل املت مرتين ـ ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ـ في فرض السلام على العالم العربي عن طريق هزيمته عسكريا ، ولم يتحقق أملها في المرتين ، وقد يستطيع الجيش الاسرائيلي ان يدمر الجيوش العربية في القتال ، او أن يحتل في الحالات القصوى كلا من عمان ودمشق والقاهرة ، بل انه قد يتمكن من البقاء لفترة ما في عمان ، ولكن لا يمكنه ان يبقى في دمشق ، أو في القاهرة بصفة خاصة . وقد اضطرت اسرائيل منذ حرب الأيام الستة واحتلال الأراضي الجديدة .. الى مد فترة التجنيد الالزامي الى ثلاث سنوات ، فضلا عن ان جنود الاحتياطي يستدعون للخدمة العاملة شهرين كل عام تقريبا . أن هذا أقصى ما يمكن ان يقدمه سكان البلاد واقتصادها . ومن الواضح .. أن هناك استحالة فنية بالنسبة لجيش

بعدد جيش اسرائيل فى مد رقعة الأراضي التى يحتلها لفترة طويلة ، خاصة بالنسبة للمناطق المكتظة بالسكان كمشارف دمشق ودلتا نهر النيل . وهذه معطيات تعرفها اسرائيل كما يعرفهـا العرب ، وقد تقودنا الى استنتاج بسيط ، هو أن هنـاك حدودا لفعاليـة استخدام قوة اسرائيل العسكرية .

بعد ذلك .. هناك سؤال : هل يحتمل تدخل الاتحاد السوفيتى عسكريا لصالح العرب ؟

ان هذه الفكرة قد تبدو طبيعية داخل الجيش السوفيتى . عندما نعرف أنه ابان الغزو السوفيتى لتشيكوسلوفاكيا .. خرجت أنباء تشير الى أن الجنود الروس كانوا قد أخبروا قبل ذهابهم الى تشيكوسلوفاكيا .. انهم متوجهون الى مصر لمحاربة اسرائيل .

ولكن من المعقول هنا أن نقول : ان أقصى ما يستطيع الروس أن يفعلوه بشكل مباشر هو التدخل المحدود جدا .. وحتى هـذا الاحتمال ضعيف للغاية نظرا للوجود الامريكى فى المنطقة . اذن .. هل تتدخل أمريكا ؟ ان الواضح انها قد تتدخل فى حالة واحـدة فقط ، هى عدم السماح بتدمير اسرائيل ، ولكن هناك احتمال أقل بالنسبة لتدخل امريكا فى حالة وجود عمل عسكرى محدود يهدف الى اجبار اسرائيل على الجلاء عن الأراضى المحتلة .

والآن ، نظرا لأنه من غير المحتمـل اقرار سـلام قريب بين اسرائيل ومصر ـ أقوى جاراتها العربية ـ فان الدولة اليهودية ستكون مضطرة الى تركيز جل اهتمامها لفترة طويلة على مشكلات الأمن . ان أمن اسرائيل يتوقف بطبيعة الحال على مجموعة من العوامل ، من بينهـا : الحصـول على أسلحة جـديدة أو صنعها ، والمفـاهيم الاستراتيجية لهيئة أركان الحرب ، وتدريب القوات المسلحة ، وتنظيم الامدادات والتموين بالجيش ، وتنظيم اقتصـاد الحـرب وأجهـزة المخابرات العسكرية وغيرها .. وهذه موضوعات نتركها للاخصائيين لنركز على بعض المشكلات الأساسية .

من هذه المشاكل .. مصير الأراضى المحتلة . فلو بدأنا بالمرتفعات

السورية التى تحتلها اسرائيل الآن ، فاننا سنجد انها تطل مباشرة على القرى الاسرائيلية الواقعة فى منطقة بحيرة طبرية ووادى نهر الأردن . وخلال عشرين عاما .. دأب السوريون على مهاجمة السكان الاسرائيليين فى الوادى وعلى ضفاف البحيرة بصفة متقطعة ، من فوق هذه المرتفعات التى كانت تبدو وكأنها غير قابلة للسقوط .

ومن الواضح ان هذا الموقف يجب الا يتكرر . ان من بين الحلول الممكنة لهذا الموقف .. نزع سلاح مرتفعات جولان ووضعها تحت اشراف دولى . ولكن المعروف أنه من الصعب أن نعتمد - كاسرائيليين - منذ مايو ١٩٦٧ على دوام الاشراف الدولى، خاصة وأن كثرة تغير نظام الحكم فى سورية قد يجىء مرة بحكومة تضمن الابقاء على نزع سلاح هذه المنطقة ، ومرة أخرى بحكومة تلغيه .

ومن ثم ، فانه من الواجب وجود اشراف اسرائيلى . ان الاشراف على جولان لا يعتبر ضمانا بالنسبة لأمن قرى وادى الاردن فحسب ، ولكنه سيضمن للاسرائيليين أيضا أنهم باحتلالهم لهذه المنطقة الصغيرة - التى تقل مساحتها عن ألف كيلو متر - سيجعلونها منطلقا استراتيجيا أساسيا للزحف جنوب دمشق فى حالة استئناف القتال مع سوريا ، ومهاجمة الاردن من الخلف . كما أن الاشراف على مرتفعات جولان ، يعنى أيضا الاشراف على نهر بانياس وسد المخيبة ، مما يسمح بمنع اية محاولة عربية جديد لتحويل مياه نهر الأردن (الذى يعتبر مصدرا آخر للنزاع) . ومباشرة الضغط على الأردن اذا ما لزم الأمر . فضلا عن أن خط أنابيب شركة أرامكو الناقلة للبترول السعودى الى مصافى سوريا يمر بهذا الاقليم ، مما يعتبر ضمانا هاما للابقاء على السلام فى أيدى اسرائيل .

وهكذا يبدو أن الاشراف على المرتفعات السورية ، يعتبر ورقة أساسية بالنسبة لنا - نحن الاسرائيليين - ولننتقل الآن الى صحراء سيناء . ان وجود اشراف مصرى من طرف واحد على سيناء كلها .. قد يسمح لحكومة القاهرة ، اذا ما رغبت فى استئناف القتال - كما فعلت فى ثلاث مرات فى الماضى - أن تحشد قواتها بالقرب من الحدود الجنوبية لاسرائيل .. مهددة فى كل وقت

بشطر النقب الى قسمين والتوغل صوب منطقة تل أبيب الساحلية . وقد تقرر اغلاق مضيق تيران من جديد . ففي حالة وقوع هجوم جوى مصرى ترتفع فترة الانذار من أربع دقائق الى سبع وعشرين دقيقة . وبينما كان فى امكان أجهزة الرادار المصرية الموجودة فى العريش ونقاط أخرى من شمال سيناء - قبل يونيو ١٩٦٧ - أن تتتبع من الناحية النظرية كل حركة جوية فى اسرائيل ، فانها فى هذه المرة أجهزة الرادار الاسرائيلية الموجودة على ضفاف قناة السويس ، هى التى يمكنها أن ترصد التحركات الجوية فى الدلتا والقاهرة . وفى حالة شن المصريين لهجوم برى ضد اسرائيل ، فسيكون عليهم أن يعبروا أولا عائقا هاما هو قناة السويس الذى يدعمه خط من التحصينات ، ثم عبور ما يقرب من مائتى كيلو متر من الخطوط المصرية ، أصبحت بعض المراكز الحيوية المصرية (ولا سيما بور سعيد) على مدى ضربة مدفع من الخطوط الاسرائيلية .

وهذه العوامل العسكرية .. تعطى لاسرائيل أيضا ميزة سياسية ضخمة . فامام التهديد المصرى ، اصبح بامكانها الآن أن تلتزم استراتيجية دفاعية ، وتتفادى الادانة التى كانت توجه اليها عندما كانت تشن هجمات وقائية وهى الهجمات التى كانت ضرورية حتى يونيو ١٩٦٧ . ولنضف الى ذلك : الميزة السياسية التى يمثلها بالنسبة لاسرائيل الاشراف على احدى ضفتى قناة السويس ، والميزة الاقتصادية الناجمة عن امتلاك حقول البترول فى سيناء (التى يعتبر انتاجها الحالى ضعف الحاجة الجارية لاسرائيل الى هذا الخام) وكذلك مناجم المعادن المختلفة .

ويعتبر الوضع القائم الحالى بالنسبة لوجهة نظر أمن اسرائيل مثاليا فى قناة السويس وسيناء ، ولكنه يستبعد اية امكانية للسلام مع مصر . اذن ما هو الحل ؟ ان هناك عدة حلول وسط تفرض نفسها ، من بينها مثلا : تقسيم سيناء الى قسمين ، بخط يبدأ من العريش شمالا وينتهى بشرم الشيخ جنوبا، على أن يخضع كله - مثل الضفة الغربية فى الاردن - لاشراف اسرائيل . وكل هذه الحلول على اساس توقيع معاهدة صلح مقدما مع الدول

العربية • اما لو لم يحدث ذلك •• فان بقاء الاشراف الاسرائيلى العسكرى على الأراضى المحتلة الآن يضمن لاسرائيل مزايا استراتيجية اساسية ذكرناها من قبل •

واذا كان السلام غير ممكن مع مصر ، والنهاية غير متوقعة لمنظمات المقاومة الفلسطينية .. اذن ، هل هناك حل نهائى لهذه الأزمة ؟!

ان هناك مبدئيا ، مزايا واضحة لتوقيع معاهدة صلح بين اسرائيل والاردن ، حتى فى حالة رفض مصر واعتراضها ، ان التوصل الى تسوية بين اسرائيل والاردن سيثبت أولا ان بالامكان قيام تعايش بين الدولة اليهودية واحدى الدول العربية فى الشرق الأوسط • وعندئذ يحدث شرخ فى الجبهة المشتركة التى يقيمها العرب منذ عشرات السنين ضد العمل الصهيونى ودولة اسرائيل، كما تضعف حركة حرب العصابات ابتداء من غرب الاردن وشرقه . كما ان هناك احتمالا فى أن ينضم لبنان والسعودية الى الحل السلمى ، وبذلك تنشأ فى الشرق الأوسط منطقة خاصة للنفوذ الامريكى وتتمتع أيضا بحماية الولايات المتحدة ، وتضم كلا من اسرائيل والاردن ولبنان والسعودية . وعندئذ يمكن لاسرائيل أن تكسب من جديد عطف الرأى العام الغربى ، كما أن فرنسا سترفع بدون شك القيود المفروضة على تزويد اسرائيل بالأسلحة ، ولن يكون الجيش الاسرائيلى قلقا على حدوده الشرقية فى حالة نشوب حرب جديدة مع مصر. وأخيرا .. فان الاقتصاد الاسرائيلى سيجد منافذ واسعة فى البلدان المجاورة . ولا شك أن هذه المزايا الرائعة تبرر أن تعيد اسرائيل جزءا من غرب الاردن وان تقدم تنازلات فى القدس .

فى الواقع •• انأى ثمن تدفعه اسرائيلللأردن لن تكون له قيمة قبل التوصل الى اتفاق مع مصر • ان أى تسوية منفصلة مع الملك حسين سوف تظل دائما محفوفة بالمخاطر وغير دائمة الاستمرار ، طالما لم توافق عليها مصر ، لهذا فان قيام اسرائيل بالتخلى عن امور هامة فى مجال الأمن كثمن للتوصل الى اتفاق منفصل مع

الاردن ليس له ما يبرره فى الوقت الحاضر ، لأن على اسرائيل فى جميع الأحوال، أن تحتفظ باشراف عسكرى كاف على غرب الاردن لتتمكن من اعادة احتلال المنطقة فى بضع ساعات فى حالة قيام حكومة معادية فى عمان .

واذا كان مستقبل علاقة اسرائيل بالمنطقة كلها مازال محفوفا بالمخاطر .. فهل توجد مخاطر مماثلة بالنسبة لمستقبل المجتمع الاسرائيلى نفسه ؟ فى الواقع ان هناك مشكلتين أساسيتين يجب على اسرائيل أن تحلهما فى المستقبل القريب ، حتى لاتتقهقر الى مستوى مجتمع من مجتمعات المشرق العربى وهما :

● معدل اندماج اليهود الذين من أصل أفريقى أو شرقى فى مجتمع تكنولوجى حديث .

● مشكلة تكوين الصفوة الحاكمة .

اما بالنسبة للمشكلة الأولى، فأنه حتى حرب الايام الستة .. كان المجتمع الاسرائيلى ، ينقسم الى معسكرين تزداد الشقة بينهما : « الموسرين وهم اليهود ذوو الأصل الأوروبى .. والفقراء وهم ذوو الأصل الشرقى . وبعكس مشكلة الزنوج فى امريكا ـ التى تمثل ١٠٪ من السكان ـ فان اليهود الشرقيين فى اسرائيل يمثلون أكثر من ٤٥٪ من السكان . ويتدهور وضعهم يوما بعد يوم .

اما مشكلة الصفوة الحاكمة .. فان مستقبلها متشائم بالدرجة نفسها حيث ما زالت غالبية الصفوة السياسية والاقتصادية ، تتالف حتى الآن من يهود من أصل روسى ، وبولندى . أما الصفوة العلمية ، فيسيطر عليها الأصل الأوربى والأمريكى .

وهناك بعد ذلك .. مشكلة الابقاء على التماسك الاجتماعى الاسرائيلى ، وهى هنا مطروحة على مستويين : حل للقضاء على الهوة التى تفصل بين اليهود الشرقيين والأوربيين من ناحية ، ثم حل مشكلة السكان العرب داخل الأراضى التى تحتلها اسرائيل من ناحية اخرى . ان المشكلة الاولى زادت حدة عندما ظهرت فترة

هدوء نسبى على الحدود فى السنوات السابقة على ١٩٦٧ . فعندما اقترب المجتمع الاسرائيلى من أن يكون مجتمعا (طبيعيا) أوشكت تلك المشكلة على الانفجار ، وطبقت سياسة اقتصادية انكماشية عجلت من اتجاه التفكك الاجتماعى . ان انتصار يونيو ١٩٦٧ قد أعاد التماسك الى المجتمع الاسرائيلى ، ولكن المشكلة ما زالت تهدد بالانفجار ، ويمكن حلها بواسطة هجرة يهودية واسعة تأتى من الدول الغربية . ولذلك .. فربما يكون من مصلحة اسرائيل دائما أن تلجأ من وقت لآخر ، الى تقوية الاتجاهات المعادية للسامية فى الغرب .. بهدف تنمية الرغبة فى الهجرة اليها .

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



الجيش.. والسياسة في إسرائيل

تأليف: عاموس بيرلميوتر

هذا الكتاب
وهذا المؤلف

بالنسبة للجيش الاسرائيلي ، فان ابرز شخصيتين مثلتا السلطة المدنية في منصب وزير الدفاع كانتا دافيد بن جوريون وموشى ديان • ومع أن هذا الكتاب يعتبرهما مدنيين •• الا ان الخط الفاصل بين المدنيين والسياسيين ليس بهذا الوضوح القاطع في اسرائيل ، نظرا لأن الحركة الصهيونية حرصت من البداية على ان تقيم مجتمعا عسكريا أشبه بمجتمع « اسبارطة » القديم • مجتمع من المحاربين ، الذين يقومون بأعمال عسكرية •• حتى وهم بملابس المدنيين •

وهذا الكتاب يحلل ـ من وجهة نظر اسرائيل طبعا ـ العلاقة بين السلطة المدنية والسلطة العسكرية في اسرائيل ، بناء على المفهوم السابق للحدود بين السلطتين • ونظرا لندرة المؤلفات التي تتناول هذا الموضوع ـ خصوصا من وجهة نظر اسرائيل ـ فان هذا الكتاب « العسكرية والسياسة في اسرائيل » يكتسب اهمية مضاعفة من حيث موضوع الكتاب ، ومن حيث مؤلفه •

ان المؤلف « عاموس بيرلميوتر » اسرائيلي من مواليد تل أبيب ، حصل على البكالوريوس ثم الماجستير ، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا الأمريكية • وقد خدم في وزارة الدفاع الاسرائيلية كعضو في لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية • كما انه كان زميلا باحثا في معهد الدراسات الدولية في « بيركلي » حتى ١٩٦٧ ، ويعمل الآن زائرا بمركز الشئون الدولية بجامعة هارفارد الأمريكية ، مع احتفاظه بجنسيته الاسرائيلية ، ومساهمته في أبحاث وزارة الدفاع الاسرائيلية •

كان الانتصار المفاجىء الذى احرزه «زاحال» ـ جيش الدفاع الاسرائيلى ـ سنة ١٩٦٧ نتيجة لفلسفة تعتبر أن المجهود الحربى اداة لبناء الامة منذ بداية الحركة الصهيونية فى فلسطين . وفى عام ١٩٤٨ أدت حرب التحرير الاسرائيلية الى القاء الضوء على الجيش ومنذ ذلك الوقت أصبح لقادة الجيش نفوذ بين النخبة الحكومية والاقتصادية التى التزمت بادخال الأساليب الحديثة فى الجيش بسرعة . وقد ادى انتصارنا العسكرى على المصريين فى ١٩٥٦ وانتصارنا على مصر والأردن وسوريا فى ١٩٦٧ الى دعم سمعة الجيش .

وبالرغم من ان جيش اسرائيل النظامى لايزيد على ثمانين ألف جندى.. الا ان سبع اجمالى السكان اليهود، وعددهم مليونان ونصف مليون ، يعتبر احتياطيا عسكريا فعالا . لهذا فمن الطبيعى أن نتساءل عن أثر الجيش على الحياة السياسية فى اسرائيل .

ولكى نفهم هذا الاثر ، لابد ان نفهم الدور الذى تم تحديده للجيش الاسرائيلى من البداية لكى يقوم به بالنسبة لأمن اسرائيل وسياستها .. ان هذا الدور يمكن تلخيصه فى (نظرية التطويق العربى) التى أعدت فى البداية تحت اشراف بن جوريون .. واصبحت من يومها هى المبدأ الذى يحكم عمل وتفكير جيش الدفاع الاسرائيلى ـ زاحال .

ان هذه النظرية تعتمد على الأفكار التالية :

- اولا : ان العرب يحاصرون اسرائيل جغرافيا .

- ثانيا : ان مهمة الجيش هى ان يحاصر العرب عسكريا ، لكى يلغى تأثير هذا الحصار الجغرافى .

- ثالثا : ان هذا الحصار يعتمد على الحصول باستمرار على احدث الأسلحة . ومهمة القيادة السياسية أن تضمن دائما وجود دولة ـ أو أكثر ـ قادرة على امداد اسرائيل باحدث الأسلحة هذه .

● رابعا : ان نجاح السياسة لايقاس بالحصول على سلاح حديث فقط .. ولكن بالحصول على المعلومات التى تمكن الجيش من صناعة هذا السلاح الحديث محليا ، حتى لايظل الجيش تحت رحمة الدولة الموردة ، والتى قد تتعارض مصالحها مستقبلا مع مصالح اسرائيل ..

أن بن جوريون ، باعتباره أول وزير دفاع لاسرائيل ، كان هو بالطبع أول من أشرف على تطبيق هـذه النظـرية . ان مـوقف بن جوريون كان قائما على أساس : **انه طالما احتفظت اسرائيل بتفوقها العسكرى الذى يسميه هو ـ لأسباب سياسية ـ توازنا عسكريا على قوات الدول العربية مجتمعة .. وطالما استطاعت اسرائيل أن تحمى حدودها وتتوسع فيها عن طريق الغارات الانتقامية ، فانها ستكون فى أمان .** وهذا الوضع الدفاعى قائم على أكثر من مجرد الحد الادنى لاعتبارات الأمن القومى . فالمقصود به السماح بقيام مناورات عسكرية مرنة على الحدود . حتى يمكن صد أى هجوم عربى فوق الأراضى العربية . ولا بد ـ فى جميع الأحوال ـ أن تتم جميع الأعمال العسكرية فوق أرض العدو العربى .. وليس فوق أرضنا فى اسرائيل . ان هذا معناه الانتقام السريع . ومعنى الانتقام هو اقامة السلام عن طريق القوة .

ومقد حرص موشى دايان ـ وزير الدفاع الحالى فى اسرائيل ـ أن يطبق هذه المبادىء باعتباره تلميذا مخلصا لبن جوريون . **ان مفهوم دايان للعلاقات العربية الاسرائيلية ينبع من الافتراضات التالية :**

● اولا : ان الحـد الأقصى لمهمـة الجيش هى أن يكسب الحرب .. ان ولاء الجيش لابد أن يكون لمهنته ، وليس لمساندة اى حزب سياسى ضد حزب آخر . ان الجيش هو مجموعة من الفنيين المتخصصين ، وتخصص افراده هو القيام بالأعمـال العسـكرية لتحقيق أهداف سياسية تحددها القيادة المدنية .

● ثانيـا : ان الحـد الادنى لمهمة الجيش ، هو الدفاع عن حدود اسرائيل .

● **ثالثا : ان الدولة كلها ــ اسرائيل ــ هى حدود .**

● **رابعا : ان الجيش يجب أن يعمل على أساس ان هناك دائما تدميرا وشيك الوقوع .**

● **خامسا : ان سياسة العرب بالنسبة للتسلل هى (حرب فدائيين) ضد اسرائيل .**

● **سادسا : ان سياسة اسرائيل هى تحويل الأمر الواقع الى حالة دائمة .. وتحويل الهدنة الى صلح .**

● **سابعا : ان غرض الغارات العسكرية التأديبية .. هو تنبيه الدول الكبرى حتى تقوم بالضغط على العرب من أجل الصلح مع اسرائيل .**

لقد ظلت المبادىء السبعة السابقة دليل عمل الجيش الاسرائيلى منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ . ان التغيير الوحيد الذى طرأ على الموقف بعد ١٩٦٧ يتعلق بالمبدأ السابع فقط نتيجة للانتصار الاسرائيلى فى الحرب ، **أصبحت سياسة اسرائيل الآن تتنافى مع اعطاء أى دور للدول الكبرى ، بينما أصبح العرب هم الذين تتوقف قدرتهم العسكرية والسياسية على ماتريده الدول الكبرى .**

والمهم الآن أن نتذكر أن (نظرية التطويق العربى) التى عمل الجيش الاسرائيلى على أساسها دائما – قد ترتب عليها فى التطبيق ـ اجراءات كثيرة تحدد طريقة العمل داخل الجيش نفسه . ان وجود جيش محترف ، وضرورة احتفاظ هذا الجيش دائما بمستوى عال من التخصص ، قد أدى الى نتائج عديدة .. من بينها مثلا : **ضرورة الاحتفاظ بمستوى سن منخفض فى القيادات العليا بالجيش حتى تكون القيادات دائما من الشباب . لقد تم وضع حد أعلى للأعمار بالنسبة للخدمة بالجيش . خصوصا فى المراكز القيادية بحيث تكون القيادة دائما محترفة وشابة ، وبحيث تتاح لها فرصة الترقية بسرعة حتى يسمح للمواهب الجديدة بالظهور دائما .**

ونتيجة لهذا .. فان رؤساء أركان حرب الجيش الاسرائيلى

يتولون مناصبهم فى المتوسط لمدد تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس سنوات . لقد تعاقب على الجيش فيما بين عامى ١٩٤٨ و ١٩٦٧ سبعة رؤساء لأركان الحرب ، استقال أحدهم بعد سنتين ، وواحد بعد سنة واحدة ، وواحد بعد انتهاء مدة السنوات الثلاث . ان رؤساء الأركان السبعة بلغت أعمارهم ـ فيما عد اثنين منهم ـ أقل من أربعين عاما عند تعيينهم .

ان القاعدة نفسها موجودةبالنسبة لكبار الضباط . ومتوسط الأعمار منخفض نسبيا ، اذ يبلغ من ٤٠ الى ٤٤ سنة لمن فى رتبة بريجادير جنرال ومن ٣٥ الى ٤٠ لمن فى رتبة كولونيل ، ومن ٣٠ الى ٣٥ لمن فى رتبة ليفتنانت كولونيل ، وذلك فى سنة ١٩٦٦ .

ولأن هذا الكتاب يهتم أساسا بسيطرة المدنيينعلى العسكريين فى اسرائيل ـ بالرغم من الدور غير العادى الذى يقوم به «زاحال » ـ فان هناك حادثا من الماضى القريب سوف نستخدمه للدلالة على تغلب المدنيين على السلطة العسكرية .

فعندما قام الرئيس المصرى ناصر فى ٢٤ مايو ١٩٦٧ بحصار خليج العقبة .. واجهت الحكومةبرئاسة « ليفى أشكول» هذا التحدى بالدبلوماسية فى بادىء الأمر . ولكن المبادرة الامريكية بدعوة الدول البحرية للمساعدة فى رفع الحصار أدت الى مااعتبرناه كاسرائيليين كارثة دبلوماسية . ويومها طالبت الصحافة وضغط الجمهور على الحكومة من أجل القيام بعمل عسكرى . وقبل نشوب الحرب بعشرة أيام ، طالب زعماء أحزاب المعارضة ومعظم الصحف الاسرائيلية بتشكيل حكومة طوارىء يتم فيها ائتلاف جميع الأحزاب . لقد مارست المعارضة السياسية ضغطا قويا على الحكومة لفصل منصب وزير الدفاع عن منصب رئيس الوزراء (وكان أشكول يشغلهما معا) . وطالبت أيضا بتعيين موشى دايان «بطل سيناء ١٩٥٦» فى هذا المنصب . واجتمع حزب (الماباى) ـ وهو الحزب الرئيسى فى الائتلاف ـ عدة مرات .. وعارضت لجنته التنفيذية ـ وخصوصا السكرتير العام وقتها جولدا مائير ـ فى انضمام الجنرال دايان . وبعد عدة أيام من الضغط .. استطاعت المعارضة أن

ترغم زعامة الحزب على تشكيل حكومة وحدة قومية مع تعيين دايان وزيرا للدفاع .

وخلال تلك الفترة (من ١٥ مايو حتى ١٥ يونيو) لم يصدرعن الجيش وأركان حربه اى عمل يقصد به تحدى مجلس الوزراء . ان كل ما فعله الجيش .. هو الضغط على رئيس الوزراء من أجل الاقدام على عمل عسكرى ، وقام اسحق رابين - رئيس أركان الحرب - بالدعوة الى التعبئة العامة وبالرغم من أن هيئة أركان حرب الجيش كانت مستاءة من «أشكول» ولاتثق فى كفايته وتعتبره مفتقرا الى الحزم .. الا أنها ظلت خاضعة للسلطة المدنية .وحتى عندما تم تعيين دايان وزيرا للدفاع - وهو الأمر الذى كان الجيش يريده فى الحقيقة - فان هذا التعيين تم بواسطة السلطة المدنية ، وأصبح موشى دايان نفسه ممثلا للسلطة المدنية فى منصب وزير الدفاع .

وهذا التحديد الواضح لدور السلطة المدنية - بالنسبة للجيش - لم يستقر الا منذ سنة ١٩٤٨ . أما قبلها فلم تكن هناك حدود واضحة بين السياسية العسكرية ، منذ أن أنشئت «الهاجاناه» سنة ١٩٢٥ ، باعتبارها أول منظمة يهودية مسلحة فى فلسطين .لقد قامت (الهاجاناه) أولا للقيام بالاعمال المسلحة ضد العرب فى فلسطين ولحماية الجالية اليهودية فى فلسطين .. ولسنوات كثيرة .. لم تكن (الهاجاناه) محتاجة الا لكى تترك العرب يستنفدون جهودهم ضد بريطانيا ، باعتبارها سلطة الانتداب فى فلسطين . لقد اتجه التمرد العربى فى فلسطين فى البداية ضد سلطات الانتداب البريطانية ، **وكانت القيادة اليهودية تعلم أنها لو اتبعت السياسة نفسها - التى طبقها العرب ضد الانتداب - فسوف تحل كارثة باليهود ، لأنه بمجرد قهر الانتداب فسوف يقف اليهود وحدهم ضد العرب . وهكذا سعى اليهود وقتها الى الاستفادة من هذا النزاع لمصلحتهم ، بأن تركوا العرب يحاربون البريطانيين ، بينما يقومون هم بالتعاون مع البريطانيين ضد العرب .**

وفى الوقت نفسه .. قام « بن جوريون » والوكالة اليهودية

بدعوة اليهود للتطوع فى الجيش البريطانى فى صفوف الحلفاء ضد المحور . وهكذا تطوع ثلاثون ألف يهودى مع الحلفاء ليكتسبوا الخبرة منهم ، ويحصلوا على السلاح الذى استخدم فيما بعد ضد العرب والبريطانيين على السواء .

وفى مايو ١٩٤١ بدأت «الهاجاناه» فى بناء قوة فدائية هى **((البالماخ))** لتكون أول وحدة عسكرية تضم نخبة عسكرية محترفة متفرغة متخصصة فى العمليات الخاصة التى يقوم بها الفدائيون ، **والتى تعتمد على الحرب الخاطفة ، والحركة السريعة ، واحراز أكبر النتائج بواسطة أقل عدد ممكن** .. ونستطيع أن ندرك أهمية «البالماخ» بالنسبة لمستقبل الجيش الاسرائيلى بعد ذلك حينما نعلم أنه فى سنة ١٩٤٨ كان الجيش الاسرائيلى يضم ١٢ **ضابطا برتبة لواء .. من بينهم ثلاثة جاءوا من ((البالماخ)) وحوالى ٤٥ عقيداً فى تلك الفترة ، كان ٢٠ منهم من ضباط « البالماخ » وحوالى من أربعين فى المائة من الضباط فى رتب مقدم ورائد مدربين فى ((البالماخ)) ومنذ سنة ١٩٤٨ أصبح ثلاثة من قواد ((البالماخ)) رؤساء لأركان حرب الجيش وهم : موشى دايان ، واسحق رابين ، وحاييم بارليف . وفى حرب ١٩٦٧ كانت أركان حرب الجيش تضم ١٨ ضابطا ، من بينهم ١١ من ضباط ((البالماخ)) السابقين .**

ومع هـــذه الأهمية التى كانت تعطى «للبالماخ» .. الا أن «بن جوريون» باعتباره أول وزير دفاع اسرائيلى ، قرر فى سنة ١٩٤٩ حلها وادماجها فى الجيش كجزء من تحويل المنظمات المسلحة المختلفة الى جيش رسمى ، بعد اعلان قيام دولة اسرائيل .

وهنا .. نشأ أول خلاف فى الكنيسيت (البرلمان الاسرائيلى) بين بن جوريون **ومعارضيه . كان الخلاف هو : هل ننشىء جيشا شعبيا يعتمد على فرق الصاعقة والفدائيين وحرب العصابات التى تقوم بها ((البالماخ)) أم ننشىء جيشا محترفا ؟ هل ننشىء جيشا سياسيا .. أم جيشا متخصصا ؟**

وكانت الصيغة التى تم التوصل اليها هى : أن يكون الجيش صغيرا ومحترفا . ولكن مع وجود نظام ضخم للاحتياطى .. ونظام

فعال للتعبئة السريعة جدا ، ونظام دقيق لضمان ارتفاع مستوى الاحتياطى عند التعبئة العاجلة ، وتم كذلك وضع الاساس لان يقوم الجيش بمتابعة أحدث الاختراعات العلمية والتكنولوجية ، وأن يغرس روح «الهاجاناه» .. و «البالماخ» فى المجندين الجدد ، وان يساعد الجيش فى اندماج المهاجرين الجدد ، ويهتم بالزراعة ويسهم فى مجهودات المستعمرات الزراعية .

لقد كان «بن جوريون» يؤمن بأن المهمة الرئيسية للجيش هى القتال .. والهدف الوحيد له هو الانتصار وقت الحرب ، وكان يرى أن على العسكريين أن يقصروا أنفسهم على تلك الوظائف الأساسية . لقد كانت هذه هى النظرية التى أرسى «بن جوريون» أساسها باعتباره أول مدنى فى وزارة الدفاع ، وهى نظرية أدى العمل بها الى تحديد واضح للعلاقات المدنية العسكرية ، والى تفادى تضييع مجهودات الجيش فى مهام ادارية أو اقتصادية مباشرة .. مما يحدث عادة فى الدول النامية .

ومع ذلك .. فان الجيش كان عليه أن يتدخل أحيانا ، ليس للعمل كبديل عن المؤسسات الاقتصادية والثقافية ، ولكن لمجرد سد الثغرات فقط ، وفى الاحوال التى تتعلق مباشرة بكفاءة الجيش نفسه .

ففى ميدان التعليم مثلا .. كان مستوى التعليم ــ ولاسيما بالنسبة للضباط ــ يمثل قلقا عظيما للجيش .. ولكى يتم سد هذه الثغرة .. أقام الجيش مدارس خاصة ودراسات لتعليم المجندين الجدد بهدف القضاء على الامية فى الجيش . وهنا يبرز دورالنساء فى الجيش لاول مرة . ومن ناحية أخرى أسقط اقتراح بادخال تخصص عسكرى فى المدارس الثانوية ، وبدلا من ذلك أقام الجيش اكاديمية خاصة لهذا الغرض .

وفى الوقت نفسه .. قام الجيش بانشاء وحدة خاصة هى **(ناحال)** ــ أى : شباب طلائع الرواد الاسرائيلى . ومهمة هذه الوحدة .. هى اعطاء فترة قصيرة من التدريب العسكرى للشباب لكى

يتم تعيينهم بعد ذلك كمجموعات فى المستعمرات الزراعية ، التى تقع عادة فى الأماكن الحساسية على الحدود السورية أو المصرية ٠

وقد استلزم الدور الجديد أيضا . . أن يقوم الجيش بتأسيس صناعة كبيرة وبحث علمى معقد أدى الى انتاج المعدات الحربية والالكترونية التى يعتمد عليها أمن الجيش وبالتالى أمن الدولة . . ان هذه الطريقة تطورت الى صناعة الكترونات راقية ومعقدة ، وقد دعم ذلك مقدرة وزارة الدفاع على تنمية شركات الطيران والالكترونات بحيث أصبح عدد العاملين فى تلك الصناعة الحربية أكثر من عشرين الفا . ومنذ حرب ١٩٦٧ وسعت وزارة الدفاع صناعاتها الخاصة بالالكترونات والطيران والصواريخ الموجهة . كما قامت بخلق طبقة من الفنيين اللازمين لتلك الصناعات . . وفى الوقت نفسه ، فانه على مستوى الضابط العادى ٠٠ يقوم الجيش ، حيث يؤدى نظام الترقيات السرية ، والتقاعد فى سن مبكرة ٠٠ الى خروج الضابط الى الحياة المدنية مبكرا ٠ ويركز أغلبية الضباط على دراسة المهارات الادارية والاقتصادية المختلفة ، لكى يستطيع الضابط العثور على وظيفة ملائمة عندما يخرج من الجيش ٠ حيث دراسة الاقتصاد أو ادارة الأعمال أو عمليات البحث سواء بدراستها فى أسرائيل أو فى الخارج (بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا) .

وبالنسبة للعلاقة بين الجيش ووزارة الدفاع ، فقد استقرت عند مفاهيم معينة منذ سنة ١٩٤٨ . فبعد تشكيل «زاحال» أصبح لوزارة الدفاع الدور الثانى بعد الجيش ، واقتصرت مهمتها على الشراء ، وظل ضباط الجيش ينظرون الى الوزارة باعتبارها مجموعة من الكتبة والتجار . وفى الوقت الذى كان الجيش يتلقى أحسن الاهتمام ، كانت وزارة الدفاع تعانى من عدم الاهتمام ٠٠ وتتكون من السياسيين وطبقة الفنيين البارزين أمثال ليفى أشكول (أول مدير عام لها) وبنحاس سابير (ثانى مدير عام لها ووزير المالية الحالى) واسرائيل جاليلى (أول نائب لوزير الدفاع ووزير الاعلام الحالى) . وقد هجر كل هؤلاء الوزارة بعد سنوات قليلة فقط . . وهكذا اكتملت سيطرة بن جوريون باعتباره وزيرا للدفاع .

لقد عمل ، بن جوريون ، على رفع دور الجيش فوق الوزارة، فكان يترك اصدار التعليمات الخاصة بالجيش والوزارة للقادة . وبعد أن حرم على الأحزاب السياسية أن تعمل داخل الجيش ، وبعد أن أزال اليساريين من كل المراكز التى شغلوها فى الجيش ، وضع نظاما للترقيات يقوم على أساس الكفاءة لكى يتمشى هذا مع تنمية روح الاحتراف داخـل الجيش ، واصـبح برنامج تدريب ضباط الجيش يتضمن كثيرا من مبادىء تدريب البالماخ (الصاعقة) على القيادة . وأصبح بن جوريون ـ باعتباره وزيرا للدفاع وممثلا للسلطة المدنية ـ هو الذى يوافق على جميع التعيينات والترقيات ابتداء من رئيس أركان الحرب حتى رتبة ليفتنانت كولونيل (مقدم) وكان الترشيح لمنصب رئيس أركان الحرب يتم بناء على توصـية رئيس الأركان السابق ، وكذلك اللجنة الداخلية الخاصة وكبار المستشارين . أما تعيينات وترقيات كبار الضـباط الآخـرين فيرشحها رئيس الأركان ، ولكنه يعتبر سلطة نهائية فى أقل من رتبة ليفتنانت كولونيل .

واذا كان «بن جوريون» قد استطاع أن يحسم الصراع على السلطة بين المدنيين والعسكريين داخل وزارة الدفاع ، فان هـذه الأزمة تفجرت عندما استقال بن جوريون فى نوفمبر ١٩٥٣ . لقد قام بن جوريون قبل اسـتقالته باختيـار **«لافون»** لمنصب وزير الدفاع .. ولكن فى خلال شهور قليلة تجمع العسـكريون ضـده وفجروا أزمة عرفت فيما بعد باسم «فضيحة لافون» . ان هـذه الفضيحة ـ التى ظلت على درجـة عالية من السرية حتى سـنة ١٩٦٠ ـ ومازالت غامضة حتى الآن ـ تتعلق أساسا بسلسلة من عمليات التجسس والتخريب ، كان الجيش والمخابرات قد أعداها للقيام بها فى القاهرة سنة ١٩٥٤ .

كان السبب الرئيسى فى العمليات .. هو ان اسرائيل احست فى سنة ١٩٥٤ ببوادر تحسن فى العلاقات بين مصر وامريكا ، وببداية تحول السياسة الامريكية نحو القاهرة . وفى الوقت نفسـه فان السياسة الاسرائيلية كانت فى سباق مع الزمن لكى تكسب امريكا كحليف لها فى صراعها ضد العرب ، وخصوصا ضد مصر ، لهـذا

قامت المخابرات الاسرائيلية بتصميم عدة عمليات نسف وتجسس تتم فى القاهرة ضد السفارة الامريكية والمنشآت الامريكية فى مصر، بهدف القضاء مقدما على اى احتمال لتحسن العلاقات المصرية الامريكية . ولكن مصر كشفت شبكة التجسس والتخريب الاسرائيلية فى اللحظة الاخيرة واعدمت زعماءها ، وفشلت العملية فشلا ذريعا .

وأدى الفشل المدوى .. الى تحقيق سريع داخل الجيش وداخل جهاز المخابرات ، تبين بعده أن العمليات نفذت بدون علم لافون وزير الدفاع . وهنا أثار «لافون» أزمة لأنه اعتبر هذا العمل تحديا لسلطته المدنية ، ولكن المخابرات استطاعت أن تقدم وثائق مزورة ضده ، دعمها الجيش ، لكى يتم فى النهاية التخلص منه .. وهذا ماحدث فعلا ، عندما اضطر لافون الى الاستقالة .. فانتهت بذلك فترة من المنافسة بين وزير الدفاع والقيادة العليا للجيش ، وهى فترة استمرت ١٥ شهرا ، فانتهت بذلك فترة المنافسة بين وزير الدفاع والقيادة العليا للجيش وهى فترة استمرت ١٥شهرا انتهت بعودة بن جوريون من جديد الى وزارة الدفاع واستئنافه العمل مع تلميذه ـ موشى دايان ـ على تأكيد نظرياتهما من جديد بالنسبة للعلاقة بين الجيش والمدنيين .. الأول كوزير للدفاع .. والثانى كرئيس لهيئة أركان الحرب .

وبعد سنوات طويلة من الصراع .. أصبحت العلاقة المدنية والعسكرية الآن كما يلى : ان جماعة كبار الضباط فى جيش اسرائيل ليست لها أى مطامح سياسية كجماعة ، وهى تحتفظ بولائها لرئاستها المدنية . ولكن .. من ناحية أخرى .. تتمتع هذهالنخبة بنفوذ ضخم فى شئون الدفاع والشئون الخارجية ، خصوصا تلك التى تتعلق بأمن الجيش أو بضمان قدرته على النجاح فى مهمته العسكرية . وهذاالنفوذ يعتمد على أن الجيش مسئول عنالانتصار فى العمليات العسكرية .. بينما السياسة مسئولة عن توفير الموارد وخلق الظروف التى تسمح للجيش بالتصرف بحرية . لهذا فاننا نجد أنه بينما عارض «بن جوريون» مثلا **فى قيام اسرائيل بالحرب سنة ١٩٦٧ لخشيته من التدخل السوفييتى لصالح مصر .. فان**

رئيس الوزراء ووزير الدفاع وقتها ـ ليفى أشكول ـ اضطر أن يوافق على الحرب بناء على تقرير من مخابرات الجيش .. قررت فيه أن الاتحاد السوفييتي لا يمكن أن يساعد المصريين بشكل مباشر. ومع وجود عوامل كثيرة خلف القرار .. الا أن العامل الأول هو صدق تنبؤات تلك المخابرات فى الماضى .. ودقـة المعلومات التى كانت تقدمها دائما عن موقف أعدائنا العرب .

كما انه يجب الاشارة أيضا الى : انه فى ظل وزير مدنى ـ هو أشكول ـ حصل الجيش على أحسن وأغلى الاسلحة فى تاريخه كله، بينما نجـد أن وزارة الماليـة عارضت مرتين ، ضد بن جوريون وموشى دايان ، زيادة ميزانيـة الجيش . ووجـود دايان الآن فى منصب وزير الدفاع لايعنى أنه ممثل للعسكريين .. لان الذى أعاد «دايان» الى السلطة قبيل حرب ١٩٦٧ كان هو الناخب الاسرائيلى، وليس جنرالات الجيش الاسرائيلى !

ان النظرية الأساسية هنا هى : أن الجيش لا يتحرك كمجموعة سياسية ، ولكن كمجموعة متخصصة محترفة ، لذلك فان الجيش الاسرائيلى لم تكن له مطامح بالنسـبة للصراعات السـياسية فى اسرائيل . ان مايحدث فى العادة ، هو أن الجيش يتحرك فى الدول النامية للاستيلاء على السلطة ، عندما يفقد ثقته فى «السياسيين الفاسدين» . لهذا فاننا نجد أنه بينما يحتفظ الجيش بولاء ضخم لبن جوريون مثلا ، فان بن جوريون فقد نفوذه غير العـادى على الجيش عندما كون فى سنة ١٩٦٥ حزب «رافى» وانشق على الحزب المدنى الرئيسى فى الحكومة .

ولهـذا يثور الآن سـؤال .. هـو : هل اسرائيل دولة «امبراطـورية» . وبالتـالى : هـل الجيش فيها هـو جيش «امبراطورى» ؟

ان الدولة الامبراطورية تتميز اولا بما يلى :

● اولا : ثقافة سياسية وحضارية غير فعالة ويساندها الجيش . وهذا لم يحدث رغم انتصـار الجيش فى ثلاث حـروب متوالية .

● ثانيا : وجود مستوى منخفض للمؤسسات السياسية . وفى اسرائيل استقرت المؤسسات السياسية المدنية بشكل حاسم.

● ثالثا : ضعف الاحزاب السياسية أو عدم فعاليتها . وهذا لم يحدث .

● رابعا : عدم وجود هدف مشترك وتضامن ايديولوجى . وفى اسرائيل لم يؤد التوسع فى الجيش الى تهديد التفوق المدنى .

● خامسا : النقص فى روح الاحتراف داخل الجيش لتغلب الاعتبارات السياسية . وفى اسرائيل لم يحدث هذا ولم تتحالف فئة الضباط مع اية فئة سياسية ..

وهكذا فان القدرة الاستيعابية للاقتصاد ، والاستغناء عن الضباط بسرعة ، ونجاح ادماج المحاربين القدامى ، واعتمادالجيش على نظام الاحتياطى ، وتماثل الأهـداف العسكرية والقوميـة ، وتأصل روح الاحتراف فى «زاحال» .. كل ذلك يمنع الجيش من التدخل الفعال فى السياسة . وبالاضافة الى ذلك ، فان الاحساس بشرعية الهياكل السياسية المدنية .. يقدم ضمانا فعالا لسيطـرة المدنيين ، مع عدم استبعاد وجود الجيش كقوة ضاغطة .

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



الميراج ضد الميج

تأليف: بن بورا ، يوري دان

هذا الكتاب

وهذان المؤلفان

فى حرب ١٩٥٦ لم تبدأ اسرائيل فى الهجوم ضد مصر ، الا بعد ان ضمنت غطاء جويا لها من بريطانيا ، وفى حرب ١٩٦٧ لم تحارب الا بعد ان تاكدت من وجود تعليمات لدى الطيران المصرى بعدم الحرب • ومع ذلك •• فالنتيجة هى النتيجة • لقد احتسب التاريخ على الطيران المصرى هزيمتين حتى قبل أول طلقة • وكان السبب هو نفسه فى كل مرة : أن الطيران المصرى وضع فى موقف صعب من البداية • موقف الشخص الذى أحاطت السلاسل بيديه وقدميه •• لكى يتمكن شخص ثان من ضربه على راحته •

ومن الهواء •• خلقت اسرائيل اسطورة روجتها فى كل انحاء العالم • أسطورة تحاول دائما أن تقنعنا مثلا أن الطيار الاسرائيلى أكبر كفاية من الطيار المصرى ، وأن التدريب الزائد فى جانب الطيار الاسرائيلى كان يقابله تدريب ناقص فى جانب الطيار المصرى • أن هذا المنطق ضرورى بالنسبة لاسرائيل •• لكى نقتنع نحن بالتالى بأن هزيمة ١٩٦٧ كانت أمرا لا مفر منه ، وقدرا لا يمكن تفاديه • ولكن الحقيقة التى ستظل اسرائيل تخفيها ، وهذا الكتاب الاسرائيلى يخفيها ، هى : أن الطيران المصرى هزم فى الحرب •• قبل أن تبدأ الحرب !

وهذا الكتاب الاسرائيلى •• هو واحد من الكتب القليلة التى ركزت على الحرب الجوية بين مصر واسرائيل ، مع الاستشهاد بامثلة من حروب ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وهو من الكتب التى انتشرت تماما فى العالم ، مع انه حتى الآن ممنوع من التداول فى مصر والدول العربية •• والكتاب اشترك فى تاليفه صحفيان اسرائيليان• الأول (بن بورا) ، عمل مراسلا لصحيفة « يديعوت أحرونوت » الاسرائيلية فى

باريس . وهو يعيش فى اسرائيل منذ عام ١٩٤٥ ، وكان طالبا بالجامعة العبرية بالقدس ثم فى السوربون بباريس .

اما الثانى « يورى دان » .. فهو ايضا اسرائيلى عمل مراسلا حربيا لمدة سبع سنوات لصحيفة « معاريف » التى تصدر فى تل أبيب . وقد كان احد جنود المظلات الذين اسقطتهم اسرائيل خلف الخطوط المصرية فى حرب ١٩٥٦ . ومنذ سنة ١٩٦٣ وهو يعمل مراسلا لصحيفة بباريس .

* * *

فى الشـــهور التــالية لانتصــارنا فى ١٩٦٧ ـ بدأ الملحقون العسكريون الاجانب فى تل أبيب يبحثون عن اجابة بالنسبة لسؤلين اساسيين : السؤال الاول هو : لماذا قررت القيــادة العســكرية الاسرائيلية أن تبــدأ هجوم الطيران الاسرائيلى على مصر الســاعة التاسعة الا الربع صباحا بتوقيت القــاهرة ، (الثــامنة الا الربع بتوقيت اسرائيل) ؟ لماذا لم يبدأ الهجوم قبل ذلك بساعة أو بعد ذلك بساعتين مثلا ؟

والسؤال الثانى ، الذى اهتم به أخصائيو الطيران هو : كيف استطاعت الطائرات الاسرائيلية أن تحقق عنصر المفاجاة بالنسبة للطيران المصرى ، وكيف استطاعت كل طائرة أن تقوم بعدد كبير من ((الطلعات)) فى يوم واحد ؟

أما بالنسبة للسؤال الأول ـ وهو تحديد ساعة الصــفر بالنسبة لبدء الهجوم الجوى الاسرائيلى على المطارات المصرية يوم خمسة يونيو ـ فقد تم تحديده بناء على الأسباب الثلاثة التالية :

● أولا : ان مصر كانت تتوقع هجوما مفاجئا عند أول ضوء فى النهار وأن دوريات الحراسة التى يقوم بها فى كل صباح تشكيلان من الطائرات الميج ٢١ ـ منذ أعلنت مصر التعبئة العامة ـ كانت تشير بوضوح الى الســاعة التى كان المصريون يعتبرونها ســاعة القدر . وكان العنصر المفاجىء لهم من الناحية المنطقية .. هــو اختيار ساعة متأخرة قليلا عن الساعة التى كانوا يتوقعونها .

وقد ارتكب المصريون هذه الغلطة نفسها سنة ١٩٤٨ ، عندما

كانوا يرون أن الحرب يجب ان تبدأ مع أول ضوء من النهار .. وليس قبل ذلك أو بعد ذلك .

● ثانيا : كانت تقارير الارصاد الجوية الاسرائيلية .. تشير الى أن بعض الضباب ، الذى كان يغطى مدخل الدلتا ، قد لاينقشع الا حوالى الساعة الثامنة ، وكانت الرؤية اذن فى هذه الساعة ستكون افضل مما هى قبل ذلك .

● ثالثا : ان العادة جرت فى معظم القواعد الجوية المصرية ، على تقديم وجبة افطار ثانية فى الساعة التاسعة وثمانى دقائق بتوقيت مصر . وفى تلك اللحظة .. يتراخى الطيارون المصريون فى يقظتهم ، ثم يتجمعون معا فى «ميس» ويفطرون فيه .

أما بالنسبة للسؤال الثانى - المتعلق بكيفية نجاح الطيران الاسرائيلى فى أداء مهمته - فان هناك عناصر عديدة ، ومن بينها عناصر وفرتها القيادة السياسية ، وعناصر أخرى وفرتها القيادة العسكرية ، وعناصر وفرتها أجهزة المخابرات الاسرائيلية بالنسبة لدقة البيانات التى قدمتها عن الاستعدادات العسكرية المصرية .. مقابل الجهل المطلق الذى أظهرته المخابرات المصرية بالنسبة لمعلوماتها عن الاستعدادات الاسرائيلية .

ولو تركنا العناصر السياسية جانبا ، فاننا سنجد أن هناك مجموعة أسباب عسكرية ، كانت هى التى ساهمت بشكل مباشر فى انتصار الطيران الاسرائيلى فى معركته ضد الطيران المصرى خلال تلك الساعات المبكرة من خمسة يونيو سنة ١٩٦٧ . هذه الاسباب هى :

● أولا : ان برامج تدريب الطيارين الاسرائيليين التى كان يجرى تنفيذها قبل ذلك بسنوات . كانت تصر على استخدام جميع الوسائل الفنية والتكنولوجية الحديثة فى ميدان العلوم الخاصة بالطيران والعلوم المرتبطة بها . وكان التدريب الفردى على المعارك الجوية .. هو الأمر الذى كان يصدره قادة السلاح الجوى الاسرائيلى منذ نشأة هذا السلاح .

● ثانيا : ان السلاح الرئيسى ، الذى اعتمد عليه الطيران

الاسرائيلى فى حرب يونيو ، كان طائرات (الميراج) الفرنسية الصنع. وفى الواقع أن الأغلبية الكبرى للطائرات الاسرائيلية فى تلك الحرب كانت فرنسية الصنع ولم تكن جنسية الطائرات هى العامل المهم.. ولكن التعديلات التى أدخلتها اسرائيل على تلك الطائرات لعبت هى الاخرى دورا هاما .

● ثالثا : ان المصريين لم يستخدموا طائرات الميج ٢١ التى كانت فى أيديهم استخداما كاملا .. لأن طريقة عمل وتنظيم سلاح الطيران المصرى ـ قبل الخامس من يونيو ـ كانت توحى بأن هناك تأكيدات قاطعة لدى هذا السلاح بأنه لن يقاتل ، ولن يبدأ أى قتال .. وأن كل المطلوب هو اعطاء مظهر القتال .. وليس القتال .

● رابعا : الصيانة . ان الاهتمام الشديد بتنظيم وفعالية أجهزة الصيانة فى القواعد الجوية الاسرائيلية ، كان شيئا أساسيا يركز عليه كل واحد من قواد سلاح الطيران قبل ذلك بسنوات طويلة . ان هذا الاهتمام أدى الى نجاحنا ـ كاسرائيليين ـ فى اختصار المدة التى تفصل بين طلعتين للطائرة الميراج ، الى سبع دقائق فقط .. بينما المدة التى حددها مصممو تلك الطائرة اصلا هى عشرون دقيقة . لهذا .. لم يكن من الصدفة أن الطائرات الميراج استطاعت خلال الحرب أن تقوم باثنتى عشرة طلعة يوميا ، ولم تتطلب فترة محرك الطائرة سوى فترة زمنية تتراوح بين ساعة ونصف وساعتين ، وذلك بدلا من الفترة التى كانت مقررة من قبل .. وهى ١٢ ساعة .

● خامسا : عنصر المفاجأة . ان نجاح سلاح الطيران الاسرائيلى فى مفاجأة طائرات العدو المصرى على الارض .. لعب دورا حاسما فى احراز النصر . لقد ساهم فى ذلك .. دقةالمعلومات التى حصلت عليها المخابرات الاسرائيلية بالنسبة لتنظيم ومواقع وتجهيزات القواعد الجوية المصرية ، وكذلك بالنسبة للأخطاء القاتلة التى ارتكبها جهاز الرادار لدى العدو المصرى ، وبمعنى أدق .. كان أحد الأخطاء القاتلة التى ارتكبها المصريون .. هى وجود مناطق (محايدة) داخل الحدود المصرية لاتوجد فيها أجهزة رادار مصرية.

● سادسا : تسليح الطائرة الميراج ..ان سرعة الطائرة الميراج

هى ضعفا سرعة الصوت . ان هـذه السرعة لاتسمح لأى طيار فى العالم أن يحرك مدفعا ويستخدمه ضد طائرة للعدو ، تسير هى الأخرى بسرعة تفوق سرعة الصوت . ولذلك ..أصر الفرنسيون على أن السلاح الوحيد الذى لايمكن أن يخطىء هدفه .. هو الصواريخ الموجهة بالاشعة الضوئية تحت الحمراء . وأصبح على اسرائيل أن تجهز طائراتها الميراج بهذا السلاح . ولكن تسليح الميراج بالصواريخ الموجهة .. كان بذخا لاتتحمله اسرائيل ، نظرا لان ثمن الصاروخ الواحد يصل الى خمسين الف دولار . وكان البديل هو تجهيز كل طائرة ميراج بمدفعين من طراز ثلاثين ملليمترا ، وعدم استخدام الصواريخ الموجهة ، الا فى حالات الضرورة القصـوى .. ومـع تخفيض سرعة الطائرة الى الدرجة التى تسمح باستخدام المدافع. وقـد أدى التدريب المسـتمر السـابق ، الى تكيف الطيـارين الاسرائيليين مع التعديلات الجديدة ، والى حصولهم على خبرة .. نقلها الامريكيون بعد ذلك الى طائراتهم الفانتوم فى مواجهتها لطائرات الميج ٢١ فى فيتنام .

● سابعا : أما السبب السابع والأخير .. فى نجاح الطيران الاسرائيلى فى مهمته يوم خمسة يونيو ، فهو سر ظلت اسرائيـل تحتفظ به مدة طويلة ، مع أنه كان أحد الاسباب الرئيسـية فى الانتصار الجوى الاسرائيلى فى حرب ١٩٦٧ . وهذا السر العسكرى له قصة بدأت قبل أن تبدأ الحرب بسنة كاملة ، وهى قصة لعبت فيها المخابرات الاسرائيلية الدور الرئيسى .

ففى شهر اغسطس سنة ١٩٦٦ ، أى قبل بداية حرب يونيو بعشرة أشهر كاملة ، نقلت وكالات الانباء العالمية خبرا غريبا .. يفيد بأن هناك طائرة ميج ٢١ يقودها طيار عراقى ، قد هبطت ذات صباح على أرض قاعدة جوية اسرائيلية فى مكان ما جنوبى اسرائيل. وكان هذا الطيار العراقى الهارب قد غادر قاعدة قريبة من بغداد ، ثم طار فوق المجال الجوى الاردنى دون تدخل ، ونزل بطائرته فى اسرائيل سالما .. وهى عملية ظلت المخابرات الاسرائيلية تسـعى اليها قبل ذلك بوقت طويل .ان الطائرة السوفيتية (ميج ٢١)تعتبر من افضل الطائرات المطاردة . وحتى ذلك الوقت .. لم يكن يعرف

عنها سوى بعض الاوصاف السطحية التى سبق أن نشرتها المجلات المتخصصة فى شئون الطيران . لهذا .. فانها كانت صيدا ثمينا تسعى اليه اجهزة مخابرات الدول الغربية ، بالاضافة الى اسرائيل التى كانت تسعى فى ذلك الى معرفة الخصم الذى ستواجهه طائرات الميراج فى القتال .

لقد هبطت الطائرة الميج ٢١ فى اسرائيل ، وهى فى حالة سليمة تماما ، ويقدر بعض المراقبين المبلغ الذى دفعته اسرائيل للطيار العراقى بثلاثمائة الف دولار . وبمجرد أن حدث ذلك .. طلبت أربع دول غربية من اسرائيل ـ ومنها أمريكا وفرنسا ـ أن تسمح لخبراء الطيران بتلك الدول باختبار هذه الطائرة الميج . وكان الأمريكيون خصوصا يطلبون ذلك .. لأن الميج ٢١ هى خصمهم فى فيتنام . ولكن اسرائيل لم تكن تريد اغضاب موسكو .. وبالاضافة الى ذلك .. فان اسرائيل كانت تريد الاستفادة بهذه الطائرة لحسابها هى أولا . ان العمل العاجل الذى قامت به اسرائيل ، هو تدريب الطيارين على الطائرة الميج ٢١ ، بعد أن أعطتها المخابرات اسم (ميج ٧) .. وقد كتب أحد الطيارين الاسرائيليين تقريرا عنها يقول فيه :

(لقد طرنا على متن هذه الطائرة الميج ٧ قبل وقوع حرب يونيو ١٩٦٧ لمدة تزيد على مائة ساعة طيران . أنها طائرة قتال ممتازة فى الارتفاعات الشاهقة .. ولكن من أهم الاكتشافات الفنية التى قمنا بها .. هو أن طريقة الاشعال فى الطائرة الميج تقوم على أساس الاشعال بالبنزين) .

ان هـذا التقرير .. يدعو الى القول بان طيارى الميراج الاسرائيليين قد قضوا الساعات الطويلة فى التدريب على توجيه مدافعهم الموجهة الى مخزن وقود البنزين المزودة به الطائرة الميج ، وهذا يفسر لنا النسبة المرتفعة للطائرات الميج المصرية التىانفجرت وهى تطير فى الجو فوق جزيرة سيناء قبل أن يستطيع قائدها استخدام تشغيل المقعد المتحرك القاذف .

والواقع .. أن أهمية سلاح الطيران بالنسبة للتنظيم

العسكرى الاسرائيلى ، قد بدأت مع بداية الدولة نفسها فى سنة ١٩٤٨ . فمن مايو ١٩٤٨ حتى يناير ١٩٤٩ كان الطيران الاسرائيلى الناشىء ، هو الذى استطاع أن يوقف زحف المصريين فى حرب ١٩٤٨ بعد أن وصلوا الى مسافة ٣٥ كيلومترا من تل أبيب . من يومها .. واسرائيل تعطى الاهمية القصوى لتطوير وتنمية سلاح الطيران بها . وهذه الاهمية لم يستطع التعبير عنها فى الواقع الا الجنرال (تولكوفسكى) الذى عين فى ١٩٥٣ قائدا للسلاح الجوى . ان قدوم تولكوفسكى الى السلاح الجوى أحدث انقلابا فى الآراء التقليدية .. التى كانت سائدة بالنسبة للعقيدة وللاستراتيجية . وكان عليه ، ليس فقط أن يكافح ويناضل ضد عدم فهم السلطات المدنية له .. بل أيضا ضد عدم اهتمام هذه السلطات ، وعدم اهتمام رئيس هيئة أركان حرب السلاح الجوى نفسه ، بكل مايتعلق بشئون الطيران . ان (تولكوفسكى) – من خلال عمله السابق فى السلاح الجوى الملكى البريطانى .. ومن اشتراكه فى معارك البريطانيين ضد الالمان فى الحرب الثانية – تعلم عدة مبادىء بسيطة تتلخص فى النقط التالية :

● **اولا : يجب تجهيز السلاح الجوى بطائرات حديثة دائما، نظرا لان الحرب الحديثة لايمكن أن تخوضها الجيوش دون مساعدة فعالة من جانب أسراب الطائرات – المطاردة والمقاتلة – التى تحمى الأرض من أى هجوم معاد ، وكذلك أسراب طائرات قاذفات القنابل المطاردة التىتقوم بنقل الحرب الى داخل أرض العدو .**

● ان صغر مساحة اسرائيل جغرافيا .. واحاطة الجيران العرب بها .. يفرض عليها أن تضمن لسلاح طيرانها ميزتين اساسيتين : السرعة والفعالية .

● ان عنصر السرعة .. يتوقف على وجود الطائرات الحديثة جدا ، وعلى درجة تدريب الطواقم البشرية . اما عنصر الفعالية فيتوقف على الانسجام داخل سلاح الطيران ، وعلى تعدد استخدام الاجهزة .

ان المبادىء السابقة .. كان معناها البسيط فى التطبيق هو

المبدأ التالى : (يجب اعطاء الاولوية القصوى لسلاح الطيران .. وذلك داخل اطار التطوير الحديث للجيش الاسرائيلى كله ..ويجب امداد هذا السلاح بأحدث المعدات لكى يكون سريعا فيحول دون اى هجوم مفاجىء .. او يفاجىء العدو فى الوقت المناسب . لذا يجب أن تكون طائرات السلاح الجوى من (أسرة) واحدة ..وبحيث يمكن استخدام كل طائرة فى مهام عديدة .

وكان هذا المبدأ .. يفرض على (تولكوفسكى) أن يدخل فى مناقشات عديدة مع الحكومة لاقناعها بشراء أحدث الطائرات . وخلال المناقشات .. كان يطيب له أن يكرر الشعار الذى تعلمهمن عمله فى السلاح الجوى الملكى البريطانى ، وهو الشعار الذى يقول: (لايوجد سيجار يمكنه أن يتمتع بميزتين : الجودة .. ورخص السعر) لهذا فان على اسرائيل اذا ارادت طائرات ممتازة .. أن تدفع غاليا . وهذا ماحدث فعلا عندما بدات اسرائيل تحصل من فرنسا على طائرات (الميستير) قبل ١٩٥٦ . لقد وقعت الحرب بعد ان تعهدت بريطانيا لاسرائيل بتقديم غطاء جوى لها .. وفى مقابل ذلك حظرت على اسرائيل أن تجتاز طائراتها خط قناة السويس .

ومع ذلك ٠٠ فان حرب ١٩٥٦ كانت فرصة لكى يقوم (تولكوفسكى) بتطبيق نظرياته . لقد قرر مثلا . . أن تتم جميع رحلات الاستكشاف أو المساندة أو المطاردة أو القذف بالقنابل على أساس استخدام طائرتين فقط فى كل تشكيل ، بحيث ، تقوم احدى الطائرتين بحراسة الثانية عند بدء الاشتباك فى القتال ، أو تغطى انسحابها عند الضرورة . ان صيغة هذا (الزوج) الطائر تم تعميمها عند استخدام تشكيلات تضم أربع او ست أو ثمانى أو ١٢ طائرة .. كما تفعل الدول الاخرى .

وفى سنة ١٩٥٨ . عين الجنرال ((ايزير وايزمان)) قائدا للسلاح الجوى .. خلفا لتولكوفسكى . واذا كان الآخر قد ادخل مبدأ تكتيكيا جديدا ، فان وايزمان قد أكد تطبيق هذا المبدأ ، وهو الآخر قد خدم من قبل فىصفوف السلاح الجوى الملكى البريطانى خلال الحرب العالمية الثانية . لهذا .. فان وايزمان هو صاحب

شعار «ان السلاح الجوى الاسرائيلى يجب ان يضم افضل الشبان الاسرائيليين» ، وكذلك شعار آخر : «ان اسرائيل يجب حراستها من على ارتفاع اربعين الف قدم» .

وفى الأسابيع القليلة السابقة على حرب ١٩٦٧ ، كان وايزمان يصف الوزراء الاسرائيليين بأنهم مستضعفون عندما لم يردوا على اغلاق ناصر لخليج العقبة فورا . لقد وقف «وايزمان» ونزع من على كتفه الشريط الذى يرمز الى رتبته العسكرية كلواء جوى ، والقاه على منضدة رئيس الوزراء قائلا له : «انكم ــ اذا لم تهاجموا فورا .. فانكم تتجهون نحو الفناء» . ان وايزمان كان يرى أن سلاح الطيران له مهمتان رئيسيتان : المهمة الاولى هى القضاء على قوة العدو الجوية . وعندما تتم هذه المهمة بنجاح .. يمكن أن تبدأ المهمة الثانية ، وهى تقديم المعونة الى القوات البرية .

أما بالنسبة للمهمة الأولى ، فان النجاح فيها يتوقف أولا وأساسا على عنصر المفاجأة . فبالنسبة لاسرائيل ومصر مثلا .. من يقوم بالهجوم قبل الآخر .. هو الذى سيضمن جميع فرص التفوق الجوى ، وبالتالى سيضمن احراز النصر .

أما العامل الثانى بعد المفاجأة ، فهو مايسميه الفنيون «قدرة الاستيعاب» ، أى قدرة البلد على تحمل الغارات الجوية . ان هذا معناه أن على اسرائيل أن تضمن وجود جهاز دفاعى مضاد للطائرات شديد الفعالية .. جهاز يبدأ من المخبأ .. وينتهى بأحدث الاسلحة المضادة للطائرات .. بحيث نضمن فى النهاية وجود ستار دفاعى لاتستطيع طائرات العدو المصرى ــ القادمة من أربع جهات ــ أن تخترقه .

والعامل الثالث ــ فى رأى وايزمان ــ هو عدد الطلعات التى تستطيع كل طائرة اسرائيلية أن تقوم بها فى وقت معين .. بالنسبة لعدد الطلعات التى تستطيع فيها طائرات العدو العربى أن تقوم بها فى الفترة نفسها الزمنية . ان هذا العدد يتوقف على نوع الطائرات الموجودة لدى اسرائيل ، وعلى كميتها وسرعتها ومستوى صيانتها وكفاية طياريها ومواقع قواعدها .

ان هـذه العوامل الثلاثة ، التى كان يراها وايزمان حاسـمة لتحقيق النصر .. هى التى ظل يؤكدها ويعلنها منذ سنة ١٩٦٢ ، اى قبل حرب ١٩٦٧ بخمس سنوات . انه لم يكن يؤمن بالراى التقليـدى الذى يرى أن النصر يتـوقف على التفوق العـددى فى الطائرات ، بل انه كان يعلن دائما : ((ان نسبة القوى هى العامل الأخير الذى يتوقف عليه مصير المعركة . ونحن فى حاجة الى طراز من الطـائرات يسـتطيع ان يخترق نظام الدفاع المصرى المضـاد للطائرات ، وأن تقوم هذه الطائرات بغاراتها وتقذف قنابلهـا رغم الرادار .. وأن تتفادى الصواريخ الموجهة من الأرض للجو ، ومن الجو للجو . وبمعنى آخر ، نحن نحتـاج فى اسرائيـل الى طائرة سريعة تكون قادرة فى الوقت نفسه على نقل القنابل . ان الطائرة التى تحمل عشرة أطنان من القنابل .. تكون مفيـدة فقط حينما تساند القوات البرية ، ولكنها لا تكون مفيدة فى الهجوم الخـاطف السريع على أراضى العدو)) .

وعنـدما جاءت حرب الأيام السـتة فى ١٩٦٧ لتؤكد صحة آراء (وايزمان) .. كان هو قد رقى الى منصب رئيس عمليـات هيئة اركان الحرب العـامة فى الجيش ، بينما كان قائد السـلاح الجوى قد أصبح الجنرال ((موردخاى هود)) .

ان ((موردخاى هود)) كان يقول للمقربين اليه قبل يونيـو ١٩٦٧ :

((لن أندم قط على ذلك الاتفاق الشـهير الذى تم عقـده فى سبتمبر سـنة ١٩٥٦ بين بن جوريون (رئيس وزراء اسرائيـل) وسلوين لويد (وزير خارجية بريطانيـا) فى ((سـيفر)) بشـأن العمليات الجوية . لقد كان ذلك الاتفاق يضمن لنا الغطاء الجوى من جانب سلاح الطيران البريطانى ، كما انه كان فى الوقت نفسه يحرم علينا اجتياز قناة السـويس بطائراتنـا . ومع ذلك كان فى استطاعتنا أنا وزملائى ـ ونحن نقود طائرات الأوراجان والتشكيل الأول من طائرات الميستير ـ أن نقرر مصير سلاح الطيران المصرى، لولا تلك العقبة التى وضـعوها أمامنـا بتحذيرهم هـذا . وكنـا

نستطيع بسهولة نسبية ..أن نقوم بما لم ينجح السلاح الجوى الملكى البريطانى « المتغطرس » فى القيام به بصورة مرضية ، ألا وهو القضاء نهائيا على سلاح الطيران المصرى وهو جاثم على الأرض .. وكانت مصر حينئذ ستحتاج الى سنوات طويلة لكى تقوم من كبوتها بعد مثل تلك الضربة التى كنا نستطيع أن نكيلها لها » .

والواقع ان « موردخاى هود » الذى كان هذا رأيه بالنسبة للطيران المصرى سنة ١٩٥٦ . قد أصبح هو المسئول فى سنة١٩٦٧ عن تنفيذها عندما قررت اسرائيل أن تبدأ هجومها ضد مصر .

فبمجرد أن اتخذ القرار بالحرب .. بدأ السلاح الجوى — مثل باقى أسلحة الجيش يستعد لساعة الصفر . ولأن السلاح الجوى كان عليه أن يقوم بالمهمة الأولى فى الحرب ، ولأن المفاجأة كانت أهم عنصر لنجاح تلك المهمة .. فقد تم ترتيب كل شىء يؤدى الى تحقيق النتيجة المطلوبة .

فبالاضافة الى الاستعدادات المتوقعة لبدء الحرب، وبالاضافة الى الطلعات الاستكشافية المستمرة التى قامت بها الطائرات بدون انقطاع ليلا ، ونهارا ، منذ اتخذ ناصر خطوته الشهيرة بسحب قوات الأمم المتحدة .. فان السلاح الجوى الاسرائيلى قام بخدعة قصد منها خداع العدو المصرى، وتحويل نظره عن النوايا الحقيقية لاسرائيل فى حالة نشوب الحرب .

فبينما كان زوجان من طائرات ميراج الاسرائيلية تجوب بصفة مستمرة حدود غزة ، كما كانت تفعل منذ بداية حالة التوتر . قام زوج ثالث من الطراز نفسه بالتحليق فوق شرم الشيخ ، وكان هدفا لضرب مركز من جانب البطاريات المصرية المضادة للطائرات التى تمركزت فى الطرف الجنوبى من سيناء . وقد استطاعت الطائرتان أن تلتقطا صورا فوتوغرافية تثبت ان لواء مصريا قد وصل الى هذا المكان لتعزيز الدفاع عنه ، وعادت الطائرات الميراج تحلق فوق شرم الشيخ أيام ٢ و ٣ و ٤ يونيو .. مما جعل هيئة أركان الحرب المصرية تعتقد أن السلاح الجوى

الاسرائيلى يستعد لمهاجمة سـيناء من الخلف ـ من جهـة البحر الأحمر .

وكانت هناك خدعة أخرى من شأنها تضليل العدو المصرى ، وهى التى قام بها الجنرال موشى دايان ببراعة فائقة حينما أعلن يوم ٣ يونيـو فى مؤتمر صـحفى قوله : « لقـد مضى الوقت الآن وضاعت فرصة القيام برد عسكرى تلقائى .. كما لم يحن الوقت بعد لاسـتخلاص النتـائج من العمل الدبلوماسى الذى تقوم به الحكومة » .

وفى اليوم نفسه ـ السبت ٣ يونيـو ـ منح آلاف الجنـود الاسرائيليين يوما للراحة قضوه فى المدن الكبرى وفى القرى ، كمـا رقص عدد كبير من الطيارين مساء الجمعة ومساء السبت على أنغام الموسيقى فى تل أبيب . الا أن المواقع الأمامـية القريبـة من غزة والواقعة على حدود سيناء ومحطات الرادار المضـادة للطيران ، قد لاحظت عصبية غير عادية من الجـانب المصرى . فقـد تحرك لواء مصرى مدرع ليلة ٤ و ٥ يونيو فى اتجاه الحـدود ، ثم ظهر سرب جديد من طائرات الميج على شاشات الرادار عند بزوغ أول أضواء النهار وهبطت تلك الطائرات فى العريش .

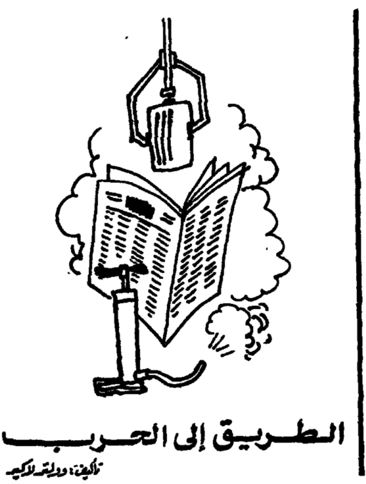
وعلى ذلك .. فخطط الخداع الاسرائيلية .. نجحت تماما فى اقناع العدو المصرى بانه لا يوجد هنـاك خطر هجـوم وشـيك الوقوع من جانب اسرائيل ، بالاضافة الى أن تحركات المصريين لم تكن تحركات حرب ، بقدر ما كانت تحركات لاعطاء مظهر الحرب .

وهكذا كان الموقف عندما أعلن الجنرال « موردخاى هود » فى تلك الليلة قائلا لرؤساء هيئة أركان الحرب : « الخطة كولومب جاهزة للتنفيذ » سـاعتها أعطى « الجنرال رابين » رئيس هيئـة أركان الحرب الاشارة المتفق عليها وهى « اذهبوا » فذهبوا .

وكانت السـاعة وقتهـا هى السابعة و ٤٥ دقيقة (الثامنة و ٤٥ دقيقة بتوقيت القاهرة) .

.. وهكذا نشبت الحرب .

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



الطريق إلى الحرب

تأليف: وولتر لاكير

هذا الكتاب

وهذا المؤلف

الفكرة الرئيسية .. التى يعتمد عليها هذا الكتاب .. هى أن الأحداث التى سبقت حرب ١٩٦٧ أكثر اهمية من احداث الحرب نفسها . ان العقلية السائدة ، والأفكار المنتشرة على جانبى خط القتال ، هى التى ادت فى النهاية الى الانتصار الضخم فى جانب ، والهزيمة الفادحة فى جانب آخر . بهذا المفهوم ، فان الكتاب يتركز أساسا ، على الأحداث خلال الأسابيع الثلاثة السابقة للحرب ، ولكنه يحلل أيضا الظروف التى حالت دون تحقيق التقدم الاجتماعى والاقتصادى فى العـالم العربى ، مع تركيز على عرض الأوضاع الاقتصادية فى مصر قبل الحرب . ومع الأهمية التى يعطيها الكتاب لعنصر المفاجأة فى جانب اسرائيل ، والضعف القيادى فى جانب العرب .. الا انه يعطى اهمية كبرى لما يسميه (الضوضاء الدعائية الهيستيرية) العربية .. وخصـوصا مصر .. باعتبارها ـ فى رأيه ـ سـببا رئيسيا أدى الى الهزيمة . ان المؤلف ـ وولتر لاكير ـ كان رئيسا لتحرير مجلة (الشرق الأوسط) التى تصدر فى لندن ، وقد أصدر من قبل كتابين ، الأول بعنوان (الشـيوعية والقومية فى الشرق الأوسـط) .. والثـانى بعنـوان (الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط) .

وهذا الكتاب (الطريق الى الحرب ـ ١٩٦٧) .. هو واحد من الكتب التى كان محظورا حتى الآن .. تداولها فى مصر والبلاد العربية .

كانت حرب يونيو ١٩٦٧ ـ بين اسرائيل والدول العربية ـ واحدة من أقصر الحروب التى شهدها التاريخ وأقلها دمارا ٠ ففى المجال الدولى لم يكن لها سوى تأثير غير مباشر ٠ ولا يزال الوقت مبكرا للغاية لكى نقرر ما اذا كانت ستعتبر نقطة تحول فى تاريخ الشرق الأوسط ٠ ولكن الشيء المؤكد ٠٠ هو أنها من أهم المواجهات فى عصرنا هذا ٠ انها تضم كافة المقومات الضرورية : التحولات غير المتوقعة والاضطرابات والنصر والمأساة ٠

اننى أريد أن أقول ـ فى هذا الكتاب ـ ان الأسابيع الثلاثة السابقة على الحرب هى أكثر أهمية من الحرب نفسها ٠ وأريد أن أقول أيضا أن ما كشفت عنه الحرب هو أكثر خطورة ٠ ان هناك قضيتين: قضية عربية ٠٠ وأخرى اسرائيلية ٠ وأنا هنا أحاول أن أؤكد ذلك بوضوح فى كافة أجزاء هذا الكتاب ٠ ان العالم العربى يعانى آلام أزمة كبرى ، بعد أن كشفت النكسة العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ عن مرض مستفحل للغاية ليس موجودا فى ساحة القتال فقط ، بل فى أجهزة الاعلام أيضا ٠

لقد قام الاعلام العربى ٠٠ بصبغ الآمال العربية بصبغة ثورية الى حد عدم القدرة على تحقيق هذه الآمـــال ٠٠ وكان لابد أن يؤدى هذا الى شـــعور بخيبة الأمل العميقــة ، بل الى الفوضى فى أغلب الأحيان ٠ لقد كان رد الفعل العربى فيما بين سنتى ١٩٤٨ و ١٩٦٧ يتسم بعدم المنطقية ، بشكل يشبه فى بعض الحالات ٠٠ الثــورة الثقافية فى الصين ٠ ان موقف الصين من العالم الغربى ، شأنه شأن العالم الاسلامى ، كان على مر القرون يتميز بالتفوق والرضا عن النفس ، حتى جاء القرن التاسع عشر وأدركت الصين فجأة أن الغرب الحقير يفوقها فى القوة الى حد كبير ، وأنه يزداد ثراء وقوة على مر الأيام ٠ لقد تغير الموقف الشرقى الى منافسة جادة ، وكان المعتقــد أنه عن طريق الدراسة والمحاكاة ، سيكون من الممكن اكتشاف ، بل تطبيق السر الخادع لقـــوة الغرب ٠ وبدلا من ذلك الموقف العربى ـ موقف الاعجاب والمحاكاة ـ قد حل محله موقف الاحتقار والرضا عن النفس ٠

لقد كانت الثورة الثقافية فى الصين ـ شأنها شأن أزمة العالم العربى ـ هى نتيجة لاستمرار الفجوة بين الطموح وتحقيق الطموح ، ومما أدى الى تفاقم الشعور باليأس فى العالم العربى ‥ هو انه لايضم ٧٠٠ مليون نسـمة ، بل لايملك قنبلة هيدروجينية ‥ والاعتقـاد الذى انتشر قبل ١٩٦٧ بان النظريات السـياسية والاقتصادية يمكنها أن تصنع ـ بنفسها ـ المعجزات .

لقد أدت هزيمة العرب العسكرية سنة ١٩٤٨ ـ الى سـقوط جيل الملك عبد الله ونورى السعيد ، وقيام جيل آخر من القادة الأكثر وطنية وتطرفا ، بل الأكثر حيوية . ولكنه كان فى الوقت نفسه أكثر مسئولية وأكثر طموحا ، بل أكثر كذبا وهيستيرية فى أغلب الأحيان . لقد انتشر بين القادة العرب ـ فى السنوات السابقة على هزيمة ١٩٦٧ ـ شعور بالاحتقـار لاسرائيل ، رددوه لأنفسـهم ولشعوبهم ‥ مما أدى الى وقوعهم فى النهاية فى (المطب) نفسـه الذى حفروه هم . ولو أخذنا هنا مثالا واحدا ، فاننى ـ كيهودى ـ سوف أختار مجلة « القوات المسلحة » لسان حال الجيش المصرى، عندما كتبت فى عدد ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٤ تقول :

« ان اليهودى ‥ بروحه وشخصيته ‥ لا يملك صـفات الرجل الذى يحمل السلاح . انه بطبيعتـه غير مستعد للتضحيـة بحياته فى سبيل أى شىء ، حتى اذا كان هـذا الشىء هو ابنه أو زوجته . فاذا كان هناك اليوم رجل فى اسرائيل يحمل السلاح ، فانه يفعل ذلك ، لأنه يعلم علم اليقين ، أن هناك رجلا آخر سيسبقه ويقف أمامه ، وليس خلفه ، للدفاع عنه عندما يحين الوقت .

واذا كانت هذه اللهجة التى تستخدمها مجلة عسكرية مصرية مع جمهورها العسكرى ، فانه على الجبهة المدنية ايضا ‥ كانت الاذاعة المصرية تؤدى الدور نفسه ـ حتى فى لحظات الازمة والتعبئة والتحدى . ففى اذاعة صوت العرب مثلا يوم ١٦ مايو سنة ١٩٦٧ ـ نجد هذه العبارات :

« يا عرب ‥ هذه تفاصـيل كاملة ودقيقـة لقوة اسرائيل

العسكرية تم الحصول عليها من مصادر تعلم تماما الحقيقة الكاملة عن اسرائيل . ان اسرائيل لديها عدد من دبابات شيرمان القديمة التي تم اصلاحها لكي تلائم ماكينات الديزل والمدافع الفرنسية عيار ١٠٥ ملليمترات .. وتستطيع اسرائيل وقت الحرب .. أن تعبئ خلال ثمان وأربعين ساعة ٢٥٠ ألف جندي للقيام بواجبات الحراسة في الداخل ، ولكنهم لن يستطيعوا الاشتراك في المعارك التي تتدخل فيها الجيوش النظامية » .

ان هذه النظرةالسيكولوجية العربية قبل ١٩٦٧ كانت مزدوجة، وكانت متناقضة في ازدواجيتها . فبينما كان الشعور باحتقـــار اسرائيل ـ كعدو ـ متأصلا .. فانهم كانوا ينظرون الى اليهـودي باعتباره متمتعا بنفوذ واسع النطاق ، فهو يدير الأمور خفية في العالم الغربي بفضل مايتميز به من دهاء بالغ واتصالات واسـعة النطاق وموارد هائلة .. لقد كان اليهودي ـ في نظرهم ـ وراء كنيدي ، بل وراء عملية اغتيـــاله أيضا ، وعموما .. فان له يدا في جميع الفضائح ومظاهر الفسـاد في العالم .

واذا كان هذا يصدق على العرب بصفة عامة ، فانه يصدق على مصر بالذات . وبعد حرب ١٩٦٧ ـ أدرك المصريون ان دعايتهـم وتصورهم لليهود كان خطأ تكتيكيا فادحا ، اعلاميا ونفسيا ، ولكن الوقت كان قد فات والكارثة كانت قد وقعت فعلا ، دون أن يأخذ العرب درسا على الاطلاق من هزيمة ١٩٥٦ .

اننا لو أردنا أن ندرس أسباب حرب ١٩٦٧ ، أسبابها كهزيمة فادحة بالنسبة للمصريين .. وأسبابها كانتصار ضخم بالنسـبة للاسرائيليين .. فان علينا في الواقع أن ندرس السنوات بين ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . ان دراسة أسلوب تفكير وتصرف وعمل الطرفين خلال تلك ال ١١ سنة الفاصلة .. هو الذي جعل بعد ذلك الطريق مفتوحـا الى كل من الهزيمة الفادحة والانتصار الضخم . لقد كانت الأخطاء التي ارتكبهـــا العرب في تلك الفتـــرة .. هي مزايا في جانب الاسرائيليين ، كما كانت الدروس التي استفادها الاسرائيليون .. هي

بدورها أوجه نقص فى العرب عندما حانت اللحظة المناسبة للتحدى فى سنة ١٩٦٧ ٠

لقد دخلت اسرائيل حرب ١٩٥٦ باتفاق سابق مع بريطانيا وفرنسا ٠ واذا كانت المظلة الجوية البريطانية الفرنسية فى تلك الحرب قد جعلت مهمة اسرائيل أكثر سهولة ٠٠ الا أن العلاقة بين الدول الثلاث قد أدت ـ من الناحية السياسية ـ الى تشويه العملية بأكملها ، الأمر الذى أضر بالمصالح الاسرائيلية ٠٠ فمن الناحية العسكرية كان النصر العسكرى الاسرائيلى مؤثرا ٠ ولكن ، لما كان هـذا النصر قد تحقق بالتواطؤ مع فرنسا وانجلترا ، فقد كان باستطاعة ناصر أن يقول ـ بطريقة مقبولة ظاهريا ـ ان مصر كانت تستطيع أن تهزم اسرائيل لولا التدخل الانجلو فرنسى ٠ وعلى ذلك ٠٠ فان الدرس العسكرى لم يكن قاطعا على نحو ما كان الاسرائيليون يأملون ٠ واذا كان الاسرائيليون قد خرجوا من حرب ١٩٥٦ وهـم يعلمون أنهم انتصروا عسكريا وهزموا سياسيا ، فان مصر خرجت وهى تعلم ـ انها انتصرت سياسيا ٠٠ وتتصور أنها انتصرت كذلك عسكريا ٠

اننا ـ كيهود ـ نعلم أن اسرائيـل لم تجن حتى عام ١٩٥٦ سوى فترة راحة ٠ غير ان اسرائيل استطاعت أيضا أن تخرج منها بدروس مستفادة سرعان مابدأت فى تطبيقها ٠ وبالاضافة الى العمل السياسى والعسكرى ، فقد كانت هناك أيضـا حالة من الرخاء الاقتصادى ، وكثرت السيارات الجديدة التى تزحم المواصـلات ، وأصبح مالوفا للكثير من الاسرائيليين القيام برحلة الى الخارج كل سنتين أو ثلاث سنوات ، وزادت معدلات النمو الاقتصـادى وزادت الصناعة ـ فى عام ١٩٦٢ مثلا بنسبة ١٣٪ عنها فى العـام الذى سبقه ٠ وحتى فى الزراعة ـ حيث التقدم بطىء للغاية ـ أمكن النهوض بها بنسبة ٨٪ ، وارتفع انتاج البيض بدرجة كبيرة ، بحيث أصبحت اسرائيل تصدر كميات كبيرة منه الى أوربا ، بالاضافة الى الفواكه والخضروات ٠

ولكن الصورة ، فى الواقع ، لم تكن مشرقة تماما ٠ لقـد

ارتفعت مستويات المعيشة بدرجة أسرع من الانتاجية ، وكانت البلاد تعيش نموا يتجاوز مواردها ، ولم يكن التقدم الاقتصادى متناسقا ·· فقد كان هناك سوء تقدير خطير فى بعض الميادين ، وكان عدد المتعطلين يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ ألف ، وهى نسبة عالية للغاية من أجمالى الأيدى العاملة ·

وبالاضافة الى ذلك ،فقد أحدثت المشكلات السياسيةوالاجتماعية المزيد من الاهتمام · ففى مجال السياسة الاسرائيلية ·· كان الميل نحو الانقسام والتفكك يتقدمبمعدل يدعو الىالانزعاج . وقدأصبح المثل القديم الذى يقول « ان وجود ثلاثة يهود ـ معناه وجود أربعة أحزاب سياسية ـ قريبا جدا من الحقيقة · لقد حدث انشقاق فى صفوف حزب الماباى .. وكذلك حزب حيروت ، بل الحزب الشيوعى أيضا ·

وهناك أيضا استياء وضجر متزايد بين الجيل الصغير ، نحو الجيل الأكبر من القادة ـ الجيل العتيق من اليهود الذين جاءوا من أوربا الشرقية . ومما أكد هذه الفجوة هو أن سياسيى المدرسة القديمة لم يبادروا فى سرعة بأن يفسحوا مجالا للجيل الجديد . انزعجوا من افتقار هذا الجيل للمثل والمبادىء التى كانت فى أغلب الأحيان تصل الى حد السخرية السافرة ·

ومن الممكن أن نستطرد فى ذكر نواحى القصور والفشل ، ولكننا ـ كيهود ـ يجب أن نعلم ·· ان ما حققته اسرائيل وما فشلت فى تحقيقه ، يجب أن يقاس على ضوء ما حققته الدول الأخرى · فاسرائيل ـ بسكانها البالغ عددهم مليونين ونصف مليون ، كان اجمالى انتاجها القومى فى سنة ١٩٦٧/٦٦ يتساوى مع اجمالى الانتاج القومى لمصر التى يبلغ تعدادها ٣٠ مليونا .

وفى مقابل ذلك ، فلو أخذنا مصر فى فترة ما بين الحربين (١٩٥٦ و ١٩٦٧) فسوف نجد صورة أخرى ·· لقد خاضت مصر ثورتها الاجتماعية ، واختفت الطبقات الحاكمة من الباشوات وأتباعهم ، وحلت محلهم الطبقة الجديدة من صغار الضباط

والتكنوقراطيين . وقد أصبح من العادى أن يحصل معظم الضباط على وظائف مدنية . وأصبح « صوت العرب » من العناصر السياسية الكبيرة فى كافة أرجاء الشرق الأوسط .

ومما لا جدال فيه .. أن الطبقة الجديدة كانت صادقة فى رغبتها فى تحقيق الانتعاش القومي والاصلاح الاجتماعي ، وكان بعض أعضاء هذه الطبقة من الرجال القادرين .. على حين كان البعض الآخر من الفاشلين . ولكن بصرف النظر عن الانجازات الضرورية، فقد فقدت الطبقة الجديدة تدريجا .. مثاليتها والاحساس المشترك فيما بينها . لقد بدأت تؤيد الأمر الواقع ما دامت امتيازاتها التى تتمتع بها فى ظل النظام الجديد لم يمسسها أى ضرر ، وساعد على ذلك .. أن البوليس السرى أصبح يشكل دولة داخل الدولة ، وهو جهاز لا يستطيع بطبيعته أن ينحرف فى مجتمع مفتوح ، ولذلك فلا بد له دائما من مجتمع مغلق ، بحيث أصبح رئيس الدولة نفسه هو مثلا الذى يقدم الكثير من الصحف ، وهو وحده الذى يعلم حقيقة ما يجرى .

ولكن مع ذلك .. فان الخبراء الاقتصاديين فى مصر ، لم يكونوا راضين تماما عن الأوضاع الحقيقية فيما وراء الأرقام والتصريحات الخلابة عن الانتصارات الجديدة فى الجبهة الاقتصادية .

ان هذه الأشياء لم تتضح الا بمضى السنين ، ولم تظهر اضرارها الا بعد أن وقعت فعلا . وعموما .. فقد كان عام ١٩٦٠ هو أوج الناصرية ولكن فى العام التالى مباشرة — ١٩٦١ — بدأ المد ينحسر . ففى شهر سبتمبر انفصلت سوريا عن مصر ، وفى العام التالى اشتعلت الحرب الأهلية فى اليمن ، وتدخل ناصر بستين ألف جندى فى حرب ضروس . وبدأ العالم الثالث فى التفكك .. فقد توفى نهرو واختفى كل من بيللا ونكروما وسوكارنو ، وبدأت تنمو معارضة متزايدة للناصرية .. حتى داخل العالم العربى .

وفى الوقت نفسه — وبرغم العلاقات الوثيقة بين مصر والاتحاد السوفيتى — فقد كانت لا تزال هناك علاقات طبيعية بين مصر وأمريكا،

رغم انها لم تكن علاقات ودية . وقد جاءت نقطة التحول في عـــام ١٩٦٤ . ولم يكن هناك سبب معين واضح لهذا التدهـــور الذى لم يحدث فجأة . لقد كانت حرب اليمن أحد هذه الأسباب . وبالرغـم من ان أمريكا كانت واحـــدة من بين الدول الأولى التى اعترفت بالنظام الموالى للناصرية هذا ، فقد أيدت أيضا السعوديين المؤيدين للملكيين في اليمن . وقد وقعت عدة حوادث صغيرة أوضحت أن المصريين قرروا اثارة الامريكيين على قدر الامكان . فقد احرقت الجماهير المكتبة الأمريكية فى القاهرة . ولم تسارع فرقة المطافىء التى تقع على مقربة من مكان الحادث عبر الطريق ـ الى التدخل . وأسقطت طائرة مدنية أمريكية .. وكانت السلطات المصرية بطيئة حتى فى تقديم الاعتذارات التى تتميز بعدم الاكتراث . وبالاضافة الى ذلك .. كان هنـــاك تردد متزايد فى أمـــريكا لتقـــديم ـ أو الاستمرار فى تقديم ـ مساعدة اقتصادية الى مصر . وقد ادى هذا الى اثارة غضب القاهرة بدرجة كبيرة .

أما بالنسبة للعالم العربى فى فترة ما بين الحـــربين (١٩٥٦ و ١٩٦٧) فقد كان هناك غليان لم يسبق له مثيل . فاذا بدأنـــا بسوريا .. فاننا سنجدها على الدوام أكبر البلدان تطرفا . وتعتبـــر الانفعالات السياسية فى سوريا أكثر حدة منها فى البلدان العربيـــة الأخرى وأكثر تعصبا . ذلك أن السوريين ـ على عكس المصريين ـ لا يشتهرون بروح الفكاهة . ان سوريا بلد يتسم بالتعاسة . لقد عاشت عدة انقلابات عسكرية خلال تاريخها القصير أكثر من أى بلد عربى آخر . والاحتكاك بين الجماعات الدينية والعنصرية لا يزال له أكبر الأثر على الحياة السورية .

وعموما .. فان العالم العربى ـ بل العالم كله ـ كان يشهد تصعيدا فى حدة المشاكل القائمة ، بحيث عندما وصلنا الى ســـنة ١٩٦٧ كان ربيع تلك السنة قد يصبح أكثر خطـــورة من أى عام سابق . لقد صعدت أمريكا حربها فى فيتنام .. وأصبح هناك خوف من أن يكون صيف ١٩٦٧ أكثر سخونة من الصيف السابق . وكان للاتحاد السوفيتى هو الآخر مشاغله الخاصة . لقـــد تتابعت تلك

التطورات العالمية فى بداية تلك السنة ، بحيث أصبح من الصعب - ان لم يكن من المستحيل - تحقيق التقدم بالنسبة لأية قضية على الاطلاق .

وفى مايو ١٩٦٧ - كانت كافة العناصر التى تحتم اندلاع الحرب فى الشرق الأوسط قد اصبحت موجودة ومؤثرة ، وأصبح هناك مزيد من التوتر لم يسبق له مثيل بين سوريا واسرائيل انضمت اليه مصر ، وسرعان ما بدأت الأحداث المعروفة من طلب مصر سحب قوات الطوارئ الدولية ، الى اغلاق مضيق تيران .

ولقد نشبت الحرب فى شهر يونيو .. نتيجة لسلسلة من الحوادث بدأت قبل ذلك الموعد بثلاثة اسابيع ، انها حالة تنطوى على الكثير من الشواهد التى تنم عن التصعيد .. ذلك ان حادثة تعود الى أخرى ذات نتائج مؤكدة .. كما أن التقديرات بدت أكبر مما كانت عليه فى الماضى ، فضلا عن أن الارتجال والمصادفة قد لعبا دورا كبيرا ، كما ان التصريحات سرعان ما بدأت تتسابق لتصعيد الموقف من كلا الجانبين .

ولكن المشكلة على الجانب العربى .. كانت الضوضاء الهستيرية التى تصبح ضارة من النقطة التى يبدأ فيها أصحابها فى تصديقها ؛ لأنها تدل على حالة نفسية سرعان ما أدت الى نتائج مادية فى ساحة القتال .

واذا كان أسلوب الاذاعات وأجهزة الاعلام العربية - وخصوصا المصرية - فى تلك الأسابيع الثلاثة ، اذا كان قد بدا ناجحا وقتها .. فانه نجح لأن المستمعين أرادوا أن يسمعوا دعاية من هذا القبيل ، وهى الدعاية التى خاطبت مشاعرهم أكثر من الاسلوب الغربى ، (أو حتى السوفيتى) غير العاطفى . ويتعين اجراء دراسة خاصة حول مسئولية اذاعة القاهرة فى الكارثة التى حلت بمصر عام ١٩٦٧ . لقد كان هذا النوع من الدعاية هو مصدر قوة ظاهرية ، ومصدر ضعف حقيقى على السواء . وقد أمكن ادراك ذلك - ولكن بعد أن وقعت الهزيمة العسكرية .. فان مجلة (المصور) المصرية قالت

بعد الهزيمة مثلا ٠٠ (لقد كنا نقول أشياء لم نكن نعنيهـــا على الدوام ، ومن ثم عادينا كذلك أصدقاءنا) ٠٠ ومما لا شك فيه أن هذا صحيح ، الا أن عمل استقصاء حول آثار هذه الدعاية لايتعين أن يكون محدودا فى اطار الأثر الذى أحدثته فى الخارج ٠ لقد وقع تأثيرها أساسا على العرب ، ومن ثم كان أصحاب الدعاية هـم أولا وأخيرا ضحاياها ٠ لقد أدت تلك الدعاية الى اثارة توقعاتهـم الى النقطة التى يجب عندها أن تتحقق الوعود ٠ لقد أدت مثل تلك الدعاية الى تقوية الميل الداخلى لكثير من العرب نحو خداع أنفسهم٠

ان العرب يتمتعون بكثير من الصفات الجذابة (التى يفتقـر اليهود الى بعضها) ، فهم يتمتعون بمقدرة تكاد تكون غير محدودة على أن يؤمنوا بما يريدون أن يؤمنوا به ٠ ان هذه السمة من سمات الشخصية العربية لا يمكن التأثير عليها بقوة ٠ انهـــا توضح كل مايتعلق بنشوب الحرب وماخلفت من آثار ٠ ذلك أن الدعاية التى كانت تنبعث من القاهرة ودمشق وبغداد ، كالسيل المنهمر حول ما يتميز به العرب من ثقافة وتقدم اقتصادى وقوة عسكرية ٠٠ قد قبلت بحماس لأنها تتفق والحاجة العاطفية لشـــعب أبى ٠٠ تلك الحاجة التى قويت بدرجة كبيرة فى كثير من الاعتبـارات فى القرون الأخيرة ، ولكنها لم تستطع أن تتمشى ومكانتها فى العالم الحديث، وانما كانت تشعر باستياء تجاه هـــذا العالم ٠ ومن هنـــا جاءت الحاجة الى خلق عالم خيالى ٠٠ حيث يمكن حل كافة المشـــــكلات الهائلة التى يتعرض لها العرب ٠ وفى ظل هذا العالم الخيالى يمكن بناء المشروعات الصناعية فى وقت قصير للغاية ، كما يمكن كسب المعارك دون أية خسائر ، والقضاء على الأعداء ٠٠ ففى هذاالعالم الخيالى لا توجد مقاومة ولا توجد عقبات ٠٠ وقد أدت هـــذه الدعاية الى خلق التخيلات بين العرب حول قوتهـــم ودعمت ميلهم ـ الذى كان قويا على الدوام ـ الى تجاهل الحقائق غير المرضية ٠ وفضــلا عن ذلك ٠٠ فان هذه الدعاية لم تؤثر على الجماهير فقط ، وانمـــا أثرت فى المدى الطويل على القادة أنفسهم ، وانعكس ذلك بالطبع على آرائهم ، وعلى ما يصدرونه من أحكام ٠

ومثلما كان للدعاية العربية فى ١٩٦٧ أثرها على العرب أنفسهم ، فان المشكلة كلها ، حتى نشوب الحرب فعلا ، كان لها أثر عميق على الرأى العام فى جميع بلاد أوربا وأمريكا ٠٠ ولم يحدث منذ الحرب الأهلية الأسبانية ان كانت المشاعر منقسمة بمثل ما حدث فى الأسابيع الثلاثة السابقة على خمسة يونيو ١٩٦٧ ٠٠ ذلك ان هذا النزاع أصبح لفترة من الزمن مسألة داخلية خطيرة فى فرنسا وايطاليا ، بل كانت هناك مشاهد عاصفة داخل البرلمان الهندى ٠

ان وضع تحليل دقيق للرأى العام - ابان الأزمة - فى عدد من دول العالم لا يمكن أن يتم الا فى صورة كتاب قائم بذاته ، بل ربما سلسلة من الكتب ، ولكن الاتجاهات العامة ظهرت وقتها بوضوح حتى من خلال عمليات البحث السطحية ٠

لقد تلقى ناصر والسوريون تأييدا كبيرا ، بل متحمسا فى أغلب الأحيان من جانب العالم العربى وشمال أفريقيا والعالم الاسلامى ٠٠ أما خارج نطاق هذه الدائرة ، فكانوا ينعمون بالبركات الرسمية من الكتلة السوفيتية والصين وبعض دول آسيا وافريقيا ٠٠ أما اسرائيل فقد كان هناك عدد كبير من المتعاطفين معها فى اوروبا والأمريكتين ، بالاضافة الى عدد أقل فى أجزاء من آسيا وأفريقيا ٠

ان هذا السرد لتطورات الأزمة ينتهى صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ ٠٠ وان أزيز طائرات الميستير والميراج التى أخذت ترتفع من المطارات الاسرائيلية ، يمكن أن يزود أحد المخرجين السينمائيين بنهاية دراماتيكية ٠٠ فى حين أن هذه النهاية غير مرضية من وجهة نظر المؤرخ للأحداث ٠٠

ولكن ، من الواضح أنها النهاية القاطعة لهذه الدراسة ، اذ أن ذلك اليوم قد شهد سلسلة جديدة من الحوادث لم تظهر نهايتها فى الأفق بعد ٠٠ فقد حجبت الحرب والنصر الاسرائيلى السريع الفترة التاريخية التى سبقت النزاع ، فترة المخاوف

والشكوك والتردد ·· ولكن من الأشياء التي سرعان ما أصبحت في طي النسيان ، ذلك الارتباك والقرار المشئوم الخاص بفترة التأهب للقتال ·

لقد أدت الحرب الى تغيير نظرة الجميع الى الأزمة التي سبقت الحرب ·· وكذلك فانها القت أضـــواء ضخمة على سياســة الحكومة الاسرائيلية ، الى درجة أن التردد أصبح يبدو وكأنه أمر مقصود وحتى الاخطاء أخذت شكل المناورات الروتينية ·· وفى الواقع انة ــ برغم كل تصور ــ فان نتيجة الحرب كما نعرف جميعا الآن ، لم تكن قط موضع جدل . ويحتمل الا تكون النتيجة قد تغيرت كثيرا لو أن الحرب قد نشبت فى الخامس والعشرين من مايو أو فى الخامس عشر من يونيو ·

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



العرب وإسرائيل

تأليف: تشارلز [illegible]

هذا الكتاب

وهذا المؤلف

يقوم هذا الكتاب على نظرية أساسية ، هى أن الأزمة بين اسرائيل والعرب هى أساسا مشكلة سياسية ، ولا يمكن حلها عسكريا • وما دام العرب ـ منذ ١٩٤٨ حتى الآن ـ لم ينفذوا فعلا اية حلول عسكرية ضد اسرائيل ، فمن المفهوم ان المؤلف يقصد بمنطقه هذا •• ان يدحض الأساس الذى يعتمد عليه التفكير الاسرائيلى • ان المؤلف يقول فى الكتاب بصراحة : ان اعتماد التفكير الاسرائيلى على استخدام الحلول العسـكرية فى كل مرة ، هو امر لا يحل فى النهاية اى شىء ولا يغير اى وجه من أساسيات المشكلة •

واذا كانت هذه تعتبر نقطة ايجابية فى تفكير المؤلف ، فان هناك نقاطا اخرى كثيرة يختلف فيها المؤلف مع تفكيرنا تماما •

ان المؤلف هو « تشارلز دوجلاس هيوم » وهو انجليزى قام بتغطية اخبار حرب ١٩٦٧ صحفيا باعتباره مراسلا حربيا لصحيفة « التايمز » البريطانية • لقد وصل الى اسرائيل قبل نشوب الحرب باسابيع قليلة ، واستمر هناك الى انتهاء الحرب •

وفى تحليل المؤلف لأسباب حرب ١٩٦٧ ، فانه يقول ان شيئا ما لم يكن ليوقف اسرائيل عن الهجوم •• اللهم الا ان تعلن امريكا وبريطانيا انهما سوف تساندان العرب ، وهو الأمر الذى يرقى الى مرتبة الاستحالة من الناحية السياسية •

ومع وجود خلافات كثيرة مع النتائج التى انتهى اليها المؤلف فى فصول الكتاب الا ان المؤلف فى كتابه هذا •• يمثل نموذجا للاسـلوب البريطانى فى تحليل مشكلة فلسطين ومشكلة الوجود الاسرائيلى فى الشرق الأوسط •

منذ قيام دولة اسرائيل فى مايو ١٩٤٨ نشبت حروب ثلاث بينها وبين جيرانها العرب ، ومع انتهاء كل حرب .. كان انتصار اسرائيل العسكرى أكثر مضاء من سابقه ، وهزيمة العرب أشد اذلالا من سابقتها ، ومع ذلك .. فليس هناك ما يدل على أن جيل المنازعات هذا قد ولى وانتهى .

ولقد ترتب على كل حرب موقف متغير . فالحرب الاولى تمخضت عن قيام اسرائيل ، والثانية دعمت مركزها ، أما الثالثة (١٩٦٧) فقد حققت لها امبراطورية ، غير أنه ليس هناك ما يدل على وجود نهاية لكل هذا ، أن الشك فى النوايا الطيبة من كلا الجانبين .. والشعور بتغير ميزان القوى .. كلها اتجاهات مالوفة فى الفورة الأولى لفترة ما بعد الحرب ، ثم لا تلبث تلك الاتجاهات ان تنوب وتتفتت تدريجا على صخرة المستحيلات السياسية فى الموقف العربى .

وان المشكلة بين اسرائيل والعرب هى مشكلة سياسية .. بلا حل عسكرى . لقد واتت الشرق الأوسط فرص أكثر دما واتت غالبية المناطق الأخرى فى العالم لكى يكتشف بصفة قاطعة .. انه لا يمكن حل المنازعات بمجرد استخدام السلاح .

واذا كان النزاع بين العرب واسرائيل أكثر من مجرد صدام بين جيوش متصارعة ـ أو حتى بين مجتمعات متصارعة تدعمها قوات عسكرية ـ فماذا عساه أن يكون اذن .

لعل من الضرورى ، استبعاد الاعتقاد الحالى بأن هذا النزاع مظهر آخر من مظاهر العداء للسامية من ذلك النوع الذى قد يجده المرء فى نوادى الجولف البريطانية أو الأمريكية . انه ليس بالتحديد نتاجا لنفور عنصرى بين العرب واليهود ، فتاريخ الجماعات اليهودية فى العالم العربى ليس على نصف بشاعة تاريخها فى المجتمعات المسيحية أو الشيوعية فى أوربا . ومن الانصاف أن نقول بان الجاليات اليهودية انتعشت حضاريا وتجاريا فى جو تسوده درجة كبيرة من الأمن فى العالم العربى ، خلال العشرين قرنا

الأخيرة وهو ما لم يتوافر لها في أوربا · ومهما قيل بشأن حل مشكلة اندماج اليهود في المجتمعات الأوربية ، فليس لهذا أية علاقة بمشكلة فلسطين ؛ لأن اختيار الصهيونية لفلسطين اعتمد على أن الشرق الأوسط يستطيع أن يمتص عنصرا جديدا تماما دون حدوث مضاعفات شديدة ·

لقد أصبحت اسرائيل تملك الآن كلا من القوة والقدرة على أن تبقى وسط منطقة معادية لها ، ولكن ليس لديها القوة ولا القدرة على تغيير هذا العداء دون أن تغير هي الأخرى نفسها · والنقطة التى أريد أن أوضحها ·· هى أن اسرائيل التى كانت العنصر اليهودى في المسألة الفلسطينية ، قد تخطت مرحلة التبعية وأصبحت العنصر الأقوى فى مستقبل فلسطين ·

انها اذن مشكلة جغرافية أكثر مما هي مشكلة عنصرية · ذلك أن النزاع فى الشرق الأوسط اصبح قائما الآن بين دول ذات سيادة، وليس بين ممثلين لأجناس مختلفة ؛ لهذا السبب ·· فان حل المشكلة العربية الاسرائيلية لا يكمن فى حل مشكلة اليهود عالميا ، وانما يكمن اكثر فى تحقيق توازن اقليمى محلى بين دول الشرق الأوسط واسرائيل واحدة منها ·

ولقد تحقق توازن اقليمى بين القوى فى المنطقة · ومع انه حدثت تغييرات وربما تحدث تغييرات أخرى ، فان النقطة الجوهرية هي أن التوازن يعكس تركيب القوى المحلية ، ولا يتأثر بدرجة خطيرة بأية قوى خارجية ·· ولا يمكن لأى حل الآن أن يتضمن الرجوع الى الموقف الذى كان سائدا حينما كان شعب آخر مسئولا عن المنطقة ــ أى قبل عام ١٩٤٨ ــ والا كان معنى ذلك المطالبة باعادة انتداب بريطانيا ·· أو مطالبة الأتراك بالعودة أو حتى مطالبة الرومان بأن يفعلوا ذلك · ان المرء لا يستطيع أن يوسع نطاق بحثه لمشكلة ما ·· أكثر من الاطار الذى تدور خلاله الأطراف الراهنة للمشكلة ·· ان سلطتنا فى المنطقة انتهت بانتهاء مسئوليتنا فيها ، ومعها تلاشت قدرتنا ·

والقضية فى الواقع ، ليست قضية الوجود الاسرائيلي فى حد ذاته كسبب للنزاع • ولكن هذا الوجود يساعد على خلق ظروف يجدها العرب غير محتملة • فلو أن اسرائيل قامت كدولة عربية ، لما كان هناك نزاع •• اللهم الا بين اسرائيل والأردن حول استعادة تلك المناطق من فلسطين التى ضمتها الأردن بعد حرب ١٩٤٨ •

لقد انتهت حرب ١٩٤٨ بتسويات مؤقتة للحدود وباتفاقيات للهدنة ، مما جعل هـذه الحدود تصبح بعد ذلك مصدرا للنزاع المستمر ــ والواقع أن مشكلة الحدود كانت مجرد تعبير عن نزاع سياسى أعمق وأوسع بين الطرفين ، ولأن خطوط الهدنة كانت حقا غير منطقية وفى بعض الأحوال غير عملية بالمرة ، فانها سهلت للعرب التعبير عن استيائهم السياسى العام . لقد كانت حوادث الحدود فيما بين سنتى ١٩٤٨ و ١٩٦٧ هى دائما العملية التى يعبر بهـا العرب عن استيائهم ، كما انها أيضا كانت تعبيرا غير مباشر عن عدم قدرتهم على القيام بأى ضغط فعال على اسرائيل ــ وهو تعبير ان دل على شىء فانما يدل على خيبة أمل •

ومن ناحية اخرى •• كانت اسرائيل من حين لآخر ــ تكيف استراتيجيتها وفق اسلوب عسكرى منعزل تمامـا عن العوامل السياسية الأخرى ، يدفعهـا فى ذلك شعور بالثقة فى تفوقهـا العسكرى • وتجدر الاشارة هنا الى فقرة كتبها الجنرال « موشى دايان » رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلي سابقا ووزير الدفاع الآن ، تناول فيها سياسة الردع الاسرائيلية ؛ لأنه يكشف فى هذه الفقرة عن عدم المرونة ازاء مثل هـذا الوضـع • واذا كانت الاستراتيجية تدل على شىء ، فانما تدل على الافتقـار الأساسى الى العمق فى الفكر العسكرى • ان ضرب فيتنام الشـمالية بالقنابل الأمريكية يقوم أساسا على مبدأ رفع ثمن العدوان فى مصـدر العدوان . وهذا بالضبط موقف اسرائيل العسكرى ، دون أن يدل ذلك على أى أمل قائم فى ايجاد حل لمشكلة أمن الحدود •

يقول دايان فى كتابه ((حملة السويس)) مفسرا سياسة الردع:

« كان الهدف هو أن نبين للعرب انه بينما قد تعجز اسرائيل

عن حماية حياة كل سائق جرار يحرث بالقرب من الحدود ، أو أن تمنع بث الالغام بالقرب من طريق قرية .. فان الدولة المسئولة عن المخربين لن تفلت من العقاب .. وعندما تقوم قوة اسرائيلية بعمليات داخل الأرض العربية دون أن تتمكن الجيوش المحلية من أن تتحداها تحديا جديا ، فان الفشل العسكرى للدول العربية يفتضح علنا أمام شعوبها . وهكذا ، فانه بدلا من أن يرتفع شأن الأنظمة العربية .. فان النتيجة النهائية لأعمال الفدائيين هى اهتزاز ثقة الشعوب بتلك الأنظمة وبقواتها المسلحة » .

ولقد احسنت بريطانيا للصهيونية احسانا كبيرا ، ومع ذلك فربما تكون قد أساءت للعرب اشد الاساءة .. وربما ألقى هذا على بريطانيا مسئولية أكبر لبذل مساعيها الحميدة ، وأن تفهم أن جانبا ضخما من متاعب هذا النزاع يقع عبؤه عليها . بيد أنه لم يكن العرب من الضعف بحيث تستطيع اسرائيل أن تحطمهم .. كما انهم لم يكونوا من القوة بحيث يدمرون اسرائيل . ومن ناحية أخرى ، فبينما كانت اسرائيل من القوة بما يجعلها ترد فى كل غارة انتقامية ردا قاسيا . فانها لم تستطع أن ترد على نحو يجعل العرب لا يعودون الى تكرار ذلك مرة أخرى .

لقد نشأ الخطر فى هذا الموقف .. لأن كلا الجانبين كان مقتنعا بانه على حق ولم يكن أيهما قويا ماديا بما يكفى لدعم هذا الحق على نحو يحسم النزاع ..

ولقد كانت حرب ١٩٥٦ نفسها هى فى نوعها اجراء انتقاميا كبيرا قامت به اسرائيل ، تشمل كافة الدوافع النفسية والسياسية وكذلك الاقتصادية .. التى لم تكن موضع الاهتمام فى السنة السابقة على الحرب .

وقد ادت حرب السويس سنة ١٩٥٦ الى بعض التغيرات السياسية الكبرى فى المنطقة ، كما جلبت السلام على حدود اسرائيل . ورغم أن الجامعة العربية أعلنت عن مشروعات لمزيد من المقاطعة للبضائع الاسرائيلية .. فان العرب كانوا الجانب الأضعف ، وكانوا منقسمين على أنفسهم ، ولجأوا الى حملات الدعاية ضد بعضهم البعض أكثر مما كانت هذه الحملات توجه ضد اسرائيل .

ولقد كانت السنوات التالية بين حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ هادئة نسبيا بالنسبة لحوادث الحدود بين اسرائيل والدول العربية ، ولكن الموقف الأساسى ظل كما هو ٠ أن رد الفعل التلقائى لاسرائيل استمر معتمدا على تصـور أن كل حـركة سياسية تمر بغير رد ، وكل مناورة تمر بدون صد من جانب اسرائيل ٠٠ فان هذا يشكل خطرا ماحقا على مستقبل أمنها ٠ بهذا الاسلوب تجمدت المشكلات السياسية فى المنطقة ؛ لأن أى تغيير محتمل لم يكن يفسر من جانب اسرائيل الا من زاوية عسكرية بحتة ٠٠ ويبدو أن خيال الاسرائيليين الخصب قد تكيف مع سنوات من المناوشات على الحدود بحيث لم يعد يتقبل سوى مفهوم واحد هو : ان المشـكلة فى جوهرها مشـكلة عســكرية وليست مشـكلة سـياسية ، وانه لا يمـكن تسـويتها الا عسكريا ٠

لقد كان هذا هو الأساس نفسه الذى قامت عليه حرب يونيو ١٩٦٧ انها لم تكن من نوع الحـروب التى تنشب فجأة ؛ لأن كل حركة الأحداث كانت تسير سيرا سريعا منذ أوائل سنة ١٩٦٦ـ ان هذا لا يعنى دخول أى عنصر جديد على أساسيات المشـكلة ٠٠ وانمـا يعنى أن الخطوط القائمة زادت عمقا ، وان النقاش احتـدم واكتسب مرارة أكثر ، وأن الأمزجة انحرفت أكثر ، وأن المهاترات تبودلت أكثر ٠٠ فاذا بالأحداث تدور دورتها بين فعل ورد فعل ، حتى لم يعد هناك مجال للمناورة ٠

لقد دارت الأحداث فى مايو ١٩٦٧ دورتها المعروفة من طلب مصر سحب قوات الأمم المتحدة ، الى قيام اسرائيل ومصر بالتعبئة ، الى اغلاق خليج العقبة ، الى الحرب ٠ وبصرف النظر عن الاحـداث نفسها ،فانه مما يثيرالدهشة فى أزمة ١٩٦٧ هو ان القيادةالمصرية لم تظهر كثيرا من الحكمة فى طريقة معالجتها للأمور ٠ صـحيح أنه كان من المحتمل أن يكون ميزان الشرعية فى جانب مصر ٠ الا ان هناك علامات استفهام تكتنف الحكمة من متابعة تلك السياسة حتى لو قلنا ان القيادة المصرية كانت تمارس حقوقها ٠ ان الدهشة من تصرف القيادة المصرية ابان الأزمة تزيد خصوصا لو افترضنا انها

كانت تعرف قوة اسرائيل ورد الفعل المحتمل من جانبها ازاء تسلسل الأحداث • وخلال فترة الاسبوعين السابقين على نشوب الحرب فى يونيو ١٩٦٧ ، فان تصرفات القيادة المصرية أظهرت من سوء التقدير أكثر مما اظهرت من عدم الشرعية •

ان الحروب تسفر عن تسويات غير طبيعية فى الشئون الدولية • وهى غالبا ما تشتعل عرضا أو نتيجة لسوء التقدير أكثر مما تشتعل طبقا لخطة موضوعة • ومن ناحية أخرى ، فان الدول المتحاربة يكون لديها فى العادة فكرة ما عن السبب الذى من أجله تبدأ الحرب ـ فاما انها تريد أن تكتسب شيئا من وراء ذلك ، واما انها تريد أن تمنع الجانب الآخر من أن يحرز شيئا . وفى كلتا الحالتين فان النتيجة قد تكون شيئا مختلفا جدا عما كان متوقعا أصلا من أى من الجانبين .

وعلى ذلك •• فلا بد أن يسأل المرء نفسه : ماذا كان الاسرائيليون يتوقعون أن يكسبوا من حرب ١٩٦٧ ، أو ماذا كانوا يعتقدون انهم يمنعون العرب من احرازه ؟ وهل كانت اسرائيل تعتقد أن ثمة هدفا نهائيا وراء مايمكن كسبه ، واذا كان الأمر كذلك •• فما هو هذا الهدف ؟

ان اسرائيل تقول ـ من جانبها ـ انه لم يكن امامها من بديل فى سنة ١٩٦٧ غير الحرب • اننى أعتقد أن هذا غير صحيح • وحتى نصل الى هذه النتيجة لا بد أن نحلل التهديدات الحقيقية وأسوأ النتائج المحتملة فى حالة عدم حدوث رد فعل فورى ازاء هذه التهديدات على النحو الذى ردت به اسرائيل •

ان التهديدات التى تعرضت لها اسرائيل فى ١٩٦٧ ذات أوجه ثلاثة : **فأولا** ـ هناك التهديد العسكرى ، الناجم عن نية العرب المعلنة مرارا وتكرارا عن غزو اسرائيل • **وثانيا** ـ هناك التهديد الاقتصادى . وهو الناشىء أيضا عن نية العرب المعلنة عن تدمير اسرائيل اقتصاديا أو شل اقتصادها • **وثالثا** ـ هناك التهديد السيكولوجى الذى اذا لم توقفه اسرائيل **فان العرب قد يصدقون خطتهم المبالغ فيها •**

تلك كانت التهديدات · فهل اشتدت فى عام ١٩٦٧ على نحو يستحيل معه تحاشي وقوع الحرب ؟

ان ازدياد خطر ما ، لا يجعــل من حق أحــد الأطراف المعنية بالضرورة أن يفترض انه لم يعد متبقيا ســوى اتخاذ خطوة وقائية مباشرة ضد احتمال تزايد الخطر لمدى أبعد · لقد كان هناك خطر متزايد من نشوب الحرب خلال المواجهة فى كوبا بين روسيا وأمريكا، وكان هناك خطر متزايد خلال ازمة برلين . وأحيانا هناك خطر يتزايد بدرجة كبيرة من احتمال نشوب الحرب بين اليونان وتركيا حول قبرص ، ومواقف اخرى كثيرة تبدو الوسائل الدبلوماسية فيها وقد اقتربت من الفشل التام ، بأكثر مما كان عليه الموقف بين العرب واسرائيل عام ١٩٦٧ .

انني أعتقد بصفة عامة ·· أن قرار اسرائيل بدخول الحــرب في ١٩٦٧ لم يكن قائما على أساس ضــخامة أو علم ضخامة الخطر الذى تعرضت له فى تلك الفترة · انني أعتقد أن القرار اعتمد على ثقة مطلقة من جانب اسرائيل بأنها ستخرج من الحرب بوضع افضل من ذلك الوضع الذى وجدت نفسها فيه فى مايو ١٩٦٧ · لقد اعتمد هذا على حساب معقول وموثوق به ــ بل وتأكدت من انها ستنتصر فى الحرب ·

اننا نعلم ·· انه ما من حكومة مسئولة تدخل فى حرب ما لم تكن على ثقة معقولة من النصر ، أو ما لم تكن تواجه الموقف البديل وهو الهزيمة الكاملة دون اطلاق رصاصة واحدة · وطبيعى ان تقول اسرائيل انها كانت تواجه هذا الاحتمال نفسه فى مايو ١٩٦٧ ولكن الاسرائيليين درجوا على عدم التزحزح عن الاعتقاد بأنهم فى وضــع يبدو فيــه بقاؤهم القومى معرضــا لخطر أعظم مما هو بالفعل ·· لقد سبب لهم ذلك موقفا يجدون فيه فى كل مرة أن لابديل عن اثنين : اما الهزيمة التامة أو النصر التام ، وذلك حتى ولو كان الموقف اقل كثيرا مما يبدو .

لقد كانت المعادلةالعسكرية بين اسرائيل وجيرانها ،تصورها

دائما كدولة صغيرة مكونة من مليون ونصف مليون من البشر ٠٠ تحيط بهم حلقة معادية تضم اربعين مليونا من العرب كلهم تصميم على تدميرها ، اى بنسبة ٢٠ ضد واحد ، لصالح العرب وضد اسرائيل ٠ وقد يبدو هذا على الورق شيئا مثيرا للانفعال ، الا أن التقدير العسكرى للقوى النسبية للدول المختلفة لا يمكن أن يوضع على أساس عدد السكان أو حتى على أساس عدد الرجال المجندين فى القوات المسلحة فحسب ٠

ان جهاز الحرب فى صورته الشاملة ، أصعب كثيرا عند تقديره من مجرد الاعتماد على عدد السكان الاجمالى لدولة من الدول ٠ ان تقدير مدى كفاءة الجهاز العربى للدولة ينبغى أن يتضمن القدرة الصناعية للدولة ، مثلما يتضمن معها القوات المسلحة ومقدرتها على استخدام تلك المعدات ، وكذلك يعتمد على مدى كفاءة هيئة أركان الحرب فى شئون الادارة ٠ من حيث قدرتها على الحفاظ على القوات المسلحة فى حالة من الانضباط وحسن الاستعداد والتموين من أجل المعركة ٠

وعامل آخر لا يمكن تجاهله ، وهو طبيعة الأرض التى يحتمل أن تجرى عليها أية معركة ولعل أهم شىء هو أن يكون هناك هدف سياسى واضح لا غموض فيه أمام القوات المسلحة نفسها ٠٠ فرغم التوسع فى فنون الحرب ، الا أن الجيش الذى يكون على درجة طيبة من التعليم والتثقيف يصبح ندا لخصوم أكثر عددا وقوة لو كانوا يفتقرون الى الحافز الضرورى ٠

وعلى الورق ٠٠ نجد أنه على الرغم من عدد السكان ، فان آلة الحرب التى تملكها اسرائيل ليست بأى حال بنسبة ٢٠ الى واحد ضد اسرائيل ، اذا ما قورنت بما لدى العرب ٠ ذلك أن اسرائيل تستطيع ـ فى مدى أيام قليلة بما لديها من نظام احتياطى بالغ الدقة ـ أن تضع فى الميدان جيشا حديثا مدربا قوامه ٢٥٠ ألف جندى ٠

وفضلا عن انعدام اى قلة عددية ، فان اسرائيل كانت لديها

ميزات جغرافية وتكتيكية أخرى • فقد كانت لديها خطوط المواصلات الداخلية والقدرة على تحريك القوات بسرعة من جبهة الى أخرى ، والقيادة المركزية التى لا تتعرض ـ كما هو الحال بالنسبة للعرب ـ لحالة من التخبط والحيرة فى الطوارىء ، ازاء الأوامر المتعارضة والتصادم المحتمل فى التوجيهات السياسية من مختلف الحكومات المعنية • كما ان المصاعب الجغرافية التى تواجه شن هجوم برى شديد مدعم على اسرائيل هى مصاعب ضخمة ، لانه كان ينبغىعلى خطوط المواصلات المصرية أن تمتد وراء الجبهة عبر صحراء سيناء •

والى هنا •• فاننى لم أشر بعد الى قوة السلاح الجوى ، فالتفوق المطلق فى الجو كان دائما شيئا تحافظ عليه اسرائيل فى معاركها مع جيرانها العرب •

لقد حاولت حتى الآن •• أن أوضح أن فكرة تعرض اسرائيل فى أى وقت من الأوقات لخطر (القائها فى البحر) هى مجرد اسطورة، حتى بمنطق الأحداث السابقة على حرب ١٩٦٧ • ولو اتخذنا فى الاعتبار قدرة العرب على الادعاء الباطل ـ على الأقل فى دعايتهم ـ فانه من المهم مقاومة اغراء تقدير نواياهم المعلنة على علاتها • ان اسرائيل تستطيع أن تتمسك بوجود الرغبة الرمزية من جانب العرب فى ازالة اليهود فى فلسطين ، والعرب أنفسهم يساعدون اسرائيل فى هذا الصدد عن طريق رفع الشعارات الدعائية التى يعلمون انهم عاجزون عن تحقيقها •• ولكن الفحص الدقيق للموقف يثبت أن اسرائيل لم تتعرض أبدا لخطر جاد على وجودها ، وان الطريق سوف يظل طويلا للوصول الى هزيمة اسرائيل وازالتها ماديا كدولة حديثة •

وفى هذا •• كانت الاستراتيجية المعلنة للمصريين ، هى أن ينازلوا اسرائيل عن طريق استثارتها لتخطو الخطوة الأولى وتضرب، فى الوقت الذى يكونون مستعدين فيه لتلقى الضربة : ثم يكررون هم وينزلون بها ضربة قاصمة ، وكما تبين فيما بعد •• فان عيب هذه السياسة هو أن القوات المسلحة المصرية على وجه الخصوص ، لم تكن فى وضع تستطيع معه تحمل الضربة الاسرائيلية ! لقد فشلت بشكل

محزن فى (الاقلال الى الحد الأدنى من آثارها) • وكانت هذه الآثار مدمرة الى حد لم تترك للعرب فرصة ثانية .

وعلى كل ، فان هذه السياسة التي أعلنها المصريون قبل حرب ١٩٦٧ كانت سليمة من الناحية النظرية •• بشرط أن تكون هناك النية ، ثم القدرة على تنفيذها •• ولكن يبدو أن المخابرات الاسرائيلية التى استطاعت أن تتغلغل تماما داخل دوائر الحكومات العربية ، قد تحققت من أن القوات المصرية لم تكن حقا على استعداد يكفى لتغطية السياسة المعلنة فى الصحف • ويحتمل ان هذه الدراية قد تسلطت على القيادة الاسرائيلية ورجحت قرار الضرب ، على المخاطرة بتحمل هزيمة نفسية تسمح بتطور الموقف أكثر اذا أفسح له المجال •

الى هنا ، فاننى حاولت أن أوضح أن الخطر العسكرى الفعلى على اسرائيل لم يكن وشيكا فى ١٩٦٧ ، سواء من ناحية تدمير اسرائيل أو من ناحية وقوع هجوم جوى على مدنها • لقد كانت اسرائيل قادرة على تخطى الفخ فى ١٩٦٧ ؛ لأن المصريين لم يكونوا مستعدين لنصبه ؛ لذلك •• فاننى أعتقد أن العامل الحاسم وراء قرار اسرائيل بدخول الحرب كان بغير شك عاملا نفسيا • أما أية اعتبارات اخرى تدعيها اسرائيل كأسباب للحرب •• فانها لم تكن تشكل أية خطورة فى الموقف •

لقد جلبت الحرب الاسرائيلية مكاسب اقليمية عظيمة • ولقد بينت اسرائيل فى نهاية الأمر أن لديها القوة الكافية لشل العداوة العربيـة المحيطة بهـا • وأنا أعتقد ـ لذلك ـ أنه من غير الممكن ـ وخصوصا بعد انتصار ١٩٦٧ ـ أن توافق اسرائيل على أى تسوية فى المنطقة تتضمن حلا وسطا لارضاء العرب• ان العرب والاسرائيليين يفكرون بمنهجين مختلفين تماما ، ولكن العرب لا يستطيعون شيئاً ، فقوة اسرائيل يصعب تحديها • وما دامت اسرائيل ستحتفظ بقدرتها على الرد ـ وهو أمر سـوف تضمنه لها دائمـا الولايات المتحـدة الامريكية ـ وثانيا باحتفاظها بالحدود الحالية •• فانها لن تقدم أية تنازلات أساسية لحل المشكلة سياسيا •

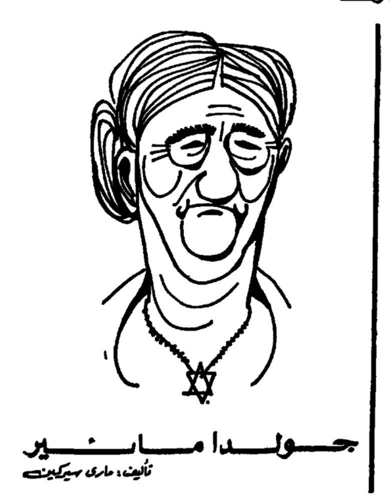
انني أعتقد أن الاحتمال الوحيد لتسوية عادلة للمشكلة بين العرب واسرائيل ، يوجد في الفرصة التي توافرت باستيلاء اسرائيل على الضفة الغربية لنهر الأردن • فلأول مرة منذ عام ١٩٤٨ أصبحت فلسطين كيانا واحدا من جديد • وأنا شخصيا أرحب بفشل أية تسوية قد تفصل مرة أخرى جزئي فلسطين ، لأنني لا أظن أن هذه التسوية ستدوم • ولذلك فانني آمل ألا تتم الموافقة على أية اتفاقية تركز فقط على مسألة ضمان أمن اسرائيل العسكري أو الاعتراف بها من جانب الدول العربية • والفرصة المتاحة مرة أخرى هي أن نعالج مستقبل فلسطين كاملا ؛ لأننا من قبل كنا نقبل التقسيم المصطنع بين الأردن من ناحية ، واسرائيل من ناحية أخرى ، الأمر الذي جعل للمشكلة اتجاهين لا يمكن التوفيق بينهما •

والواضح أن الحل المثالي •• هو اقامة دولة ذات جنسية مزدوجة في اسرائيل حيث تحتفظ الجماعة اليهودية بديناميكيتها دون أن يطغى عليها العرب ولا حتى الاغلبية العربية • وحيث يمكن اعادة توطين اللاجئين ومعالجة المشكلات الاقتصادية للمنطقة بما فيها مشكلة مصادر المياه كمشكلة واحدة في مجموعها •

ويبدو أن ليس هناك من الأسباب ما يحمل على الاعتقاد بأن العناصر المؤثرة في اسرائيل ستنتهي اذا أصبح هذا البلد جزءا من دولة في الشرق الأوسط ، أو دولة ذات جنسية ثنائية أو حتى دولة عربية تضم أقلية يهودية • فبعد فترة جيل أو جيلين ، فان التطورات العنصرية تنبيء بأن اليهود الشرقيين والعرب معا سيفوقون اليهود القادمين من أوربا عددا •

وأنا لا أرى في الأفق القريب صورة اتفاقية ذات قيمة يمكن بواسطتها منع حدوث أزمة أخرى • كل مااستطيعه هو ان آمل الا تكون هناك أزمة أخرى •• ويبدو أن احتمال بقاء التوتر طوال الحقبة القادمة ، هو الثمن الباهظ الذي يتم دفعه لاحتمال أن يجد العرب في نهاية الحقبة أن اسرائيل قد تخلت عن طابعها الصهيوني باستيعابها الاجباري لمثل هذا العدد الكبير من السكان العرب •

كتب
إسرائيلية
ممنوعة
من
التداول



جولدا مائير

تأليف: ماري سيركين

هذا الكتاب ..

وهذه المؤلفة

.. حتى لو كان التاريخ يعيد نفسه فعلا ، فلا يمكن أن يتم ذلك الى هذه الدرجة . ان هذا الكتاب يشرح بالتفصيل فى احد فصـوله ، قصة المفاوضات السرية بين جولدا مائير والملك عبد الله ، والتى اجراها الملك الأردنى من خلف ظهر الدول العربية لتحقيق اطماعه الخاصة على حساب العمل العربى المشترك . ومن المثير للسخرية فى هذا الكتاب .. ان بريطانيا هى التى ضغطت على ملك الأردن لكيلا يستمر فى مشروعه المشترك مع الصهيونيين ، لأنها ـ باعتبارها حامية له ـ لا تريد ان « تحرقه » امام العرب . وبعد ٢٤ عاما تكررت الأحداث نفسها ، بين حفيد الملك عبد الله هذه المرة (حسين) ونائب جولدا مائر (ايجال آلون) .

ان هذا الكتاب له اهمية كبرى من هذه الزاوية . وله أيضا أهمية اضافية من حيث انه يكشف عن اسلوب تفكير وعمل وتطور واحدة من زعامات الصهيونية الحالية فى اسرائيل . واخيرا .. فان الكتـاب يشرح لنا كيف تقـدم اسرائيل زعاماتها الى الرأى العام الأمريكى .. بمنطق امريكى .

ومؤلفة هذا الكتاب ، هى (ماى سيركين) يهودية صهيونية ، تحمل جنسية مزدوجة : امريكية واسرائيلية . انها صديقة وزميلة قديمة لجولدا مائير ، وكانت هى المسئولة عن تشغيل أول محطة اذاعة سرية متنقلة أقامتها المنظمة الصهيونية فى فلسطين قبيل حرب ١٩٤٨ بفترة وجيزة ، حيث تولت الاشراف على الارسال باللغة الانجليزية . وقد صدر الكتاب بعنوان « جولدا مائير » واعيد طبعه فى امريكا منذ ربع قرن .

كانت الحرب على الأبواب !

انها الحرب ٠٠ التى ستقرر ما اذا كان ممكنا قيام دولة يهودية فى فلسطين أم لا . وهى الحرب التى أصبح من المحتم أن تنشب بمجرد أن ينتهى انتداب بريطانيا على فلسطين رسميا فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ .

وفى هذه الظروف ٠٠ اتفق الزعماء الصهيونيون فى فلسطين على قرار واحد : اجراء مفاوضات مع الملك عبـد الله ملك الأردن ٠٠ لفتح ثغرة فى التحـالف العربى المنتظر . قرار ثان : ان مهمـة المفاوضات الجديدة ـ والسرية جدا ـ سـتقوم بها جولدا مائير ، رئيسة الادارة السياسية فى اتحاد العمال اليهود بفلسطين ، وهو الجهاز الرئيسى للمنظمة الصهيونية فى فلسطين .

كان السبيل الوحيد ، الذى لا يزال يتعين على اليهود اكتشافه، هو ما اذا كان بالامكان اقناع «عبدالله» ملك الاردن بعدم الانضمام للمغيرين . وقد كانت هناك معاملات ودية بين الملك عبدالله واليهود فى مناسبات سابقة .. وقد أعرب الملك علنا عن تأييـده لجهـود اليهـود العمرانيـة فى فلسـطين مرات عديدة ، كمـا أنه دعا الى التوصل الى تسوية بين العرب واليهود بالوسائل السلمية .

وحينما بدا فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٧ ان الامم المتحدة على وشك الموافقة على قرار التقسيم ، عقدت « جولدا مائير » اجتماعا سريا مع الملك عبد الله فى منزل « بنحاس روتنبرج » الواقع على مقربة من محطة الكهرباء فى « نحاريم » بالاردن ، وكانت المحادثات بينهما ودية . لقد أكد عبد الله أنه لن يشترك فى أى هجوم يشـنه العرب على اليهود . وأوضح أنه اذا وافقت الامم المتحـدة على قرار تقسيم فلسطين ، فانه سـيضم الجزء العربى الى مملكته ، ووعد بتبادل مشاعر الصداقة مع اليهود .. وتحدث باستهانة عن قوة الدول العربية المجاورة ، وذكر أن مفتى فلسطين هو العـدو المشترك ٠٠ وأكد لجولدا مائير أنه سيقبل قرار التقسيم بكل سرور. وانتهت المقابلة باتفاقهما على عقد اجتماع ثان بعد أن توافق الامم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين .

وعلى الرغم من هذه التأكيدات .. فقد كانت هناك نقطتان اثارتا قلق « جولدا » .. لقد سألها الملك عبد الله عن موقف اليهود من اقتراح يقضى بأن تتضمن مملكته دولة يهودية ، وعندما تلقى على الفور ردا سلبيا سقط الموضوع ، ثم أعرب بعد ذلك عن أمله فى ألا تكون الدول العربية من الصغر بحيث تسبب له الاحراج .

ولم يعقد اجتماع ثان بين الزعيمين ـ كما كان مقررا ـ نظرا لاضطراب الاحوال ، ولكن الاتصال ظل قائما مع الملك عبد الله . لقد تم تبادل المعلومات بينهما حول مدينة القدس التى عارض الجانبان فكرة تدويلها . وحينما انتشرت الشائعات بأن عبد الله على وشك الانضمام للدول العربية ، بعثت أليه جولدا مائير برسالةتسأله فيها عما اذا كان اتفاقهما لا يزال سارى المفعول أم لا؟ ونقل رسول من الملك عبد الله ردا مطمئنا الى « جولدا » لقد طلب منها عبد الله أن تتذكر ثلاثة أشياء :

١ ـ أنه رجل بدوى يحافظ على كلمته .

٢ ـ أنه ملك .

٣ ـ أن الوعد الذى يقدمه لامرأة لا يمكن انتهاكه .

وعلى الرغم من هذا الثالوث الرومانسى ، فسرعان ما حنث البدوى بوعده .. وانضم عبد الله للدول العربية . وعلى الرغم من أنه لم يعد باقيا سوى بصيص ضئيل من الأمل ، فقد تقرر أن تحاول جولدا مائير اجراء مقابلة ثانية مع الملك .

وقبل أن تقوم « جولدا مائير » بمحاولتها الثانية للاتصال بالملك عبد الله بفترة قصيرة ، وصل مندوب منه للبحث فيما اذا كان اليهود على استعداد للتنازل له عن جزء من المنطقة ، التى أصبحت تابعة لهم وفقا لقرار التقسيم الذى أصدرته الامم المتحدة ، لقد استند الملك الى أن مثل هذا التنازل سيزيد من هيبته فى العالم العربى ، لأنه سيحصل على مناطق أكثر من تلك التى خصصتها الامم المتحدة للعرب أساسا . ووقتها قيل للرسول أن هذا الاقتراح غير مقبول ، ولن يتخلى اليهود عن أى منطقة من

دولتهم . وقيل له أيضا : ان الحدود التى قررتها الامم المتحدة لن تصبح سارية المفعول الا اذا استتب السلام ، ولسوف يقاتل اليهود فى حالة وقوع حرب للحصول على أى منطقة تصل اليها أيديهم .

وعلى الرغم من هذا الحديث المتبادل .. الذى لا يبعث على التفاؤل ، فقد ساد الاعتقاد بأنه من الأفضل بذل محاولة أخيرة للحيلولة دون نشوب عداوات مع الاردن .

وهكذا عقد الاجتماع الثانى بين « جولدا مائير » والملك عبد الله فى الاسبوع الاول من شهر مايو عام ١٩٤٨ .

لقد رفض عبد الله فى هذه المرة .. أن يذهب الى «نحاريم» فقد كان هناك خطر من أن يذهب الى الحدود اليهودية ، اذ كان من الخطورة البالغة بالنسبة له أن يقترب من الحدود اليهودية ، لأن أنباء الاجتماع السابق تسربت ، لهذا كان لابد من اتخاذ اجراءات أمن غير عادية .

واقترح الملك أن ترتدى « جولدا » ثياب امرأة عربية ، وتذهب الى عمان . وهكذا طارت « جولدا » من القدس الى تل أبيب لعقد اجتماع مع بن جوريون تقرر خلاله الاتصال بالملك عبد الله .. ولم يكن يعرف بخبر هذا الاتصال سوى ثلاثة أشخاص فى البلاد . واستقر الرأى على أن يصحب « جولدا » رفيق واحد، هو « عزرا دائين » ، المستشرق اليهودى الذى ولد فى يافا .. والخبير فى الشئون العربية .. لكى يقوم بدور المترجم لها .

لقد تم الاتفاق على الاجتماع مع عبد الله يوم ١٠ مايو ، وغادرت « جولدا » و « دائين » تل أبيب قاصدين حيفا ، حيث حصلت جولدا على ثياب امرأة عربية وخمار وغير ذلك من المستلزمات .. وتدربت على التحرك بصورة مقنعة فى هذه الثياب العربية الفضفاضة ، واتجها من حيفا الى نحاريم ، ولم تكن جولدا قد ارتدت الثياب العربية بعد ، وغيرا السيارة التى كانا يستقلانها عدة مرات حتى يظل مقدمهما فى طى الكتمان .. !

وكان الملك قد أرسل سيارة الى « نحاريم » لنقل المبعوثين اليهوديين الى عمان . وحينما حل المساء .. ارتدت جولدا ثيابها العربية وخمارها وبدأت الرحلة الى عمان . وكانت المجموعة المسافرة تأمل فى تجنب الفيلق العربى (الجيش الاردنى) الذى كان حراسه مرابطين على الحدود بالفعل . ولكن اذا حدث وأوقفهم الحراس فان « دائين » ـ مرافق جولدا ـ لم يكن ليجد صعوبة فى المرور لامكانه التصرف كرجل عربى ، نظرا لتحكمه فى اللغة العربية .. ولمعرفته الوثيقة بعادات العرب .. ومع هذا فقد كانت « جولدا » أطول وأثقل وزنا من المرأة العربية العادية .

وعلى الرغم من أنه كان بوسعهما الانكماش فى مكانهما فى خضوع وهدوء أثناء الظلام .. الا انه كان يتعين ـ اذا ما أوقفهما الحراس ـ أن يحرصا على عدم توجيه أية أسئلة اليها ، كما انهما وضعا ثقتهما فى تقاليد العرب التى كانت تحرم لمس امرأة عربية .

وفى أثناء الرحلة التى استغرقت عدة ساعات .. توقفت السيارة عشر مرات للتحقق من شخصية ركابها بدون أن تقع أية حادثة . ولم يذهب السائق بجولدا الى « قصر الملك » ولكنه اوصلها الى منزل أحد أصدقاء عبد الله الأغنياء الذى كان يثق فيه تماما . ووصل الملك قبل مضى وقت طويل . وبدا عليه الود .. ولكنه كان مكتئبا وعصبيا .

لقد أعادت جولدا على اسماع الملك خلال الساعة التى استغرقها الاجتماع، الوعد الذى قطعه على نفسه فى شهر نوفمبر . ولم يبذل الملك عبد الله أية محاولة لانكار تعهده ، ولكنه أضاف أن الموقف قد تغير . وقال انه كان يعتقد حينذاك انه حر التصرف .. ولكن الظروف لم تسمح له بمثل هذه الحرية .

كانت لهجة الملك تدل على انه يشير الى التوجيهات البريطانية . ومع هذا كان الأمل لايزال يراوده ، بأنه يمكن تجنب الحرب رغم تأخر الوقت .. بشرط الا يعلن اليهود انشاء دولتهم ، وأن تتوقف الهجرة الى فلسطين لعدة سنوات قادمة . وأوضح

الملك .. أنه سوف يستولى على فلسطين بدون تقسيم ، ويضمها الى الاردن بعد عام واحد بحيث يسمح للطائفة اليهودية أن يكون لها ممثلون فى برلمان بلاده .

ووعد الملك بأن يعامل اليهود معاملة طيبة ، تتمشى مع آرائه الليبرالية ، وأنهى حديثه بالتصريح بأنه يرغب بحق فى اقرار السلام ، ويأسف للدمار الحتمى الذى ستتعرض له منجزات اليهود العظيمة فى مجال الزراعة والصناعة اذا ما اندفع لهيب الحرب ، وأعرب عن فهمه للسبب الذى يحدو للعجلة فى انشاء دولتهم .

وأجابته « جولدا » بدماثة .. بأنه من العسير وصف شعب ظل ينتظر مدة ألفى عام بالعجلة ، وربما كان اليهود فى غاية الصبر . وأشارت « جولدا » الى أن علاقات اليهود بجلالته كانت ودية دائما ، وأنها تدعمت بمعارضتهما للمفتى .. عدوهما المشترك . وقالت جولدا ان اليهود حققوا انتصارات خلال خمسة الأشهر الماضية ، بينما قوة المفتى فى اضمحلال ، كما أن اليهود صدوا المغيرين على أعقابهم . وصرحت «جولدا» بأنه من الممكن التوصل الى تفاهم اذا ما تمسك عبد الله باقتراحه الأصلى .. الذى يقضى بضم المنطقة المخصصة للعرب ، حيث أصبح اليهود أكثر قوة من بضعة أشهر ولن يترددوا فى القتال اذا فرضت عليهم الحرب فى أى مكان وبأقصى قدراتهم .

وأجاب الملك عبد الله على هذا القول بأنه يدرك أن اليهود سيضطرون الى رد أى هجوم يتعرضون له ، ولاشك فى أنه يريد حقا وباخلاص تنفيذ اقتراحه الاصلى ، ولكن عدة أشياء حدثت منذ ذلك الحين ، فقد الهبت حادثة « دير ياسين » مشاعر العرب ، وبالاضافة الى ذلك .. « فاننى كنت بمفردى حينذاك .. ولكنى الآن واحد من خمسة . ليس أمامى خيار آخر ولا يمكن أن أتصرف على نحو مختلف » .

وتوسل الملك الى «جولدا» مرة ثانية .. بأن تدعو حكومتها الى

اعادة النظر فى الأمر · وأعلن أنه اذا وصله رد مقبول فى ١٥ مايو ، فانه سوف يجرى مشاورات مع المعتدلين العرب للمحافظة على السلام ·

وعندما طالبته « جولدا » و « دانين » ببراعة ·· أن يتذكر أن اليهود هم أصدقاؤه الوحيدون ، أومأ برأسه وأجاب قائلا : « اننى أعلم ذلك جيدا » وليس لدى شك فى معرفتى بكم وفى ايمانى بنواياكم الطيبة ، وأعتقد بكل جوارحى أن الله أعادكم ·· أنا أعلم كل هذا وأؤمن به باخلاص ، ولكن الظروف صعبة ولا يجرؤ المرء على اتخاذ خطوات متهورة · ولذلك أناشدكم مرة أخرى التزام الصبر » ·

وأجابت « جولدا » على حديثه هذا بقولها : « ليست لدينا أية رغبة فى تضليل جلالتك ·· ونحن نرغب فى أن نوضح لك تماما أنه لا يمكننا حتى مجرد دراسة اقتراحك · ولن يؤيد هذه الخطة أى من مؤسساتنا أو حتى عشرة من اليهود الذين يتمتعون بأى نفوذ ، وبوسعنا أن نرد عليك هنا فى الحال ·· بأن جلالتك اذا أدرت ظهرك لاتفاقنا الأصلى وأردت الحرب بديلا ·· فستكون هناك حرب · وعلى الرغم من الصعوبات التى تعترض طريقنا ، الا أننا نؤمن بانتصارنا وربما تقابلنا ثانية بعد الحرب ، حينما تكون هناك دولة يهودية ·

وتحول عبد الله الى « دانين » مرافق « جولدا » ·· وتحدث معه بلهجة أبوية ، وطلب منه ـ بوصفه مستشرقا ـ أن يؤيد موقفه ، وقدم اليه « دانين » أيضا بعض النصح ، وذكر عبد الله بأنه ليس لديه أصدقاء حقيقيون فى العالم العربى ، وبأنه يعتمد على دبابات الفيلق العربى مثلما كان الفرنسيون يعتمدون على خط ماجينو ، ولكن اليهود سيحطمون هذه الدبابات ·

وقد جرؤ « دانين » على أن يقترح على الملك بأنه ربما يكون الوقت قد حان لانهاء العادة القديمة الجميلة التى تقضى بالسماح لرعاياه بتقبيل يده أو أطراف ثيابه ، وذلك أن سكان المدن يختلفون

عن رجال القبائل من البدو ، ويجب على الملك أن يكون أكثر يقظة فيما يختص بحماية نفسه من الاغتيال ٠

وانتهت المقابلة والملك لايكف عن الاعراب عن أسفه للدماء التى ستراق ، وقد تركت المقابلة انطباعا لدى « جولدا » و « دانين » بأن عبد الله لم يكن سعيدا أو يشعر بالثقة ، وبأنه لم يكن يريد القتال . ولكنه كان متورطا للغاية فى روابط مع العرب والبريطانيين بحيث أصبح من العسير عليه تخليص نفسه ٠

وبعد أن غادر الملك المنزل اعد الصديق العربى الفـداء ، وصحبت زوجته «جولدا» لمشـاهدة مكتبتها . ثم آن الأوان لبدء رحلة العودة المحفوفة بالأخطار ٠

وفى طريق عودتهما كان بمقدورهما رؤية معسكر « المفرق » حيث كانت القوات العراقية محتشدة فيه بالفعل ٠ وقد أثارت كثرة عدد نقط المراقبة ، التى كان عليهما اجتيازها ، خوف السائق العربى الذى قرر أنه من الخطورة بمكان ٠٠ قيادة العربة الى «نحاريم» ، وقد ترك ركابه فى التلال على مبعدة ميلين من الحدود ٠ وكانت الساعة الثالثة صباحا ، كان الوصول الى « نحاريم » يستغرق نصف ساعة بشرط ألا يضلا طريقهما ولم تكن « جولدا » و « دانين » مسلحين ، بل ان جولدا اعترفت بعد ذلك بأن الخوف قد ساورها . ولم يكن هناك أمل يرجى فى بقائهمـا على قيد الحياة اذا اعترض الحراس طريقهما ، ذلك لأنه ليس من عادة السيدات العربيات الفاضـلات السير الهوينا عبر التلال فى منتصف الليل ! ومن حسن الحظ ٠٠ أن قابلهما أحد جنود « الهاجاناه » من نحاريم كان يبحث عنهما ٠ وكان الظلام دامسـا بحيث تعذر على جولدا التعرف عليه ، ولـكنه زارها بعد ذلك بعام وقدم لها نفسه على اعتبار أنه الرجـل الذى قادهما عبر التلال ٠



ان جـولدا مائير ، التى قامت بهذا الدور الأسـاسى ، قبـل

سنوات طويلة من وصولها الى منصب رئيسة وزراء اسرائيل ـ كانت تقوم فى الواقع بمهمة سرية لا يعرفها الامريكيون حتى الآن ٠

ولايمكن للأمريكيين أن يتخلوا عن اهتمامهم الشديد بمسز مائير كواحدة منهم ، اذ أنها تمثل فى نظرهم لونا جديدا وجذابا من قصص النجاح الامريكية ٠ فقد نشأت مسز مائير فى ولاية « ميلووكى » ، وعملت كأمينة مكتبة ومدرسة ٠ وللروس أيضا ذكرياتهم، اذ تمكنت هذه المرأة ٠٠ التى تكره وضع الأصباغ على وجهها أو طلاء شفتيها كأى امرأة سوفيتية مِن الطراز القديم وهى تمشط شعرها من منتصف رأسها وتلفه خلف عنقها ـ تمكنت من اثارة اهتمامهم عام ١٩٤٨ حينما ذهبت الى موسكو كأول وزير مفوض لاسرائيل فى الاتحاد السوفيتى ٠

ان «جولدا مائير» هى الوحيد بين الزعماء الاسرائيليين البارزين من جيل الرواد التى جاءت من أمريكا ، بينما هى ولدت أصلا فى مدينة ((كييف)) السوفيتية الواقعة جنوب غرب روسيا فى ٣مايو سنة ١٨٩٨ ٠ وكان معظم يهود روسيا يعيشون داخل نطاق « مناطق الاستيطان » ، وهى الاحياء الروسية التى كان مسموحا لليهود بالعيش فيها فى عهد القياصرة ٠ لقد كان أبوها ـ واسمه « موشى مابوفيتش » يعمل نجارا وصانعا للأثاث الفاخر ، ولم يبق على قيد الحياة من أبنائه الثمانية سوى ثلاثة هم : « شانا » كبراهم ، و « جولدا » ، وشقيقة تصغرهما تدعى « زيبورا » ٠

وقد ترك « موشى » روسيا بمفرده فى عام ١٩٠٣ ، وهو يزمع أن يرسل لزوجته وأطفاله ـ حينما يستتب له الامر ـ كى يلحقوا به ٠ وقد حدث هذا أخيرا فى سنة ١٩٠٦ ، حينما وصلت من الأب التذاكر اللازمة لكى يلحقوا به فى الولايات المتحدة ، التى قرر أخيرا أن يستقر فيها ، بعد أن ترك « نيويورك » واستقر فى مدينة « ميلووكى » الامريكية ٠

وعندما انتهت « جولدا » من دراستها الابتدائية ، وأرادت الالتحاق بالمدرسة الثانوية لكى تعمل مدرسة بعد ذلك ، رفضت

أمها •• فقررت « جولدا » الهرب • وفعلا هربت سرا وسافرت لتقيم مع أختها «شانا» التى تقيم مع زوجها فى مدينة «دنفر» الامريكية•• حيث التحقت هناك بالمدرسة الثانوية • وبعد هربها بمدة بسيطة ، وصلها خطاب من صديقة لها قالت فيه « انك تسأليننى عن رأى من يعرفونك فى ميلووكى فى حادثة هربك . والحقيقة التى لاأريد بها أن تؤذى مشاعرك هى أن الجميع يعتقدون أنك فررت مع شاب ايطالى » •

وحينما أوشك العام الأول «لجولدا» فى (دنفر) على الانتهاء، كانت جولدا قد ضاقت ذرعا بسبب قيام شقيقتها بفرض وصايتها عليها • وفى احدى الامسيات ، وبعد شجار حاد بين الشقيقتين ، قالت جولدا « حسنا سوف أغادر المنزل » •• وانصرفت حيث استأجرت غرفة مع احدى العائلات اليهودية فى دنفر ، بينما تركت الدراسة لتعمل • وأخيرا عادت الى « ميلووكى » لاستئناف دراستها هناك بعد أن تأجلت لفترة طويلة ، بحيث تخرجت بعد عامين فى المدرسة الثانوية والتحقت بدار المعلمين الابتدائية •

وحتى ذلك الحين ..لم تكن فكرةالصهيونية قد شدتانتباه جولدا ، بالفعل • ولكنها بعد قليل بدأت تشترك فى الحملة التى بدأت لاثارة يهود أمريكا وحملهم على التبرع بأموال كثيرة لليهود الذين سلبوا ما يمتلكون فى الدول الواقعة فيما وراء البحار •

وفى سنة ١٩١٥ انضمت جولدا رسميا الى « بوعالى صهيون » أى عمال صهيون •• ذلك الحزب الصغير الواسع النفوذ الذى يضم فى معظمه العمال الصهيونيين الذين يتحدثون باللغة « البديشية » ومن بين سماتها المميزة•• انها لم تنضم تنظيميا الى هذا الحزب الا بعد أن التزمت بعضويته بصفة شخصية • وقد اختارت الانضمام الى العمال الصهيونيين بدلا من الانضمام الى منظمة « ماداسا ٦» التى قد أنشأتها سيدة أمريكية أكبر منها سنا تدعى « هنرييتا زولد » لأن برنامج حزب عمال صهيون كان يدعو الى انشاء كومنولث هادف فى فلسطين .

وفى هذا الوقت •• وصلها خطاب من « موريس بايرسون »

وهو أحد المهاجرين الروس الشبان ، الذى تعرفت به جولدا فى دنفر وأحبته هناك . ان انضمام جولدا الى حزب عمال صهيون أدى الى تعقيد حياتها الشخصية فى هذا المجال ، نظرا لأن موريس الذى ارتبطت به لم يكن صهيونيا . وقد أوضح لها ذلك فى الخطاب الذى أرسله اليها من « دنفر » حينما كتب يقول « لست أعرف ما اذا كنت سعيدا حقا أو انى أشعر بالاسى لانضمامك للحزب الصهيونى ، ولأنك تبدين وطنية متحمسة .. ان فكرة خلق دولة يهودية فى فلسطين أو فى منطقة أخرى تبدو سخيفة فى نظرى . وقد وصلتنى منذ بضعة أيام دعوة لحضور أحد الاجتماعات المخصصة لهذا الغرض ، ولكنى لم أحضر لأنى لا أبالى بوجه خاص بما اذا كان اليهود سيتعرضون للمتاعب فى روسيا أو فى الأرض المقدسة » .

وحينما تبعها موريس بعد قليل الى ميلووكى ، أوضحت له جولدا أنها لن تتزوجه الا اذا صحبها الى فلسطين . لقد قررت جولدا الذهاب الى فلسطين لكى تصبح عضوا فى الكيبوتز — أو المستعمرة التعاونية — التى كانت تقوم باستصلاح مستنقعات « عيمك » أو وادى « أزور الدن » . وكانت قد اتخذت هذا القرار قبل صدور وعد بلفور بعامين . وفى وقت كانت فكرة انشاء وطن يهودى فى منطقة فلسطين القاحلة التى كان الأتراك يسيطرون عليها ، تبدو خيالية تماما .

وكانت المناقشة تبدو وقتئذ حول ما اذا كان يتعين أن يتعلم اليهود اللغة « العبرية » أو اللغة « البديشية » . لقد استقر الرأى فى فلسطين منذ البداية على اللغة العبرية،ومع هذا..كان الصهيونيون العمال ينادون في الولايات المتحدة بتعلم اللغة البديشية على أساس أنها اللغة الفعلية للطبقة اليهودية العاملة . وعليه ، فانها أفضل من اللغة المقدسة الميتة . وهكذا ظلت لغة «جولدا» البديشية أكثر غزارة وطواعية فى الاستخدام من اللغة العبرية التى تعلمتها بعد آن فى فلسطين .

وفى هذا الوقت .. قابلت « جولدا » الرجل الذى كان من المفروض أن يمارس تأثيرا عميقا فى تطورها السياسى ، والذى سوف

تعمل معه كشريك وثيق الصلة فى الكفاح المشترك · وقد وصل « بن جوريون » الذى كان يبلغ من العمر ثلاثين عاما حينذاك الى أمريكا فى عام ١٩١٥ برفقة صديقه « اسحق بن زفى » بعد أن أبعدتهما الحكومة التركية عن فلسطين بتهمة تدبير مؤامرة صهيونية · ولم يحظ بن جوريون بقدر كبير من الاهتمام خلال رحلته الأولى لأمريكا · بل انه حتى حركة الصهيونيين الأمريكيين وجدت فى هذا اليهودى القادم من فلسطين ، وفى أرائه المتطرفة التى تنادى « بالعودة الى الوطن » سخفا غريبا وغير مهذب · وكان تلاميذه الوحيدون هم أعضاء حزب عمال صهيون الذين ينتمون فى معظمهم الى الطبقة العاملة ·

فى هذه الفترة .. تركت «جولدا» دار المعلمين الابتدائية بملووكى وعملت كأمينة مكتبة وبدأت تكرس وقتها كله ، خارج عملها ، للحركة الصهيونية العمالية ، وكان المرتب الذى تحصل عليه من الحزب أقل كثيرا حتى من المرتب المتواضع لمدرسة ولأمينة مكتبة . ولكنها تمكنت من أن تدبر شئون معيشتها بالخمسة عشر دولارا التى كانت تحصل عليها أسبوعيامن الحزب.

وكانت هناك مشكلة أخرى يتعين على جولدا حسمها فى الوقت نفسه تقريبا ، فاذا كان « موريس » لا يزال مصرا على رفضه الذهاب الى فلسطين بعد الحرب ، فلابد من قطع علاقتهما · وعلى الرغم من عدم اقتناع « موريس » ·· الا أنه استسلم لرغبة جولدا ، ووافق على السفر الى فلسطين · ولم يكن هناك أى مبرر آخر للتسويف فى عقد الزواج الذى طالما ألح لاتمامه · وتزوج الاثنان فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١٧ ·

وقبل هذا التاريخ بأسابيع قليلة ·· كان قد صدر وعد بلفور · وقد أدى صدور وعد بلفور فى سنة ١٩١٧ الى تحويل الصهيونية من مجرد حلم غامض الى واقع سياسى · وكانت بريطانيا العظمى قد وافقت فى النهاية ـ قبل صدور الوعد بعدة أشهر ـ على تشكيل وحدة عسكرية يهودية خاصة ـ هى الفيلق اليهودى ـ للقتال من أجل تحرير فلسطين مع الكتائب الملكية البريطانية ·

وبعد دخول أمريكا الحرب سمحت الحكومة الأمريكية بالتجنيد فى الفيلق اليهودى ، الذى تطوع فيه عدد كبير من الصهيونيين العماليين . وعندما شارفت الحرب على الانتهاء ، قررت جولدا تكريس نفسها كلية لمعالجة مشكلة دخول فلسطين • وهكذا أبحرت هى وأختها الى فلسطين فى ٢٣ مايو سنة ١٩٢١ ـ بالباخرة حتى الاسكندرية ، وبالقطار من الاسكندرية حتى تل أبيب •

فى السنوات الأولى لجولدا فى فلسطين •• كان لا بد عليها أن تعمل وفقا للبرنامج الكامل للصهيونى العمالى ، وهو برنامج يتطلب انجازه الانضمام الى عضوية مستعمرة تعاونية زراعية ، وبمعنى آخر الى عضوية الكيبوتز ، وكان الصندوق القومى اليهودى قد قام فى ١٩٢١ بشراء أجزاء كبيرة من الأرض فى وادى عزريل المعروف باسم « عيميك » ، وكان الاقليم مليئا بالمستنقعات وتنتشر فيه حمى الملاريا وهى البول الاسود ، وكان يتعين تجفيف هذه الأراضى • وهكذا اختارت جولدا أن تقيم فى كيبوتز « بيرحافيا »

وحينما وصلت جولدا الى بيرحافيا مع زوجها موريس ، كانت واحدة من ثمانى نساء بين أفراد الكيبوتز البالغ عددهم اثنين وعشرين رجلا • وسرعان ما برزت جولدا فى الكيبوتز • وفى غضون ستة أشهر • أرسلت لتتلقى دراسة خاصة فى علم تربية الدجاج . وبعد عودتها أصبح البيض الذى تضعه الدواجن تحت اشراف جولدا مخصصا للبيع ، واستثمار ثمنه فى تحسين حال الكيبوتز •

فى خلال سنة • أصبحت « جولدا » مندوبة الكيبوتز فى مجلس الهستدروت الذى شكل حديثا ، وهو نقابة العمال اليهود فى فلسطين • ولم يكن الهستدروت ـ الاتحاد العام للعمال اليهود فى فلسطين ـ نقابة عمالية عادية تهتم أساسا بالاحوال المعيشية لأعضائها • وقبل اقامة الدولة فى فلسطين • كان الهستدروت بمثابة كومنولث عمالى • ومنذ البداية •• والهستدروت يعتبر نفسه وكالة عملية للتوطين تنحصر مهمته فى جذب المهاجرين الطلائعيين ومساعدتهم على استيطان فلسطين • ولم يكن هناك أى غرض

ضرورى لتنمية البلاد يخرج عن اختصاصه • وحينما كان أصحاب المشروعات الخاصة يخشون من الاقدام على تنفيذ مشروعات تنطوى على مخاطرة أو تعتبر غير مثمرة ، كان الهستدروت يقدم رأس المال اللازم واليد العاملة المطلوبة من خلال مؤسساته الائتمانية وشركات البناء التابعة له • وكانت شركة البناء التعاونية وتسمى « سوليل بونيه » تقوم بشق الطرق فى الصحراء ، وهى عملية لم يكن أى مقاول خاص على استعداد للقيام بها • ولم يكن أعضاء الهستدروت وأسرهم لا يمثلون فقط أكثر من ٣٠ الى ٤٠ فى المائة من نسبة السكان اليهود ، ولكنهم كانوا أيضا أنشط العناصر فى البلاد •

هكذا أصبح الهستدروت بمثابة أداة لتحقيق حلم الصهونية فى فلسطين • وكان معنى عضوية المرء فى اللجنـــــة التنفيذية للهستدروت فى عام ١٩٣٤ أنه فىمقدمة الكفاح الصهيونى اقتصاديا كان أو سياسيا ، عبر الأعوام المصيرية التالية •

ان هذا هو ما حدث فعلا بالنســـــبة لجولدا ، التى بدأت عملها فى الهستدروت بتنظيم الادارة السياحية التابعة له ومهمتها الترحيب بالزوار المرموقين ، الى أن أنتخبت لعضوية ســــكرتيرية اللجنة التنفيذية للهستدرت •• وبحلول عـــام ١٩٣٦ أصبحت مسئولة عن كافة برامج المعونة المتبادلة للهستدروت ، كما أصبحت رئيسة مجلس ادارة « كربات حوليم » ـ أو صندوق العمال المرضى• وبعد فترة قصــيرة •• أصـــبحت مديرة للادارة الســـياسية فى الهستدروت وتم ارسالها فى عام ١٩٣٧ الى الولايات المتحدة للدعوة الى جمع التبرعات لبناء ميناء خاص لليهود فى تل أبيب •

سافرت جولدا الى أمريكا وسط موجة من الاضطرابات الدامية اندلعت فى فلسطين سنة ١٩٣٦ بين اليهود والعرب • وعـــــادت لتصبح وسط المناقشات المتعددة بين اليهود الصهيونيين أنفسهم• لقد أدى الكتاب الابيض الذى أصدرته بريطانيا سنة ١٩٣٩ الى وضع حد للآمال التى كانت تتطلع نحو انشاء وطن قومى لليهود • لقد أسفرت المناقشات بين الصهيونيين عن اتجاهــين أساسيين ، الأول يتزعمه « حاييم وايزمان » السياسى الصهيونى الذى لا يريد

اتباع العنف ضد بريطانيا ، والثانى يتزعمه « بن جوريون » · لقد قال بن جوريون : « ينبغى أن يتصرف اليهــود كما لو كنا دونة فى فلسطين الى أن يتم انشاء الدولة اليهودية » · لقــد انضمت جولدا الى بن جوريون · وحينما نشبت الحرب العالمية الثانيــة كان الشعار الذى رفعه بن جوريون وآمنت هى به هــو « سوف نحارب الكتاب الأبيض كما لو كانت الحرب غير قائمة ، وسوف نحارب العدو المشترك (العرب) كمـــا لو كان الكتاب الأبيض لا وجود له »

هكذا ظلت السياسة الصهيونية فى فلسطين ابان الحرب· وحينما انتهت الحرب العالمية الثانية ·· بدأ الصهيونيون يركزون على خلق المتاعب لبريطانيا فى حدود هدف نهائى ، هو ارغامهـــا على الانسحاب من فلسطين باعتبارها سلطة الانتداب · وفى ١٤ فبراير سنة ١٩٤٧ اعلنت بريطانيا أنها ستعرض المشكلة برمتهـا على الأمم المتحدة · وعندما أثير مشروع تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب انقسم اليهود الى تيارين ، تيار مؤيد لمشروع التقسيـــم وتيار معارض ، وخلال فترة قصيرة أصبح لابد من أن ينتصر الجناح المتطرف · وهنا أصبح على الزعماء السياسيين والعسكريين للطائفة اليهودية أن يقوموا بتشكيل جهاز لمواجهة أعبـــاء الحرب الحديثة · وقام عدد كبير من المبعوثين بالسفر الى نيويورك لمحاولة جمع الأموال المطلوبة من اليهـــود الامريكيين · وعاد المسئول عن خزانة الوكالة اليهودية من امريكا يجر أذيال الخيبة ، وأوضـــح للزعماء الصهيونيين أنه من الأمور غير الواقعية أن يتوقع يهـود فلسطين أن يدفع اليهود الأمريكيون مبلغا يتراوح بين خمســة وسبعة ملايين دولار ·

لقد كان هذا التقرير مؤسفا ، فاذا تعذر شراء الأســلحة والحصول على الأموال للحفاظ على قوة الجيش ، اذن فقد ضاعت الحرب وضاعت الدولة اليهودية · لقد استقر الأمر أخيرا على أن تسافر « جولدا مائير » الى أمريكا حيث بدأت تركز أحاديثها لليهود هناك قائلة : « ينبغى أن يطلب من يهود العالم أن ينظروا الينا

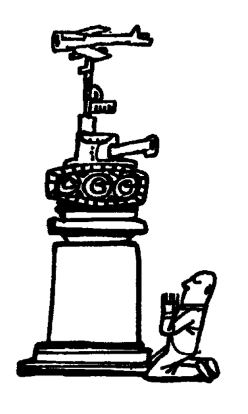
بصفتنا نمثل خط الجبهة ، وأن يفعلوا فى سبيلنا ما فعلته الولايات المتحدة فى سبيل انجلترا حينما كانت الأخيرة تمثل خط الجبهة فى الحرب العالمية .. ان الملايين التى سنحصل عليها فى غضون ثلاثة أو أربعة أشهر لن تكون لها أهمية ، فالمشكلة تنحصر فيما نستطيع الحصول عليه فورا . وحينما أقول أيها الأصدقاء فورا ، فليس معنى هذا فى مدى شهر أو اثنين من الآن .. وليس بوسعكم الا أن تقرروا شيئا واحدا وهو ماذا كنا سننتصر فى هذا القتال أو أن المفتى هو الذى سيخرج منتصرا».

لقد طلبت «جولدا» من يهود أمريكا مبلغا يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ مليون دولار فورا ، وهو مبلغ يبلغ خمسة أضعاف المبلغ الاجمالى الذى حدد من قبل .

من باريس .. بعث اليها أحد مبعوثى الهاجاناه بأن بوسعه شراء دبابات اذا ما حصل على عشرة ملايين دولار فورا . وأبلغته جولدا تليفونيا : « اشتر » . وأرسل لها مبعوث آخر فى أوربا – كان يحاول شراء ذخيرة – يقول انه سيعود الى فلسطين ، وكان يحتاج أيضا الى عشرة ملايين دولار ، ولم تكن هناك فائدة من انتظار حدوث المستحيل . وأبلغته جولدا برقيا : « ابق فى مكانك » ، ووصله المبلغ المطلوب .

استطاعت جولدا أن تجمع خلال مدة الشهرين ونصف الشهر التى قضتها فى أمريكا مبلغ ٥٠٠ مليون دولار .. وحينما عادت الى فلسطين قال لها بن جوريون : « حينما يدون التاريخ فى يوم من الأيام .. سيقال ان امرأة يهودية استطاعت الحصول على الأموال التى جعلت قيام الدولة أمرا ممكنا » .

الجـــزء
الثـالـث



و أخـــيرا ..

كلـمات ليســت أخــــيرة

بقلم : محمود عوض

كن أخى .. والا ساقتلك .

هكذا يقول « مناحم بيجن » زعيم حزب حيروت الاسرائيلى فى كتاب له بعنوان «الثورة» .

أما بن جوريون - زعيم حزب رافى - فيقول فى كتاب « اسرائيل : سنوات التحدى » : أن اسرائيل لا يمكن أن تعيش الا بالقوة والسلاح .

وفى رواية « الخروج » التى الفها الكاتب الصهيونى « ليون اوريس » .. يقول أحد أبطال القصة : « انه لشىء بشع حقا .. ان أطفالنا يعبدون المحاربين . اننا نبنى وجودنا على السلاح » .

وفى مقال نشرته صحيفة « نير » الاسرائيلية ، قال الكاتب **ناتان هوفتش** : « ان رجال الدين اليهود قد أداروا ظهورهم لكل تحذيرات الأنبياء والحكماء ضد القوة .. وأصبحوا أكثر الناس حماسا واعجابا بالجيش وبالروح العسكرية ، وبالأساليب المسلحة العنيفة . انهم بهذا يعطون للجيش الاسرائيلى شهادة الاثبات بأنه ينفذ تعاليم الدين اليهودى » .

و . . .

كانت هذه اجابات مختلفة ، تقدمها السياسة والأدب والدين فى اسرائيل لسؤال واحد : من هو الاله الجديد فى اسرائيل ؟ .

ان اسرئيل تحاول خلق جيل جديد يسميه بن جوريون « الصخرة » ويفتخر بن جوريون بأن هذا الجيل قد أدى الى أن « أصبح الشعب اليهودى هو تجمع المحاربين » .

ولكى يصبح الجيل اليهودى الجديد هو «الصخرة» ..ولكى

تصبح اسرائيل هي « تجمع المحاربين » .. كان لا بد من وجــود غذاء يومي واحد للجيل الجديد في اسرائيل . هذا الغذاء هو الروح العسكرية العنصرية . هــذه الروح هي الشرط الأول .. اللازم لتحقيق الهدف الصهيوني الأساسي : من النيل الى الفرات .

ومرة ثالثة .. كان لابد أن ينعكس كل ذلك علي طريقـــة تنظيم المجتمع الاسرائيلي ، ثم على التنظيم العسكرى فى اسرائيل.

لقد رأينا كيف يعمل هذا التنظيم فى الصفحات السابقة ، ورأينا النتيجة التى حققها خلال حرب ١٩٦٧ فى الكتاب الاسرائيلى الأول السابق لهذه الصفحات ـ ولكن تبقى بعد ذلك التحفظات التى أود أن اســجلها مقدما قبل أن أناقش التفكير العســكرى الاسرائيلى :

أولا ـ بصرف النظر عن التفاصيل العسكرية الفنية ، التى لاتدخل فى مهمتنا وتهم العسكريين أساسا ، فان الذى يهمنا هنا اولا بعد أن قرأنا الكتب السابقة ... هو أن نتعرف على مــدى الجدية التى يعطيها العدو لاهدافه العسكرية التوسعية فى المنطقة العربية . جدية لايعتمد فيها على اعتبارات عسكرية مؤقتة .. بل تعتمــد على تأصــــيل وتعميق الروح العســكرية حتى بين الأطفال .

ثانيا ـ انه من المســائل الملفتة للنظر .. ان جميع المؤلفين الغربيين الذين كتبوا عن التكوين العسكرى الاسرائيلى .. يقررون أنه موجه أساسا للحرب الهجومية بالدرجة الأولى . وهذا يؤكد الطبيعة العدوانية للسياسة العسكرية الاسرائيلية .. ثم يؤكد أن الحسابات العسكرية الاسرائيلية تختل اختلالا شديدا ـ بل قد تنقلب رأسا على عقب ـ لو أنها خاضت حربا دفاعية ، أو حربا طويلة زمنيا .

ثالثا ـ أيضا مما يلفت النظر .. أن العدو الاسرائيلى حين يحاربنا .. فهو يعبىء كل موارده لخدمة المجهود الحربى .

رابعا ــ انه مــع كل ذلك .. وبالرغم من هــذه التعبئــة العسكرية المطلقة ، فان اسرائيل لم تقم بمواجهة الجيش المصرى فى اى حرب واسعة النطاق ، بدون حسابات سابقة تضمن تحركا دوليا لمصلحتها . فقد أصبح معروفا مثلا أن بن «جوريون» رفض فى سنة ١٩٥٦ أن يتحرك الا بعد أن حصل على ضمان من بريطانيا وفرنسا بأنهما ستكفلان له مظلة جوية وحزاما بحريا ــ وفوق هذا كله ــ تدميرا كاملا لجميع المطارات المصرية فى الساعات الاولى للقتال . وبعد أن حصل على هذا الضمان ــ بعده فقط ــ وقع الاتفاقية السرية مع ممثلى بريطانيا وفرنسا .

ثم ــ بعــد هــذه التحفظات السرية ــ نعــود الى العسكرية الاسرائيلية :

ان التفكير العســكرى الاسرائيلى يقوم أساسا ــ فى جانبه المدنى ــ على خلق روح عنصرية لدى الطفل الاسرائيلى منذ سن مبكرة . وهى روح عســكرية عنصرية يتم تنميتها لكى تخــدم الاهداف التوسعية الواردة دائما فى جدول الاعمال الاسرائيلى .

ومادام التوسع الاسرائيلى الى ماتســميه اسرائيل (**الأرض التاريخية**) .. هو مسألة محل اتفاق بين مختلف الاجنحة الحزبية هناك .. فان تنمية الروح العسكرية العدوانية تصــبح ضرورة مبدئية لتحقيق هذا الغرض .

وجميع الذين كتبوا عن التنظيم العسكرى الاسرائيلى ــ بما فيهم الاسرائيليون انفسهم ــ متفقون على ان التدريب العسكرى فى اسرائيل يعتمد اساسا على الهجوم . والهجوم هنــا صــيغة اسرائيلية للعدوان والعدوان جوهر التفكير العسكرى فى اسرائيل. ولقد كان قيام اسرائيل بالمبادرة بالهجوم ــ وهى دائما تبادر ــ واحدا من الأسباب الرئيســية التى كفلت عنصر المفاجأة فى حــرب ١٩٦٧ .

ولكن المفاجأة لم تكن هى الســبب الوحيد لانتصار اسرائيل وهزيمتنا ، كما ان الهزيمة كلها لايمكن تفسيرها بناء على ميزات

موجودة فى الجانب الاسرائيلى .. ومخصومة من الجانب العربى بالعكس . ربما كانت الاسباب الرئيسية للهزيمة هى قدرة اسرائيل على استغلال أخطاء وقعنا فيها نحن .. ولهذا مهدنا بها الطريق أمام عبقرية وهمية أضفاها العقل الاسرائيلى على نفسه .

ان معرفتنا بعدونا تقتضى منا اثارة عدة أسئلة فى وقت واحد . مثلا : هل كان انتصارنا مستحيلا ؟ هل كانت هزيمتنا حتمية ؟ هل كانت الاسباب الرئيسية للهزيمة ، أسبابا سياسية أم أسبابا عسكرية ؟ هل .. هل .. ثم : كيف نفسر الهزيمة ذاتها ؟.

ان مثل هذه الأسئلة لاتبدو نظرية على الاطلاق . ففى تفسير الهزيمة العسكرية مثلا .. هناك موقفان : موقف يفسر الهزيمة بأنها ترجع الى أخطاء فردية . بمعنى قصور فى ادراك أو تصورات عدد من الأفراد أو عدم قيامهم بواجبهم . وموقف يفسر الهزيمة بأنها ترجع لأسباب تتعلق بالكفاءة العسكرية للمقاتل العربى ــ وبالذات المقاتل المصرى .

والفارق بين التفسيرين هو فارق بين مايقوله الصديق ... ومايقوله العدو .

فعندما نقول مثلا .. ان واحدا فى المائة من عمال مصنع معين يتغيبون عن عملهم ، فمعنى ذلك أن التغيب هو ظاهرة فردية نبحث عن أسبابها فى الحالة الشخصية لكل فرد . أما اذا قلنا أن ٩٩٪ من عمال المصنع يتغيبون ، فاننا نحكم مقدما بأن التغيب فى هذا المصنع أصبح ظاهرة تمس كل عماله مباشرة . فاذا أصبح ظاهرة عامة غير فردية .. فان علاجها لايمكن أن يتم بتغيير أو تعديل أو حلول سريعة فى مدى قصير .

ومن الطبيعى ان نجد مصلحة العدو قائمة فى نشر التفسير الثانى . التفسير الذى يحول الهزيمة الى ظاهرة عامة لايجدى

معها العلاج قصير المدى . وهو على أى حال تفسير حرصت القوي الاستعمارية على زرعه فينا طوال التاريخ الحديث فى منطقة الشرق الاوسط .

وبالمقياس نفسه .. فاننا نجد أيضا أن هناك موقفين فى تبرير هزيمتنا الضخمة أمام اسرائيل . الموقف الأول يقول انها هزيمة حضارية . فعلى رمال سيناء لم يكن هناك جيش يواجه جيشا .. وانما كانت حضارة تواجه حضارة ، وغربا يواجه شرقا . فاذا كنا نريد أن ننتصر على اسرائيل ، فيجب أن تكون هذه هى نقطة البداية : التفوق الحضارى . والموقف الثانى يبرر الهزيمة بأنها جيل بأكمله ، أو على الأقل هزيمة نظام سياسى هنا على يد نظام سياسى هناك . فاذا كنا نريد أن ننتصر على اسرائيل .. فيجب أن تكون هذه هى نقطة البداية : نظام يدافع عن نفسه .. وجيل يبرر وجوده .

اما نقطة الاتفاق بين الموقفين فانها تكمن فى ادانة أشياء كثيرة كانت موجودة فى مصر صباح الخامس من يونيو . ولكن بعد ذلك — فان الفجوة بين الموقفين واسعة وعميقة . فجوة تحتاج الى قرون لسدها .. طبقا لأصحاب الموقف الاول ، وتحتاج الى سنوات فقط ، طبقا لأصحاب الموقف الثانى .

* * *

وبالطبع ليس هذا مجال الحديث تفصيليا عن أسباب هزيمتنا فى سنة ١٩٦٧ . ولكن — بصفة عامة — نحن نخطىء كثيرا لو تصورنا أن أمامنا قائمة جاهزة ومنطقية من الاسباب التىكانت تبرر هزيمتنا الضخمة أمام اسرائيل فى ١٩٦٧ . لم تكن هناك مبررات كافية . لامبررات للهزيمة ولا مبررات لضخامة الهزيمة .

ان السياسة ليست سوى تاريخ لنسب القوى . ان الذى يهزم فى ميدان يكون قد اخطأ الحساب ، أو أنه ترك هذه القوى تنطق ضد مصلحته .

وماحدث فى ١٩٦٧ هو أننا ارتكبنا الخطأين معا : أخطأنا فى الحساب سياسيا ، وكذلك تركيا علاقات القوى العالمية تنطق ضد الخطأ الفادح ، ابان عصر محمد على ، ووقتها كانت القوتان الكبيرتان فى العالم هما فرنسا وبريطانيا .. بدلا من الاتحاد السوفيتى وأمريكا .

ولكن الحسابات الخارجية لم تكن هى العامل الوحيد ضدنا فى صباح الخامس من يونيو ..

لقد كانت هناك عوامل تاريخية كثيرة .. تقيد عضلاتنا فى الداخل ، حتى قبل أن نتجه الى ميدان القتال . ان النقطة الحاسمة هنا ليست هى : متى وأين بدات هذه العوامل ؟ ان التاريخ هو نسيج غير متكامل ، وقرار اختيار النقطة التى بدات عندها أسباب هزيمتنا سوف يكون دائما قرارا تعسفيا . ان من الممكن أن تكون الهزيمة قد بدات عندما هددنا بالحرب ، دون أن نقصد الحرب . ويمكن ايضا ان تكون الهزيمة قد بدات قبل ذلك بسنوات طويلة ، عندما نسينا اسرائيل كعدو رئيسى وخلقنا لأنفسنا أعداء وهميين بين صفوفنا . ويمكن ثالثا أن تكون الهزيمة قد بدأت : عندما أعفينا كل شىء هام فى حياتنا من النقد والمراجعة أو عندما أعطينا لبعض الافراد شيكات على بياض ، يحصلون بمقتضاها على سلطات مطلقة .. انتهت الى كارثة مطلقة . كذلك يمكن أن تكون الهزيمة قد بدات فى اللحظة التى أصبح الارتجال فيها قاعدة — وليس استثناء — فى سياستنا . يمكن .. ويمكن .. ويمكن ..

ولكن الذى لاشك فيه .. أن الهزيمة قد بدأت فى اللحظة التى اهملنا فيها معرفة العدو ، ووضعناها فى نقطة متأخرة من جدول الأولويات فى مجتمعنا .. !!

ان الانتصار الاسرائيلى الحاسم فى الساعات الأولى من صباح ٥ يونيو ، اعتمد ، مثلا ، على معرفة دقيقة بمواقع مطاراتنا وأنواع طائراتنا وتشكيل قواتنا . انها بالطبع معلومات لم يجمعها العدو، ولم نهمل نحن فيها ، قبل الحرب بخمس دقائق .. !

وعندما نشبت الحرب فجأة .. أكتشفنا نحن - فجأة أيضا - انه بينما كان العدو يركز مجهوده مثلا على معرفة تصميم طائرات الميج كانت مراكز القوى عندنا تفخر بأنها تعرف آخر نكتة يرددها الناس فى مجالسهم الخاصة ، وتعرف اين سهر عبد الصمد .. ومتى نامت نجوى خارج سريرها .. وماذا قالت ليلى فى التليفون امس .

- نعم - كانت التفاصيل الصغيرة فى حياتك وحياتى وحياتها وحياتنا هى من وجهة نظر الأمن .. أكثر أهمية من التفاصيل المطلوبة عن العدو .

ان هذا معناه ان الأجهزة عندنا كانت تخدم الافراد .. ولاتخدم الأمة . كانت تسعى لتحقيق النزوات .. بدل أن تسعى لخوض الحرب . وعندما لم يتم تدارك هذا الخطأ الفادح فى الوقت المناسب .. الخطأ تضخم ، الى أن اكتشفنا فى صباح الخامس من يونيو انه لم يصبح خطأ . أصبح مرضا .

***

ميدان آخر أخطأنا فيه قبل ميدان القتال - ميدان الاعلام . ان من كان يقرأ صحفنا ، أو يستمع الى اذاعتنا . فى الفترة السابقة على ٥ يونيو ، كان يحس بالطمأنينة المطلقة . والفخر المتزايد . ان الطمأنينة مطلوبة - طبعا - والفخر ضرورى .. حقا .. ولكن بشرط الا تكون طمأنينة وهمية أو فخرا كاذبا .لقد كنا نحسب كل شىء - على ورق الصحف - بدقة متناهية .وطالما فعلنا ذلك على الورق .. فاننا كنا نتنفس الصعداء و .. نستريح .

نعم . كانت الشعارات المبهرة .. بديلا عن التطبيق المبهر، وكانت الاقوال الضخمة .. بديلا عن الاعمال الضخمة .

لقد خلقنا لانفسنا - عن طريق اجهزة الأعلام عندنا - دنيا مثالية ، نحن فيها اقوى الناس ، وصوتنا فيها أعلى الأصوات ، وحساباتنا أدق الحسابات . دنيا نكسب فيها الحروب بقرار ..

وندخل فيها المعارك بهزة راس .. ونحل فيها المشاكل فى غمضة عين .

لقد كانت لاذاعتنا دنياها الخاصة بها ، وحقائقها الخاصة بها .. وهى دنيا وحقائق لا علاقة لها بالواقع .

لقد قلنا لأنفسنا ان الحرب نزهة ، والمعركة هى مجرد ست دقائق نصل فيها الى تل أبيب وبعدها ينتهى كل شيء . وعندما بدأت الحرب ، وعندما لم ينته كل شيء فى ٦ دقائق ، فان خيبة الأمل بدأت فى عقولنا من الدقيقة السابعة . ان الذين دفعوا ثمن هذه الدعاية الكاذبة هم نحن ، وليس عدونا . لقد أصبحنا نحن الضحايا . ضحايا أوهام ومبالغات اخترعناها ، وبعد ذلك رددناها . وفى النهاية صدقناها .

لقد نظرنا الى الواقع فلم يعجبنا ، وحينئذ لجأنا الى خلق واقع آخر يعجبنا .. واقع وهمى نقرأ عنه فى صحفنا فقط ، ونسمع عنه فى اذاعتنا فقط ! .

واذا كنا قد ارتكبنا اخطاء كثيرة بهذا الوضوح ـ واستغلتها اسرائيل الى الحد الأقصى ـ فان هناك اخطاء أخرى أساسية ارتكبناها ، وان كانت أقل وضوحا مع انها اكثر خطورة .

* من هذه الأخطاء .. أننا قلنا لأنفسنا مثلا ان تفوقنا العددى سيحسم فى النهاية المسائل كلها . وطالما أن عدونا ٣ ملايين ، ونحن ١٠٠ مليون ، اذن فلابد بالحساب ـ ان المائة ستهزم الثلاثة . ان هذا ليس منطقا صالحا دائما ، فمائة عصا لا تهزم بندقية واحدة ـ ولكن المنطق كان يغيب عنا أحيانا عندما نصل الى مناقشة المسائل الحاسمة فى حياتنا .

ومثلما اعتقدنا من قبل أن الكلمات الضخمة هى بديل عن الأعمال الضخمة ، كذلك هنا ، اعتقدنا ان الاعداد الضخمة هى بديل عن الاستعدادات الضخمة .

* وقلنا لانفسنا أيضا : ان الزمن هو بطبيعته ـ معنا ضد اسرائيل . لقد اعتمدت الاستراتيجية العربية طويلا على وجود

افتراض قوى يقول ان الوقت هو ــ فى المدى الطويل ــ معنا ضد اسرائيل . ولقد نبشنا فى التاريخ عن أمثلة تؤيد هذا الافتراض، فقلنا ان الصليبيين استعمروا فلسطين ٨٠ سنة ، ثم خرجوا .

نعم . الصليبيون خرجوا . ولكنهم لم يخرجوا بحكم الاقدمية الزمنية ، ولا بمضى المدة . ولم يخرجوا لأن منطق التاريخ هو الذى أخرجهم ! لقد أخرجتهم القوة ، والقوة وحدها .. بصرف النظر عن الزمن . وعندما خرجوا ــ بعد ٨٠ سنة ــ لم يكن معنى هذا أنه كان من الضرورى أن يظلوا فى فلسطين ٨٠ سنة . ولكن معناه ببساطة أننا لم نملك القوة اللازمة لاخراجهم الا بعد ٨٠ سنة . ولو توافرت لنا تلك القوة قبل ذلك ·· لأصبحت مدة بقائهم ٥٠ سنة ، أو ١٠ سنوات ، أو حتى ١٠ اشهر .

اننا اذن ·· لم نكن نلجأ الى التاريخ لكى نفهم معناه ، ولكن لكى نستنجد به فى دعم منطق مختل نردده لأنفسنا . منطق يرى أن الزمن هو بطبيعته ومن تلقاء نفسه كفيل بحل المشكلة بيننا وبين اسرائيل . لقد نسينا ان الزمن بطبيعته هو عنصر محايد . ان الزمن لا يمكن أن يكون معنا تلقائيا .. أو ضدنا تلقائيا . ان عملنا نحن .. هو الذى يجعل الزمن معنا أو ضدنا .

ولكى يدخل الزمن عنصرا فى حسابات القوى بيننا وبين عدونا ، فلابد أن تكون باقى العناصر ثابتة او ــ على الأقل ــ متساوية . لابد أن نتساوى نحن والعدو فى الأخذ بمنجزات الحضارة .. فى بناء الدولة العصرية .. فى الاعتماد على المؤسسات وليس الأفراد .. الخ .

واذا كان هذا هو المفهوم الصحيح لاهمية الزمن ، واهمية الوقت ، فليس معنى هذا أن علينا ــ بغير حساب ــ أن ندخل فى حرب مع اسرائيل الآن .. أو بعد ٥ دقائق . وليس معنى هذا أيضا أن تنظر الى عقارب الساعة فى أيدينا بخوف وفزع وقلق . ان الامم لا تعيش حياتها وهى تحمل فى يدها كرونومتر ، أو مقياسا للوقت . ولكن معنى هذا ببساطة هو : أن عملنا وحده

ـ مقارنا بعمل عدونا ـ هو الذى يستطيع أن يجعل الزمن سلاحا معنا أو سلاحا ضدنا .

* وقلنا لأنفسنا زمنا طويلا ان محاربة العدو تحتاج ـ أولا ـ الى الوحدة الوطنية . مضبوط . ولكن الخطأ بدأ حينما قصدنا بالوحدة الوطنية : الصمت . الصمت على العيوب ، على الأخطاء ، بل على الخطايا . من منا مثلا لم يكن يعرف بوجود مراكز القوة قبل ٥ يونيو ؟ من منا لم يكن يعلم بفساد أجهزة المخابرات ؟ من منا لم يكن يرى ما يفعله أهل الثقة ضد الخبرة ؟ من .. من .. من .. ؟!

كلنا كنا نرى وكلنا كنا نعلم ، واذا لم نكن نعلم على وجه الدقة ، فقد كنا نحس . ربما لم يعرف بعضنا أن هناك تعفنا .. ولكن معظمنا كان يشم الرائحة . ومع ذلك لم يرتفع صوت واحد . انه لم يرتفع لأننا ـ قبل ٥ يونيو بوقت طويل ـ كنا قد قضينا على أى فرد ، أو أى مؤسسة ، يمكن أن تقول « لا » . لا .. لأهل الثقة ، لا .. للمحسوبية ، لا .. لفساد المخابرات ، لا .. للاخطاء السياسية . لقد تصرفنا دائما على أساس أن قمة السلطة هى قمة الحكمة ، وان الحكمة لها مفتاح سحرى واحد يملكه شخص واحد فى كل جهاز ، وجهاز واحد فى كل المجتمع . لقد أدى هذا الى اشاعة احساس عام بأنه ليس بالامكان أبدع مما كان . وفي النهاية .. كان أخطر ما فى الأمر ـ من وجهة النظر السيكلوجية ـ هو التزايد السريع للافكار المسبقة الجاهزة ، غير القابلة للمناقشة .. والتى أصبحت فألا سيئا للمستقبل . لقد وضعنا الناس أمام بديلين لا ثالث لهما : اما أن تقول نعم لكل شىء ـ صواب أو خطأ ـ واما أن تقول لا لكل شىء ـ صحيح أو خطأ ـ واما أن تقول لا لكل شىء صحيح أو عفن . ان الخلل فى هذه النقطة تركز على مفهوم خاطىء زرعناه فى أنفسنا وتقبلناه لفترة طويلة ، مفهوم يقول ان الوقوف فى الصف معناه الصمت عن الاخطاء . معناه أن نقول جميعا الكلمات نفسها ونردد الشعارات نفسها ونصفق للجمل نفسها !! . لقد نسينا أن التنوع هو نفسه قوة ، ونسينا انه قد يكون من المستحيل أن نصحح كل خطأ ..

ولكن لا خطأ يمكن تصحيحه الى أن نواجهه . نسينا ان قطعة القماش قد تتعدد فيها الالوان والخيوط .. ولكنها تبقى فى النهاية قطعة قماش واحدة متماسكة .

ان اسرائيل لو قدر لها الاختيار ـ لاختارت مصر الصامتة على أخطائها ، قبل أن تختار مصر المهزومة فى ميدان القتال . ان مصر المهزومة فى الميدان لن تبقى مهزومة دائما ، ولكن مصر الصامتة على أخطائها ـ المتعفنة من الداخل ـ لن تنتصر أبدا !! .

ان هذا يعيدنا من جديد الى مناقشة سؤال رئيسى .. ما هو هدف اسرائيل من الحرب ؟ حرب وقعت فى الماضى .. أو حرب ستقع فى المستقبل . ؟

* * *

ان الخبراء العسكريين يعلمون ، خصوصا بعد الحرب العالمية الاولى ، ان هناك درسا أساسيا هو : « ان هدف الحرب الحقيقى هو روح العدو .. وليس أجساد جنوده » .

فالمفهوم النهائى للنصر .. هو خلق حالة استعداد للاستسلام لدى العدو .. وتصبح العمليات العسكرية هنا مجرد وسيلة للوصول الى هذه النتيجة .

وما دامت اسرائيل لم تحقق هذا الهدف ، وما دمنا نحن منتبهين لهذا الهدف .. فان الكلمة الأخيرة لم يقلها أحد بعد .

ان الذين يتابعون العقل الاسرائيلى وهو يفكر (ونحن فعلنا شيئا من ذلك لو حللنا الكتب الاسرائيلية التى عرضها هذا الكتاب) فاننا سنكتشف ان حرب يونيو ١٩٦٧ لم تكن اختراعا .. وانما كانت مجرد تطبيق لفن الحرب الذى عبر عنه «سان تسى» سنة ٥٠٠ قبل الميلاد حينما قال :

« ان الحيلة هى أساس فن الحرب . لذلك .. ينبغى التظاهر بالعجز عندما تزداد القدرة على الهجوم ، والتظاهر بعدم العمل عند الرغبة فى استخدام الجيوش ، واقناع العدو باننا

بعيدون عنه عندما نكون على مقربة منه ، وبأننا قريبون ونحن بعيدون عنه . استخدموا الفخ لجذب العدو ، وتظاهروا بالفوضى .. ثم حاربوه » .

ولعل شيئا من هذا كان يدور فى رأس « بن جوريون » عندما قال أكثر من مرة « يجب أن نتكلم عن السلام كما لو كنا لم نحارب .. ونتكلم عن الحرب كما لو كنا لانريد السلام» . ولعله أيضا ــ بن جوريون ــ كان أكثر وضوحا عندما قال فى أعقاب حرب ١٩٤٨ : «نحن لم ننتصر لاننا أتينا بعجائب ، بل لأن الجيوش العربية لم تكن فى حالة جيدة » . وبعد ١٩٦٧ قال « ايجال آلون » نائب رئيس وزراء اسرائيل : « ان الانتصار الاسرائيلى يرجع الفضل فيه أولا الى الاخطاء الضخمة التى ارتكبها العرب »

* * *

ان الحركة الصهيونية كانت واضحة الأهداف منذ البداية .. واضحة الأهداف للجميع .. ما عدانا نحن .

فعندما انتهى المؤتمر الصهيونى الأول فى «بازل» سنة ١٨٩٧ كتب « تيودور هرتزل » يقول : « فى بازل ، تأسست الدولة اليهودية » .

وعندما صدر « وعد بلفور » فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، نشرته صحيفة « الديلى اكسبريس » البريطانية بعنوان : دولة لليهود ، ونشرته «التايمز» بعنوان : فلسطين لليهود ، ونشرته «الاوبزرفر» بعنوان : بعد جيل واحد تصبح فلسطين لليهود .

ومنذ البداية .. كانت الصورة التى قدمت بها الحركة الصهيونية نفسها الى العالم .. هى صورة الحركة القومية التى تريد العودة الى أرض سلبت منها . حركة قومية .. مثل كل الحركات القومية الأوربية التى بزغت فى القرن التاسع عشر . ومعظم الكتب الاسرائيلية التى قدمناها فى الصفحات السابقة .. كانت تعرض هذه الصورة بشكل أو بآخر .

وبالطبع لم يكن هذا صحيحا ، لا علميا .. ولا تاريخيا .
وأى مقارنة سرعان ما تلغى الأساس القومى للحركة الصهيونية .

فالحركة القومية لتوحيد المانيا ، جمعت بين دول كاثوليكية مثل بافاريا .. ودول بروتستانتية مثل بروسيا .

والحركة القومية الايطالية اقترنت بحرب دامية بين الايطاليين والنمسويين ، مع أن كليهما ينتمى للمذهب الكاثوليكى. واقترنت أيضا بتجريد البابا من سلطاته الزمنية ، ومن ممتلكاته الواسعة .

والحركة القومية اليوغسلافية ، وحدت « الصرب » الارثوذكس مع «الكروات» الكاثوليك مع «البوشناق» المسلمين .

وبصفة عامة .. فان الحركات القومية لم تجد أساسها فى الدين ، ولم يمثل الدين ولا المذهب فى أى منا دورا رئيسيا أو فرعيا .

ولا يمكن أن تصبح اليهودية حركة قومية ، الا اذا أصبح الارثوذكس مثلا .. قومية ، أو أصبح الكاثوليك قومية ، أو أصبح الشيعة قومية ..

ان هدم هذا الأساس النظرى للصهيونية .. هو أمر ضرورى فى مخاطبة العالم الخارجى ، لأنه المقدمة التى تستخدمها الصهيونية فى المطالبة ب « أرض اسرائيل التاريخية » . ان هذا التعبير هو الهدف الأساسى للحركة الصهيونية من البداية . وبعد قيام اسرائيل .. أصبح هذا الهدف قائما وواردا فى جدول أعمال التفكير السياسى والعسكرى الاسرائيلى . انه هدف يريدالحصول على سيناء والاردن ومرتفعات سوريا وجنوب لبنان . وبالنسبة لهذا الهدف النهائى لا يوجد يمين ويسار بين الأحزاب السياسية فى اسرائيل . لا يوجد معتدل ومتطرف . ان الاعتدال والتطرف أمر يتعلق فقط بالاسلوب أو بالتوقيت .

مثلا ..

فى سنة ١٨٩٧ كان الصهيونى المتطرف يطالب بوطن قومى لليهود . والمعتدل يطالب بجمعية يهودية .

وفى سنة ١٩١٧ أصبح المعتدل يطالب بوطن قومى والمتطرف يطالب بدولة يهودية .

وفى سنة ١٩٤٧ كان الصهيونى المعتدل يطالب بدولة يهودية فى جزء من فلسطين والمتطرف يريد كل فلسطين .

وفى سنة ١٩٥٧ أصبح المعتدل يطالب بكل فلسطين والمتطرف يطالب بضم سيناء والعريش وعدم الانسحاب منهما .

وفى سنة ١٩٦٧أصبح المتطرف يطالب بضم سيناء والعريش والاردن ومرتفعات سوريا .. أما المعتدل فيطالب بمعاهدة صلح نهائى مع العرب .

ان الهدف النهائى الثانى قائم دائما ، بالرغم من أن أهدافا بديلة قد تحل محله من وقت لآخر ، أو بتعبير «تيودور هرتزل» مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة : «اننا فى حركتنا نحو الهدف النهائى .. يجب أن نكون كالقطار الذى يتوجه الى محطته النهائية . ان القطار قد يتوقف فى محطة هنا أو محطة هناك لكى يتزود بالوقود . لكنه يستأنف سيره دائما نحو محطته المقصودة . فهو لا يتراجع عنها ولا يتراجع منها الى الوراء » .

* * *

هذا عن الهدف .

أما عن الأسلوب .. فان النتيجة التى نخرج بها من دراسة أسلوب العمل السياسى الصهيونى منذ بدايته تتركز فى :

* ان الحركة الصهيونية منذ بدايتها تضع عينيها على القوتين الكبيرتين اللتين تتنازعان مناطق النفوذ فى العالم عادة . وفى مواجهة ذلك تحتفظ الحركة الصهيونية لنفسها دائما بجناحين . كل جناح منهما يعمل مع ـ وداخل ـ كل من القوتين الحاكمتين فى العالم .

ونحن نجد هذا الاسلوب قائما فعلا فى التطبيق ابتداء من الحرب العالمية الاولى بالذات . فعندما قامت الحرب فى سنة

١٩١٤ واجهت المنظمة الصهيونيـة نفسـها بسـؤال : مع اى من الطرفين المتحاربين تقف ؟ مع ألمانيا وتركيـا ؟ أو مع بريطانيـا وفرنسـا .

وقررت المنظمة وقتها الا تضع «كل البيض فى سلة واحدة» . قررت أن تقسم نفسها الى فرعين يعملان مع الطرفين المتحاربين . كان احدهما يعمل مع ألمانيا وتركيا ، والثانى يعمـل مع بريطانيـا وفرنسا والولايات المتحـدة . وعلى كل فرع من الاثنين أن يقنع الطرف الذى يعمل معه ومن داخله .. انه أكثر تحقيقا لمصالحه . وبهذا الاسلوب ضمنت المنظمة الصهيونية أن انتصار اى طرف فى النهاية .. سيؤدى الى تحقيق مطالبهم منه .

وفى جميع المراحل التالية ، نجد هـذا واضحا فى أسـلوب عمل المنظمة الصهيونية ، ثم اسرائيل بعـد قيامها . فهى تحتفظ دائما تحت الطلب ـ بجناح موال لكل طرف من الطرفين المؤثرين فى العالم .

وحين يعمل كل جناح من أجنحة الصهيونية لحساب احدى القوى الدولية الكبرى فانه ـ فى الواقع ـ لاينتمى الى هـذا الطرف أو ذاك . انه صهيونى أولا ، وصهيونى الى النهاية .. انه قد يعمل لحساب هذه الكتلة فترة ، لكنه يعمل لحسابها بالقـدر الذى يحقق له فى النهاية مكاسب جديدة .

وقد سمح هذا الاسلوب فى عمل الحركة الصهيونية .. بألا تقامر بمصيرها كله مع احدى الكتل الدولية ، وبأن أهدافها حين تتحقق فهى تتحقق بمناسـبة ، وبحماية ، تحرك الكتلة الدوليـة التى تعمل معها .

ومنذ قيام اسرائيل وهى تطبق هذا الاسلوب تماما . بل ان الجيش الاسرائيلى نفسه ، بدأ أصلا فى عشرينات هذا القرن كقوة تعمل لحساب بريطانيا ، وعلى نفقتها . وفى الحرب العالمية الثانية قامت المنظمات الصهيونيـة فى فلسطين بالتجسس ضـد المحـور لصالح قوات الحلفـاء . وبهـذا الاسلوب حصـلت على التمويل

والسلاح والخبرة لنفسها واستخدمت كل ذلك فيما بعد لمصلحتها الخاصة ، وأحيانا ضد الدول الموردة نفسها .

وقبل حرب ١٩٦٧ بفترة وجيزة ، أصدر « أبا ايبان » وزير خارجية اسرائيل الحالى كتابا بعنوان «صوت اسرائيل» . ان الكتاب هو مجموعة خطب ومحاضرات القاها ابا ايبان «٢٣محاضرة وخطبه » ، ابان عمله سفيرا لاسرائيل فى أمريكا .

ولأن مادة «أبا ايبان» موجهة أصلا للرأى العام الامريكى ، فاننا نجد أن الفكرة الرئيسية التى لا تغيب مرة فى هذا الكتاب ، هى اصرار « أبا ايبان » على ربط مصير اسرائيل بمصير السياسة الامريكية بصفة عامة فى الشرق الاوسط . انه يقول : « ان اسرائيل دولة صغيرة حديثة ، مسالمة ، ديموقراطية ، تريد العيش فى سلام .. بينما يحيط بها جيران كبار ، أقوياء ، عدائيون ، اقطاعيون . وازاء الرعب الذى تعيش فيه اسرائيل فانها أحيانا تجد نفسها مضطرة لأن تهب الى الدفاع عن نفسها مثلما حدث فى ١٩٥٦ . واسرائيل بعملها هذا انما تدافع عن الحضارة الغربية نفسها .

هكذا يقدم « أبا ايبان » اسرائيل باعتبارها جزءا من المعذبين فى الأرض ليس هذا هو المهم . ولكن المهم هو انه يستمر الى أن يصل الى السطر الذى يؤجله ٢٩٩ صفحة : ان الصراع بين الدول العربية .. واسرائيل ، هو فى جوهره صراع بين الشرق والغرب . صراع بين حضارة .. وحضارة .

يعنى : اذا كان على الغرب أن يدافع عن نفسه فى الشرق الاوسط .. فليبدأ بالدفاع عن اسرائيل . واذا كان الغرب يعيش فى حالة عداء مع العرب فليست اسرائيل هى السبب . ان هذا العداء العربى نحو الغرب هو عداء حتمى لا دخل لاسرائيل فيه . انه عداء له أسبابه التاريخية الخاصة ، واسرائيل ليست واحدا من هذه الأسباب .

والمسألة التى لا شك فيها فعلا .. ان لدينا أسبابنا الخاصة لمعاداة الغرب . هذا صحيح . ولكن مساندة الغرب لاسرائيل هى

رأس هذه الاسباب . لقد اشتركت فرنسا فى العدوان على مصر سنة ١٩٥٦ ، وعاملها العرب بما تستحقه جزاء على هذا التواطؤ. لكن فرنسا الآن ـ أثناء وبعد حرب ١٩٦٧ ـ تقف موقف الحياد ، وبالتالى فان العرب أعلنوا لها عن تقديرهم لهذا الموقف . ولم يقف عربى واحد ليعلن : ان عداءنا نحو فرنسا هو مسألة « حتمية » . مسألة قدرية لا مفر منها ولا فكاك .

***

ان هذا يذكرنا بالأسطورة الشرقية القديمة التى تقول : ان ثعلبا ركب على ظهر فيل . وحينما كان الفيل يشق طريقه فى الغابة دافعا الاشجار جانبا ، فان الثعلب كان ينفخ صدره بعجب قائلا : كم أنا قوى ؟ !

وقد لا تكون اسرائيل هى بالضبط الثعلب نفسه الذى تتحدث عنه الاسطورة ! ولكنها بالتأكيد تتحرك بمصاحبة الفيل الضخم الذى يتحرك طبقا للاسطورة . لهذا .. علينا أن نفهم كل القوى التى تحالفت معها اسرائيل أو « ركبتها اسرائيل .

***

ان اسرائيل التى نراها اليوم .. هى ثمرة الحنظلة المرة التى غرست فى الارض العربية . ثمرة روتها قوى دولية عديدة تحالفت معها فى كل مرحلة . فى البدء كان التحالف الصهيونى الاول مع بريطانيا . فى النهاية كان التحالف الصهيونى الثانى مع أمريكا . وعلى الطريق بين البدء والنهاية كانت هناك تحالفات جانبية كثيرة امتدت لأكثر من ٧٠ سنة . فخلال تلك المدة وضعت الحركة الصهيونية على رأسها قبعات كثيرة ، كان آخرها القبعة الامريكية التى تضعها على رأسها الآن .

واذا كان الصراع بيننا وبين اسرائيل قد اصبح يحتاج أكثر من أى وقت مضى ، الى الحركة .. واذا كان التوازن الدولى وموقف القوى الكبرى قد وصل الآن الى أقصى مايمكن الى درجات السكون والثبات . فان الأمر أصبح يحتاج الى مجهود خارق من جانبنا لكى نفلت من وسط طرفى المقص ، الذى أصبحنا نقف فيه .

ان هذه هى المرة الثالثة فى هذا القرن ــ بعد الاتفاق الودى فى سنة ١٩٠٤ وحرب ١٩٤٨ ــ التى نقف فيها نحن وسط طرفى المقص ، بينما يعاد النظر الى خريطة الشرق الاوسط داخل اطار صراع دولى . لهذا .. فان النصر أو الهزيمة هذه المرة هو نصر ــ أو هزيمة ــ لفترة طويلة قادمة ، وربما لقرون طويلة قادمة .

لهذا السبب .. فاننا أمام معركة وطنية . معركة ، لن يكون الاختيار فيها بين موقف اليمين وموقف اليسار . انما الاختيار سوف يكون بين الوطنية والخيانة .. انها حرب لاعادة استقلال الشرق الاوسط . وهى حرب تولد فيها العروبة من جديد .

وليس هذا أول امتحان تدخله منطقتنا بروح الثورة .

لقد كنا ثوارا فى سنة ١١٨٧ ، يوم حارب الشعب بقيادة صلاح الدين ضد جحافل التعصب الصليبى القادم من أوربا .

وكنا ثوارا فى سنة ١٢٦٠ ، عندما رفضنا انذار « هولاكو » قائد جيش المغول ، وانتصرنا عليه فى عين جالوت ، وكانت أول هزيمة نزلت بالمغول فى عهد هولاكو .

وكنا ثوارا يوم أن نجحت المقاومة الشعبية المصرية فى طرد الفرنسيين سنة ١٨٠١ .

وكنا ثوارا فى سنة ١٨٠٧ ــ عندما ثارت رشيد ضد الحملة الانجليزية بقيادة « فريزر » ، وانتصرنا عليهم انتصارا حاسما فى قرية الحماد .

وكنا ثوارا سنة ١٨٨١ بقيادة احمد عرابى .

وكنا ثواراً فى سنة ١٩١٩ ــ عندما وقفت روح الشعب ضد مدافع الانجليز .

* * *

و... لا اريد أن استطرد ، ففى كل مرة تعرضنا فيها لتآمر دولى .. كان الشعب الواحد الشجاع يصبح أغلبية .

وفى مواجهة حالة الميوعة والجمود فى الموقف الدولى بعد ١٩٦٧ ، فان رد الفعل الأساسى هو أن القوة أصبحت هى الحق

وليس العكس . والقوة بالنسبة لأزمتنا المعاصرة انما تعنى أساسا ـ وفقط ـ القوة العربية . فهى وحدها التى يجب أن تضرب المثل ، وهى وحدها التى ستصمد فى المواجهة مع اسرائيل . ولكى نكون الطرف الأقوى فى هذه المواجهة ، فلابد أن نفهم عدونا أولا : كيف يفكر ، كيف يتحرك ، كيف يعمل . فكلما زادت معرفتنا الآن .. قل أسفنا فى المستقبل . لأن الأقوياء فقط هم الذين يحرصون على هذه المعرفة . وفى النهاية .. نجد أن المعرفة هى أيضا .. قوة . وفى النهاية ، نقول مع الصينيين القدماء : اعرف نفسك مرة ، واعرف عدوك مرة ، ثم حاربه مائة مرة .

وفى صدامنا مع اسرائيل .. لم يقل أحد بعد .. الكلمة الأخيرة . والذى يصمم أكثر ، ويعد أكثر ، ويعرف أكثر .. هو الذى سيضحك فى النهاية أكثر ! .

ان هذا معناه .. ان أمامنا امتحانا قاسيا لصلابتنا ورجولتنا . ولابد أن يساعد بعضنا بعضا فى اجتياز هذا الامتحان .. !

* من يتقدم .. نتبعه .
* ومن يتأخر .. نشده .
* من يتقهقر .. ندفعه .
* من يسقط .. نرفعه .
* من يمت .. نثأر له .

كتاب الاذاعة والتليفزيون :

كتب صدرت :

١ ـ لغتنا الجميلة	فاروق شوشة
٢ ـ ممنـــوع من التداول . . . (طبعتان)	محمود عوض
٣ ـ قصة الضمير المصرى الحديث .	صلاح عبد الصبور
٤ ـ عصر التليفزيون	عبد المنعم حسن
٥ ـ مذكرات محمـد كريم . . . (جزآن)	محمود على
٦ ـ اســلاميات	سامح كريم

الكتاب القادم :

ليال مسرحية : بقلم : عبد القادر حميدة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٢/٣٨٤٣

● المراسلات :

التحرير : ٢٦ شارع منصور بالقاهرة
تليفون ٢٢٧٢١ ــ ٣٢٥٠٢

الادارة : ١٣ شارع محمد عز العرب
(المبتديان سابقا) ــ ص . ب ١٣٢٨
تليفون ٢٤١٤٥

الاعلانات : يتفق عليها مع ادارة المجلة
تليفون ٢٤١٤٥

هـــــــذا
الـكـتـاب

... فى حربنا ضد اسرائيل .. فان اول سلاح نعتمد عليه لابد أن يكون هو معرفتنا بهذا العــدو . معرفتنــا بأســاليبه وخططه وأفكاره وتصوره لنفسه ، وتصوره للرأى العام العالمى ، وتصور الرأى العــام العالمى له . ان هذه المعرفة..هى التى ستمكننا بعد ذلك من مواجهته فى المكان الصحيح ، وبالأسلوب الصحيح ، وبالسلاح الصحيح .

لهذا .. كان لابد ان تعتمد السياسة الاعلامية الجديدة على تحويل شعار « اعرف عدوك » من مجرد شــعار الى تطبيق حى يمارســه كل مواطن .

لقد اتخذنا فى هــذا الصــدد خطوات عديدة ، كان من اهمها رفع الحظر عن الـكتب الاسرائيليــة التى ظلت لســنوات طويلة ممنوعة من التداول ، ثم اتاحتها أمام المعلقين والدارسين والباحثين فى بلادنا ، بغير نقض أو تحريف .

وقد تبدو الأفكار، التىتتضمنها هذه الكتب الممنوعة، م... أو مجافية للحقيقة . ولكن ، هل نحن نتوقع من عدونا غير ذ...

من مقدمة
الدكتور محمد عبد القادر ...
نائب رئيس الوزراء ووزير الثقا...

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب